الدكتور احمد سوسة

حياتي في نصف قرن



حياتي في نصف قرن



الطبعة الاولى

١٩٨٦

حياتي في نصف قرن

الدكتور أحمد سوسة

الإهداء

إلى ولديّ عالية وعليّ

أهدي هذه المذكرات، وهي تمثل مدى نضالي في معترك الحياة في خلال نصف قرن طويته وأنا أفتش عبر السنوات الخمسين عن الطريق السوي لكي أسلكه في خدمة الأمة العربية التي أنبتتني، وخدمة الوطن الذي رعاني ورعيته عسى أن تجدا فيها عبرة في مسيرة حياتكما وحياة أنجالكما.

أحمد سوسة

المحتويات

الملاحق

التصاوير والمرتسمات

المقدمة

التصوير رقم (٦) – هذه صورة ثانية اخذت في اثر حفلة التكريم التي اقامتها جمعية الهداية الاسلامية ويرى الاستاذ محمد الخضر حسين رئيس الجمعية يحيط به اعضاء الجمعية وبعض شباب الجامعة المصرية ..

التصوير رقم (٧) – من قصيدة للعلامة الشيخ كاظم آل كاشف الغطاء الى المؤلف (مؤلف كتاب « في طريقي الى الاسلام » ..) ..

التصوير رقم (٨) – صورة غلاف كتاب « مفصل العرب واليهود في التاريخ » ، الطبعة الرابعة ، قام بنشره المكتب العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ، دمشق ، ١٩٧٥ .

التصوير رقم (٩) – مشروع سدة الهندية (١٩١١–١٩١٣) ، قام بتصميمه وتنفيذه السير وليام ويلكوكس احياء لمشروع پالاكوباس القديم ..

التصوير رقم (١٠)– سير وليام ويلكوكس (١٨٥٢–١٩٣٢)

التصوير رقم (١١) – المؤلف في مزرعة وبستان المهناوية ١٩١٢ ، حيث كان يقضي اكثر اوقاته فيهما ..

التصوير رقم (١٢) – مشهد من حفلة افتتاح مشروع سدة الهندية يوم ١٢ كانون الاول ١٩١٣ (انظر الفقرة ٦)

التصوير رقم (١٣) – صورة كتاب « مشروع سدة الهندية – تاريخه ، تصميمه عمله » ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٥ .

التصوير رقم (١٤) – اطلال مدينة بابل ..

التصوير رقم (١٥) – المؤلف فوق اسد بابل سنة ١٩١٩ .

التصوير رقم (١٦) – منظر لاطلال مدينة كيش .

التصوير رقم (١٧) – صورة غلاف كتاب « تاريخ حضارة وادي الرافدين » ، دار الحرية ، ١٩٨٣ .

القسم الاول – اسرة آل سوسة

التصوير رقم (١٨) – الامام المغفور له الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في الحلة يحيط به وجوه البلد (انظر الفقرة ٩) .

مرتسم رقم (١) – اقدم مستعمرة سامية تمارس الزراعة التي تعتمد على الري في منطقة الخابور (انظر الفقرة ٥) .

القسم الثاني – موجز تاريخ يهود العراق القديم

مرتسم رقم (٢) – خارطة تبين منطقة حدياب في شمال العراق ومنطقة بابل اللتين سبي اليهما اليهود في زمن الآشوريين والكلدانيين (الفقرة ٤)

التصوير رقم (١٩) – احد الرعاة اليهود في شمالي العراق قبل تهجيرهم الى

«اسرائيل» وهم من بقايا السبي الاشوري لم يزالوا يتكلمون بلهجتهم القديمة ، (لغة المسيح) المعروفة بالترجوم (انظر الفقرة ٥) .

القسم الثالث – حياتي المدرسية

أ – نشاتي الاولى ، دراستي الابتدائية ..

التصوير رقم (٢٠) – بلدة الحلة كما كانت عليه سنة ١٩١٩ (انظر الفقرة ١)

التصوير رقم (٢١) – والد المؤلف وكان عضوا في مجلس ادارة لواء الحلة (انظر الفقرة ١)

التصوير رقم (٢٢) المؤلف بالزي العربي سنة ١٩١٩ . (انظر الفقرة ٢)

التصوير رقم (٢٣) – المؤلف في مكتبة والده في الحلة سنة ١٩١٩ (انظر الفقرة ٢)

التصوير رقم (٢٤) – المؤلف على ظهر فرسه العنكية ذات الارومة الاصيلة سنة ١٩١٩

التصوير رقم (٢٥) – المؤلف على ظهر جواده « قرنفل » . (انظر الفقرة ٢)

التصوير رقم (٢٦) المؤلف في سيارته (الفورد) سنة ١٩١٩ – أول سيارة اهلية تدخل بلدة الحلة . (انظر الفقرة ٩)

التصوير رقم (٢٧) – منظر من مناظر سباق الفرات (نيسان ١٩٢٠) الذي أقامه الانكليز في الحلة (انظر الفقرة ٩)

التصوير رقم (٢٨) – منظر آخر من سباق الفرات (نيسان ١٩٢٠) (انظر الفقرة ٩)

التصوير رقم (٢٩) – فرس المؤلف الفائزة في سباق الفرات . (انظر الفقرة ٩)

التصوير رقم (٣٠) – أول محطة للقطار تؤسس في الحلة تحت ادارة موظفين من الهنود بعد الاحتلال البريطاني (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٣١) – أول محكمة مدنية تشكل في منطقة الفرات برئاسة حاكم بريطاني بعد الاحتلال البريطاني (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٣٢) أول تشكيل لجيش اهلي في الحلة برئاسة ضباط عراقيين تحت اشراف مدربين انكليز وكان يعرف بجيش الشبانة . (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٣٣) – ضابطان عراقيان في جيش الشبانة (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٣٤) – أول تشكيل لجيش الشبانة من الخيالة تحت اشراف مدربين من الانكليز (انظر الفقرة ١١)

القسم الثالث – حياتي المدرسية

ب – دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت

التصوير رقم (٣٥) – صورة تاريخية للطلاب العراقيين في الجامعة الامريكية في بيروت (أول بعثة عراقية توفد الى الخارج للدراسة) مع رئيس الجامعة المستر بايارد دوج أخذت في ٢١ مايس ١٩٢٤

الجالسون على الارض من اليمين الى اليسار :

جلميران ، خدوري خدوري ، ناظم غنام

الجالسون على الكراسي :

من اليمين : شلومو ، احمد سوسة ، رئيس الجامعة دودج ، متي عقراوي ، انور ملكة

الصف الاول الواقفون :

مظهر فهمي ، اكرم رفعت ، ممتاز عارف ، اكرم فتحي جلميران ، ناجح الشخمالي ، .... النعمة .

الصف الثاني : يعقوب وذن ، فؤاد حسو ، انور منه ، اكرم زينل ، يونس حنا ، انطوان صبري بانقو ، عبدالاحد بيثون .

الصف الثالث : محمد الدشتي ، نوري روفائيل ، داود سلمان ، فرج‌الله ويردي، كمال خليل ، .... ، درويش الحيدري ، يوسف خدوري ، يحيى الباجه‌جي .

الصف الرابع : حسن جواد ، احمد النعمة ، ابراهيم البسام ، صبيح الوهبي، تحسين ابراهيم ، وديع سليمان ، صموئيل بيثون ، توفيق شكوري ، جميل جموعة ، اسماعيل الجوربه‌جي

الصف الخامس : احمد دوغرامجي ، بدروسيان ، محي‌الدين يوسف ، يوسف زينل ، خليل فدو ، فائق ...

التصوير رقم (٣٦) ـ المؤلف يتوسط مجموعة من زملائه في الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٢٥ .

القسم الثالث ـ حياتي المدرسية

ج ـ دراستي في الولايات المتحدة الامريكية

التصوير رقم (٣٧) ـ المؤلف يمارس تمارين القفز فوق الحواجز على ظهر الخيل سنة ١٩٢٦ . (انظر الفقرة ١ د)

التصوير رقم (٣٨) المؤلف في فرقة الخيالة . (انظر الفقرة ١ د)

التصوير رقم (٣٩) ـ المؤلف وهو احد طلاب الصفوف العليا يضرب احد طلاب الصف الاول (انظر الفقرة ١ هـ)

التصوير رقم (٤٠) ـ المؤلف وهو الثاني من اليمين اخلت في ٢٨ شباط ١٩٢٦ .. (انظر الفقرة ١ هـ)

التصوير رقم (٤١) ـ المؤلف وهو يحمل على ظهره امتعته في جولته في المدن الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية (انظر الفقرة ١ و)

التصوير رقم (٤٢) ـ سرب من طالبات جامعة تكساس في احدى متنزهاتهن . . (انظر الفقرة ٤)

التصوير رقم (٤٣) ـ المؤلف في كلية تكساس العسكرية (انظر الفقرة ٥)

التصوير رقم (٤٤) ـ المؤلف في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الامريكية ..

(انظر الفقرة ٥) .

التصوير رقم (٤٥) ـ المفتاح الذهبي الذي يمنح لخريجي الجامعات في امريكا بتفوق (انظر الفقرة ٥)

التصوير رقم (٤٦) ـ المؤلف في احدى حدائق كولورادو (انظر الفقرة ٦)

التصوير رقم (٤٧) ـ المؤلف في كلية تكساس العسكرية (انظر الفقرة ٦)

التصوير رقم (٤٨) ـ المؤلف في كلية تكساس العسكرية (انظر الفقرة ٦)

التصوير رقم (٤٩) ـ المؤلف مع ماكي لي في مغامرته الغرامية الاولى .. (انظر الفقرة ٧)

التصوير رقم (٥٠) ـ تصوير آخر للمؤلف مع ماكي لي في مغامرته الاولى .. (انظر الفقرة ٧)

التصوير رقم (٥١) ـ المؤلف مع دوبي في مغامرته الغرامية الثانية في حدائق كولورادو . (انظر الفقرة ٧)

التصوير رقم (٥٢) ـ المؤلف في زي التخرج من جامعة جونس هوبكنس سنة ١٩٣٠

التصوير رقم (٥٣) ـ المؤلف في رحلة مع الاخوة العراقيين وهم من اليمين :
المؤلف ، المرحوم الشاعر الشيخ مهدي البصير ، عبدالوهاب كمونة ، علي الوائلي ، عبود شلاش (اخذت في ٢٩ تموز ١٩٣٠) (انظر الفقرة ٧)

التصوير رقم (٥٤) ـ ماري في بغداد قبل اصابتها بالخناق اخذت في تموز ١٩٣٢ (انظر الفقرة ٧)

التصوير رقم (٥٥) ـ فيصل جميل وهو في السنة الثانية من العمر

التصوير رقم (٥٦) ـ صورة بيت ماري في المزرعة في « آيوا سيتي »

التصوير رقم (٥٧) ـ فيصل جميل وزوجته «جودي»

التصوير رقم (٥٨)ـ جيفري سوسة ، وهو في الثالثة والنصف من عمره .

التصوير رقم (٥٩)ـ اول لقاء بين فيصل جميل وبين اخته مالية عندما كانت تتمتع بزمالة في امريكا سنة ١٩٦٥ .



تقديم

« وقل اعملـوا فسيرى الله عملكم ورسـوله والمؤمنون »
صدق الله العظيم

مرت ثلاثة اعوام ونيف على رحيل العلامة الدكتور احمد سوسة ولا تزال بعض آثاره مخطوطة لم تر النور بعد • ومذكراته هـذه التي اضعها بين يـدي القارىء الكريم هي احدى هذه الآثار • كان الفقيد قد قضى العقد الاخـير من حياته متفرغاً للبحث والتاليف ، وهو في العقد الثامن من عمـره حتى وافته المنية مسـاء السادس من شباط عـام ١٩٨٢ •

ومن مؤلفاتـه التي صدرت في تلـك الفترة « العـرب واليهود في التاريـخ » (بخمس طبعـات الاولى عـام ١٩٧٢ والاخيرة ـ مفصل العرب واليهـود في التاريـخ ـ عام ١٩٨٢) ، « الشريف الادريسـي في الجغرافيـة العربية » (بجزئين ١٩٧٤) ، « ملامح من التاريخ القـديم ليهـود العراق » (١٩٧٨) ، « حضارة العرب ومراحل تطورهـا عبر العصور » (١٩٧٩) ، « حضـارة وادي الرافدين بين الساميين والسـومريين » (١٩٨٠) ، و « تاريـخ حضـارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية» (بجزئين صـدرا بعـد وفاته ١٩٨٣ ـ ١٩٨٥) •

ولد الدكتور سوسة في مدينة الحلة سنة ۱۹۰۰ ، واتم دراسته الاعدادية في الجامعة الاميركية ببيروت سنة ۱۹۲٤ ، ثم حصل على شهادة البكلوريوس في الهندسة المدنية سنة ١٩٢٨ من كلية كولورادو في الولايات المتحدة . وواصل بعد ذلك دراسته العالية فنال شهادة الدكتوراه بشرف من جامعة جونز هوبكنز الامريكية سنة ۱۹۳۰ ، وقد انتخب عضوا في مؤسسة ((فاي بيتا كاپا)) العلمية الامريكية المعروفة ، كما منحته جامعة واشنطن في سنة ۱۹۲۹ جائزة ((ويديل)) التي تمنح كل سنة لكاتب احسن مقال من شانه ان يسهم في دعم السلم بين دول العالم . ويعد اقدم مهندس عراقي تخرج في الجامعات الغربية .

وبعد عودته الى الوطن ، عين اول مرة مهندساً في دائرة الري العراقية سنة ١٩٣٠ ، ثم تقلب في عدة وظائف فنية ذات مسؤولية في هذه الدائرة مدة ١٨ سنة حتى عين سنة ١٩٤٦ معاونا لرئيس الهيئة الفنية التي الفت لدراسة مشاريع الري الكبرى العراقية . وفي سنة ١٩٤٧ عين مديرا عاماً للمساحة ثم مديرا عاماً في ديوان وزارة الزراعة سنة ١٩٥٤ ، ثم اعيد مديراً عاماً للمساحة وبقي في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٧ .

وعند تاسيس مجلس الاعمار سنة ١٩٥١ عين مساعداً شخصياً في الامور الفنية لنائب رئيس مجلس الاعمار

اضافة الى وظيفته الاصلية . كما كان من اوائل اعضاء المجمع العلمي العراقي منذ تاسيسه سنة ١٩٤٦ وبقي عضواً عاملا فيه حتى وفاته .

وخلال سنتي ١٩٣٩ و١٩٤٠ تراس البعثتين اللتين اوفدتهما الحكومة العراقية الى المملكة العربية السعودية لدراسة مشاريع الري في الخرج والاشراف على تنفيذها . وقد مثل الحكومة العراقية في اكثر المؤتمرات الهندسية للبلاد العربية عضواً ورئيساً للوفد العراقي . وكان احد مؤسسي جمعية المهندسين العراقية سنة ١٩٣٨ ، وعمل فيها سكرتيراً عاماً لاكثر من عشر سنوات ،وبقي حتى وفاته عضواً فيها وفي نقابة المهندسين العراقية التي عمل فيها بصفة مدير عام سنة ١٩٦٢ ثم مستشاراً للنقابة سنة ١٩٧٠ وحتى سنة ١٩٧٤ حيث تفرغ للبحث والتاليف .

اما مؤلفاته فتربو على الخمسين من كتب وتقارير فنية واطالس اضافة الى اكثر من (١١٦) من المقالات والبحوث التي نشرت في الصحف والمجلات العلمية المختلفة . وتتوزع مؤلفاته في حقول الري والهندسة والزراعة والجغرافية والتاريخ والحضارة . والى جانب كتابه « في طريقي الى الاسلام » بجزئين ١٩٣٦ ، و «نظام الامتيازات في الدولة العثمانية» الذي طبع باللغة الانكليزية عام ١٩٣٣ ، فان اغلب مؤلفاته الاولى كانت في حقل الري واهمها: « المصادر عن ري العراق » (١٩٤٢) ، « وادي الفرات » (بجزئين

١٩٤٤–١٩٤٥) ، « تطور الـــري في العراق » (١٩٤٦) ، « دليل ري العراق » (١٩٤٤ بالانكليزية) ، «الري في العراق» (١٩٤٥ بالانكليزية) ، « سدة الهندية » (١٩٤٥ بالانكليزية) ، « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » (بجزئين١٩٤٨) ثم صدر له في الستينيات « فيضانات بغداد في التاريخ » (بثلاثة اجزاء ١٩٦٣ و١٩٦٥ و١٩٦٦) و« الري والحضــارة في وادي الرافدين » (١٩٦٨) ٠

اما اهم الاطالس التي وضعها فكانت « اطلس بغـداد » (١٩٥٢) ، « اطلـس العراق الاداري » (١٩٥٢) ، « اطلـس العراق الحديث » (١٩٥٣) ، « العـراق في الخوارط القديمة» (١٩٥٩)، «الدليل الجغرافي العراقي » (١٩٦٠) ، « اطلس العراق » (بالانكليزية ١٩٥٣) ، « اطلس العراق المصور » (بالانكليزية ١٩٦٢) ٠ هذا الى جانب اشتراكه في وضع كتـاب « بغداد ـ عرض تاريخــي مصـور » (١٩٦٩) و « دليل الجمهورية العراقيـة لسنة ١٩٦٠ » واعمال وبحوث اخرى ٠

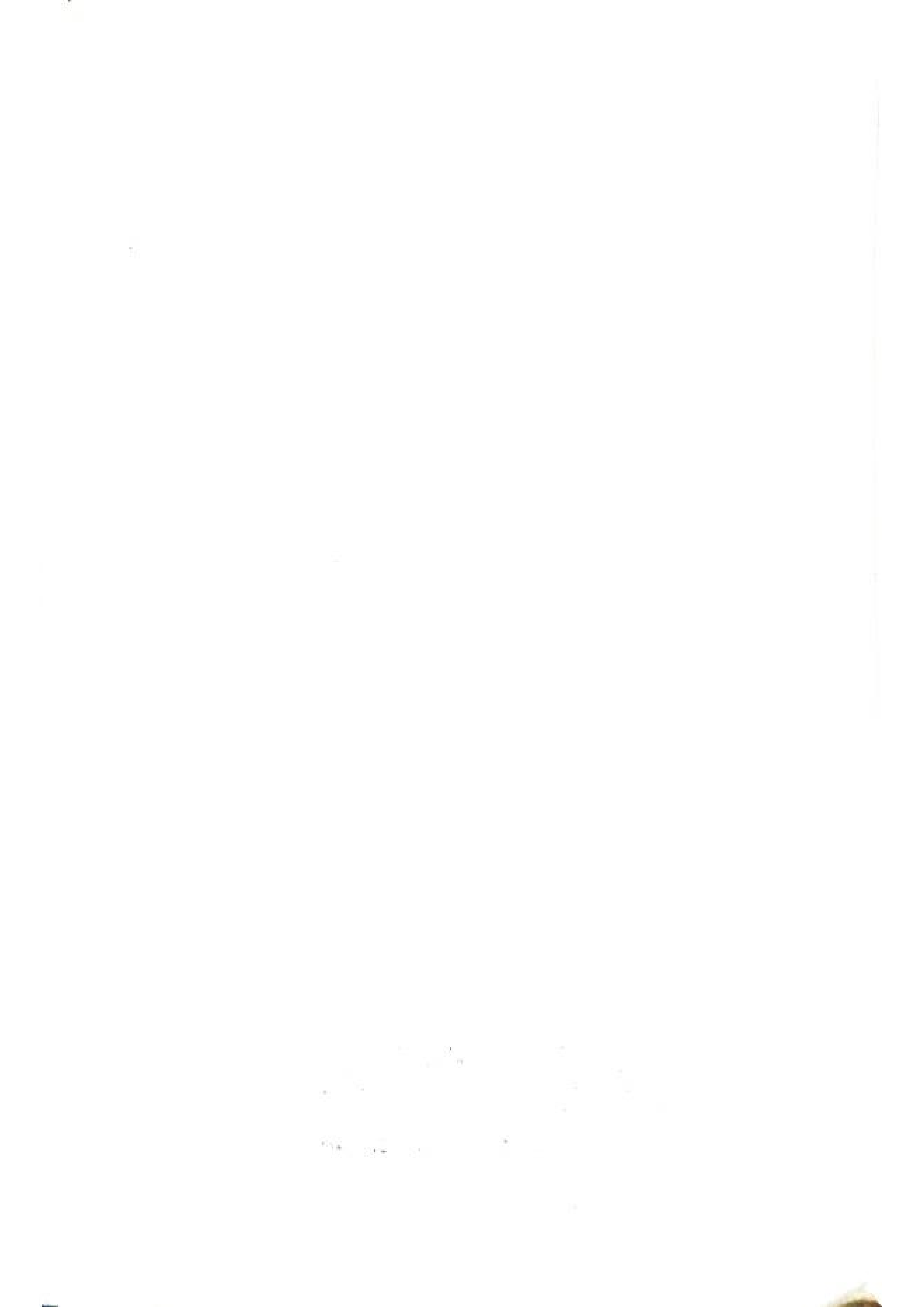
لقد نال الدكتور سوسه خلال حياته الطويلة العديد من الاوسمة والجوائـز عن عمله في حقل الـري وعن مؤلفاتـه العلمية ٠ فاضافـة الى عضويـة فاي بيتاكابا وجائزة جامعة واشنطن اللتين مر ذكرهما ، منح وسام الملك عبدالعزيز سعود لتنفيذه مشروع ري الخرج في نجد (عام ١٩٣٩) ووسام الرافدين من الدرجة الثانية عن خدماته في دوائر الري والمساحة عام (١٩٥٣) ، ووسام الكفاءة الفكريـة

من ملك المغرب عن كتابه « الشريف الادريسي في الجغرافية العربية » (١٩٧٦) . كما فاز كتابه « فيضانات بغداد في التاريخ » بجائزة الكويت لاحسن كتاب صدر عام ١٩٦٣ اضافة الى جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (عام ١٩٧٥) . هذا وقد كرمته وزارة الثقافة والاعلام لخدماته المتميزة للثقافة العربية عام ١٩٧٧ .

تغطي المذكرات التي بين يدي القارىء الفترة الاولى من حياة المؤلف والتي تمتد من نشاته الاولى في مدينة الحلة الى مراحل دراسته المختلفة . وقد ارتايت ابقاء العنوان الذي كان قد اختاره « حياتي في نصف قرن » رغم ان هذه المذكرات كان من المفترض ان تكون الجزء الاول على ان يليه الجزء الثاني الذي يتعلق بحياته الوظيفية . ولسوء الحظ لم يكن قد وضع من الجزء الثاني سوى وريقات قليلة عندما وافته المنية. لكن البحوث التي اعدها لادخالها في الجزء الثاني والتي ورد ذكرها في المقدمة موجودة ، لذلك فارجو ان اتمكن ، بعون الله ، من اعداد الجزء الثاني في المستقبل بنفسي بمساعدة اوراقه ومساهمات رفاقه واصدقائه الذين واكبوا مسيرة حياته ، ومن الله التوفيق .

د. عالية احمد سوسه
بغداد ١٩٨٥

رحمها الله تعالى ، استشهدت في انفجار مبنى الامم المتحدة في بغداد سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .



« ان الحياة تبدا في الشيخوخة ، ولكن هل يعلـم الناس كيف يكون شـــعور الرجل عندما يبلغ من العمر ما بلغت ؟ انه يتمنى لـو انه اسـتطاع ان يعيش حياته كلها من جديد ... انه يشـــعر بقدرة عجيبة على الاستمرار في العمـل وفي الحياة وكانه ما زال شاباً » .

من اقوال توماس جفرسون قبيل وفاته
وهو في الثالثة والثمانين من عمره

مقدمة

ليس في حياة المرء، بعد بلوغه سن الشيخوخة،
متعة تبعث الحيوية والنشاط في نفسه، مثل المتعة التي
تغمره، حين يستعرض مسيرة الاحداث التي مرت به طوال
السنين التي طواها من عمره عبر العصور، وهو على ظهر سفينة
الحياة، يمخر عباب مشاكلها ومسؤولياتها، وقد حملته بالمزيد من
العبر والتجارب، هي جزء من كيانه ووجوده... وليست أحداث
الحياة الانسانية الا شريطا سينمائيا تعرض عليه صور
ذكريات ورؤى، فيها من جميل المواقف وحلوها ما يفرح له
القلب، وفيها من مرارة النكسات ما يدميه، وفيها من أقسى
آلام الكفاح ما يبكيه... فهي تبدأ بالطفولة البريئة الساجدة
لتعقبها مرحلة الشباب في سن المراهقة التي تتميز بالثورة
العاطفية والطيش، ثم تنتقل الحياة الى مرحلة الكهولة التي تتسم
بالنشاطات الجمة في الكفاح الرئيسي الذي يخوضه المرء في المجتمع،
وهي تختزن في طياتها العقل والفكر أهم تجارب الحياة، فتبلغ ذروة
نضجها واكتمال نموها، فيدخل المرء معترك الحياة وهو في صراع مستمر
يحكمه تنازع البقاء وجهاد الوجود، فتارة تضحك له الحياة
باعذب العطيات وطورا تعبس به الاقدار فتضيقه مرارة الشقاء
حتى اذا ما جاء دور الشيخوخة، يقف المرء وقد غمره بياض الشيب
هذا فيما اذا نجا من الصلع وقفة متأمل، فينظر الى الوراء نظرة فاحص
متسائلا: "ما هو العمل الذي انجزه في حياته عبر السنين التي طواها
من عمره الطويل في خدمة المجتمع الذي عاش في وسطه وما هي الاعمال

مقدمة

ليس في حياة المرء ، بعد بلوغه سن الشيخوخة ، متعة تبعث الحيوية والنشاط في نفسه ، مثل المتعة التي تغمـره ، حين يستعرض مسيرة الاحداث التي مرت به طوال السنين التي طواها من عمره عبر العصور ، وهو على ظهر سفينة الحياة ، يمخر عباب مشاكلها ومسئولياتها ، وقد حملته بالمزيد من العبر والتجارب ، هي جزء من كيانه ووجوده .. وليست احداث الحياة الانسانية الا شريطا سينمائيا تعرض عليه صور وذكريات ورؤى ، فيها من جميل العواطف وحلوها ما يفرح له القلب ، وفيها من مرارة النكسات ما يدميه ، وفيها من اقسى آلام الكفاح ما يبكيه .. فهي تبدا بالطفولة البريئة الساذجة لتعقبها مرحلة الشباب في سن المراهقة التي تتميز بالثورة العاطفية والطيش ، ثم تنتقل الحياة الى مرحلة الكهولة التي تتسم بالنشاطات الجمة في الكفاح الرئيسي الذي يخوضه المـرء في المجتمع ، وهي تخزن في مطاوىء العقل والفكر اهم تجارب الحياة ، فتبلغ ذروة نضجها واكتمال نموها ، فيدخل المرء معترك الحياة وهو في صـراع مستمر بحكم سنة تنازع البقاء وجهاد الوجود ، فتارة تضحك له الحياة باعلب المعطيات وطورا تعبس به الاقدار فتذيقه مـرارة الشقاء حتى اذا ما جاء دور الشيخوخة ، يقف المرء وقد غمره بياض الشيب ، هذا فيما اذا نجا من الصلع ، وقفة متامل ، فينظر الى الوراء نظرة فاحص متسائلا: « ما هو العمل الذي انجزه عبر السنين التي طواها من عمره الطويـل في خدمة المجتمع الذي عاش في وسطه وما هي الاعمال التي انجزها في خدمة الانسـانية ؟! احقا انه سيفارق الحيـاة ويغيب عن الاعزة التي أنبتت السنون في قلبه عاطفة المودة والحنان ؟. احقا انه سيمضي الى نومـه الابدي الذي لا يفيق منه بعد ان يكون قد استكمل عقله ونضج تفكيـره بحيث اصبح يخزن في مطاوىء ذهنه الكثير مما يطمح في تدوينه !. ولكـن انى له ان يحقق هذا الطموح وايامه اصبحت معدودة وطاقة عمله محدودة !

فعجلة الحياة لا ترجع الى الوراء ٠٠ الى الامام والى الامام تسير بسرعة دون توقف كحلم في دجى الليل عبر المراحل المعدة لها حتى تنتهي الى مصيرها المحتوم ٠ والشيء المؤسف في حياة الانسان انه بعد أن يكون قد نضج واصبح يخزن في ذهنه المعرفة والخبرة ، اللتين اكتسبهما عبر حياته الطويلة ، وفي الوقت الذي يستعد لتدوين ما اختزنه من علم ومعرفة طوال هذه السنين ، واذا بالشيخوخة تصرع طاقة عمله فتقعده عن تحقيق طموحه وامانيه !٠ ان هذه طبيعة المخلوقات فلا دوام ولا بقاء !٠والشخص السعيد هو الذي يكون قد ارتشف من مناهل الحياة العبر والحكم وعمل على نشرها بين الناس فيكون قد افاد واستفاد من التجارب التي اكتسبها في مسيرة الاحداث التي مرت به عبر الحياة ، لأن ما مضى لن يعود ثانية ، وما غمره الزمن وطوته السنون لن يبعث من جديد ، وانما المرء بما يتركه وراءه من العمل الصالح المفيد وبما يقدمه لمجتمعه من خدمات نافعة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) ٠ فقيمة الحياة لا يعادلها شيء في الوجود اذا كانت حقبة عمل يفيد الوطن والانسانية ، وما اصدق قوله تعالى : ((واما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)) ٠

ويواجه المرء في مسيرة حياته مواقف مثيرة وحرجة جدا يتوقف مصير مستقبل حياته كلها على ما قد يتخذه من خطوات وقرارات في معالجتها ، وهذه الخطوات والقرارات هي التي ترسم له تطلعاته المقبلة في مدارج حياته ٠٠ فانا لن انسى تلك الحادثة ذات الشجون ولا ذلك الموقف المثير اللذين واجهتهما في مسيرة حياتي ، وقد كان للقرار الذي اتخذته ان غير مجريات حياتي كلها ٠٠ اما الحادثة فهي انني كنت قد تزوجت في مطلع شبابي من فتاة امريكية مثقفة ثقافة عالية من اسرة مسيحية پروتستانتية من العوائل الامريكية العريقة بعد ان حكم سلطان الحب بان تصبح رفيقة دربي وشريكة حياتي ، كان كل املي ان اعيش في كنفها وان انعم بعطفها وعونها بعد عودتي معها الى الوطن ٠ وقد رزقت منها بطفل جميل اسميته ((جميلا)) (اسماً على مسمى) ٠ لم يوافق جو العراق مزاجها الصحي فمرضت ومرض طفلنا مما اضطرني ان اذهب بها مع الطفل الى اهلها في الولايات المتحدة للتداوي ٠ واما عن الموقف المثير جدا والحرج جدا فانه يتلخص في انها بعد ان تعافت وعادت اليها والى الطفل صحتهما ، لاعود بهما ، فوجئت بها تطلب الي بل تتوسل الي ان ابقى الى جانبها في امريكا بحجة ان الاطباء قرروا ان مناخ العراق لا يوافقها صحياً ، ولكني أبيت ٠٠ اخذ ابواها يضمان توسلاتهما الى توسلاتها

واضعين تحت تصرفي ثروتهما على اعتبار ان ابنتهما هي وحيدتهما ٠٠ فابيت ايضا ٠ وجاء دور الطفل الذي نظر الي بعطف وجراة ولكن ببراءة ايضا قائلا : « الى اين تذهب يا (داد) اي يا ابتي ؟٠ لماذا لا تبقى معنا؟٠ وها قد مضى على تلك الحادثة حوالي نصف قرن وصورة ذلك المشهد المثير تلاحقني ولم تفارقني لحظة واحدة رغم مرور زمن طويل عليها ٠٠ وكان لا بد من قرار حاسم : (البقاء مع الغنى وضمان المستقبل) او (العودة الى الوطن مع الكفاح) وهذا يعني خسارة زوجتي وولدي ايضا، وكان القرار ، قراري الحاسم بلا تردد (العودة الى الوطن) ٠ وهكذا كان ، فغير ذلك القرار مجريات حياتي كلها وسار بي القدر الى ما انا عليه اليوم ٠٠ وانا لست بنادم على ما فات ولا على ما اخترته في حينه ، وان كان الحنين والشوق الى تلك الزوج وولدها يكويانني بنارهما ٠٠ فالوطن عزيز حتى وان جفاك او جار عليك ٠٠ فما اجفى حياة المرء في ديار الغربة حتى مع اسعد واوفر الظروف المعاشية المادية !٠

كثيرا ما يسالني بعض الاخوان : ما الذي دفعني الى النزوع الى التاريخ وانا مهنتي مهندس ري؟ ٠ وجوابي على ذلك ، ان هندسة الري والزراعة مرتبطتان بالاحداث التاريخية وبخاصة الاحداث التاريخية القديمة المتعلقة بحضارة وادي الرافدين وكيفية نشوئها وتطورها عبر العصور ٠ ان الزراعة التي تعتمد على الري والحضارة صنوان لا يفترقان ، فحيثما وجدت الحضارة في مستهل نشوئها وظهر التمدن في اقدم عصوره ، ازدهرت معهما الزراعة التي تعتمد على الري ، وحيثما وجد نظام الري ازدهرت معه الحضارة ، والماء مصدر الحياة (وجعلنا من الماء كل شيء حي ـ قرآن كريم) ، والعراق بوفرة انهاره ومياهه واراضيه الخصبة كان لعنصر الماء دخل في بناء كيانه الحضاري القديم وازدهار مدنيته المشهورة ، فمنذ الازل كان الماء ولم يزل مصدر الحياة والازدهار اذا استخدم كاداة للاعمار٠ فما كانت حضارة ذات شان في تاريخ الانسان القديم الا كانت تنظيمات الري ومشاريعها الزراعية تحتضن تلك الحضارة فتسير معها جنبا الى جنب في مسيرة تطورها وتقدمها ، ولا ادل على ذلك من ازدهار الحضارات القديمة على ضفاف الانهار حيث الماء والارض وهما عنصران اساسيان في حياة الانسان ، وعليهما قامت في ربوع وادي الرافدين دجلة والفرات وفي وادي النيل اقدم وارقى حضارتين معروفتين في تاريخ العالم القديم ، وقد كان لوادي الرافدين نصيب اكبر في الدور الذي لعبه في تاسيس اقدم حضارة في العالم وذلك في ظل اقدم نظام للري الدائم عرفه تاريخ العالم ٠

وكان للعرب في مجال العقل الهندسي جولات وصولات والهندسة عندهم كانت نظريات تصف خواص الاشكال والاجسام واثبات ذلك ببراهين ، فكان للمهندس العربي أدوار خطيرة في نشوء الحضارة الاسلامية العربية وقيام النهضة العمرانية التي تركت للعرب تراثاً مجيداً ، وهذا التراث بما فيه من عمارات قديمة وآثار طرازها العربي الخاص بها هو من اسهام المهندس العربي بما تركه العرب من مؤلفات وكتب في مختلف الفنون والعلوم ، وكان للهندسة من هذا الأثر البناء الجبري الذي ابتدعه المتوكل العباسي في قصوره (انظر خلافة المتوكل في مروج الذهب للمسعودي) . وكان اشهر فلاسفة العرب الفيلسوف الكندي الذي كان متضلعاً متخصصاً في علم الهندسة وعلم الحساب ولم يكن ينافسه على الشهرة في هذا الميدان غير ابي معشر وهو جعفر بن محمد البلخي ولكنه لما دخل في المباراة مع الكندي فشل فاضطر الى العدول الى علم آخر غير الهندسة والحساب . وكان للكندي خزانة واسعة بهذا العلم كانت تعرف بالخزانة الكندية لشهرتها . وعلى ذكر هذه الخزانة تحظر الى ذاكرتنا القصة التي رواها ابن ابي اصيبعة في كتاب « عيون الانباء في صفات الاطباء » ج١ ، الطبعة الوهابية سنة ١٨٨٢ (ص٢٠٧-٢٠٨) حول المنافسة العلمية في الهندسة بين محمد واحمد ابني موسى بن شاكر من جهة وبين الكندي من الجهة الاخرى بمناسبة حفر النهر الجعفري في عهد المتوكل هذا نصها :

« قال أبو جعفر احمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب حسن العقبى حدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب قال : كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة فاشخصا سند بن علي الى مدينة السلام وباعداه عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجها الى داره فاخذا كتبه باسرها وافرادها في خزانة سميت الكندية ومكن هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة وتقدم اليهما في حفر النهر المعروف بالجعفري(*) ، فاسندا امره الى احمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر وكانت معرفته اوفى من توفيقه لانه ما تم له عمل قط فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها اخفض من سائره فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر

(*) انظر كتاب « مأساة هندسية او النهر المجهول » للدكتور احمد سوسة ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٧ .

سائر النهر فدافع محمد واحمد ابنا موسى في امره واقتضاهما المتوكل فسعي بهما اليه فيه فانفذ مستحثا في احضار سند بن علي من مدينة السلام فوافى فلما تحقق محمد واحمد ابنا موسى ان سند بن علي قد شخص ايقنا بالهلكة ويئسنا من الحياة فدعا المتوكل بسند بن علي وقال له ما ترك هذان الرديان شيئا من سوء القول الا وقد ذكراك عندي به وقد اتلفا جملة من مالي في هذا النهر فاخرج اليه حتى تتامله وتخبرني بالغلط فيه فاني قد آليت على نفسي ان كان الامر على ما وصف لي اني اصلبهما على شاطئه وكل هذا بعين محمد واحمد ابني موسى وسمعهما فخرج وهما معه فقال محمد بن موسى لسند يا ابا الطيب ان قدرة الحر تذهب حفيظته وقد فرغنا اليك في انفسنا التي هي انفس اعلاقنا وما ننكر اننا اسانا والاعتراف يهدم الاقتراف فتخلصنا كيف شئت قال والله انكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ولكن الحق اولى ما اتبع اكان من الجميل ما اتيتماه اليه من اخذ كتبه (كتب الكندي) والله لا ذكرتكما بصالحة حتى ترداه عليه كتبه فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب اليه واخذ خطه باستيفائهما فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها فقال قد وجب لكما علي ذمام برد كتب هذا الرجل ولكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعياها في والخطا في هذا النهر يستتر اربعة اشهر بزيادة دجلة وقد اجمع الحساب على ان امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى وانا اخبره الساعة انه لم يقع منكما خطا في هذا النهر ابقاء على ارواحكما فان صدق المنجمون افلتنا الثلاثة فشكر محمد واحمد هذا القول منه واسترقهما به ودخل على المتوكل فقال له ما غلطا وزادت دجلة وجرى الماء في النهر فاستتر حاله وقتل المتوكل بعد شهرين وسلم محمد واحمد بعد شدة الخوف مما توقعا » .

هذا ما يوضح مكانة الهندسة في العلوم الانسانية عند العرب ، فقد اشتغل ثابت بن قرة في الهندسة التحليلية واجاد فيها ووضع كتاباً بين فيه علاقة الجبر بالهندسة والهندسة بالجبر وكيفية الجمع بينهما وحل بعض المعادلات التكعيبية بطرق هندسية ، ومن كتبه في هذا الموضوع كتاب « استخراج المسائل الهندسية » و « تنقيح ترجمة اصول اقليدس في الهندسة » التي عربها حنين بن اسحق . « مجلة بين النهرين (١٩٧٤) العدد الخامس من ٢١-٢٩ » .

يدل كل ذلك على انه لا يوجد اي تناقض بين هندسة الري والتاريخ بل بالعكس ان كلا منهما متمم للآخر ، ويتميز المهندس في تحليله الدقيق للامور تحليلا سليما علميا . فقد سلكت منذ تخرجي من امريكا وحصولي

على الدكتوراه مسلكا علميا بحتا فكانت هوايتي في اثناء ممارستي المهنة كمهندس ري ثم كمدير عام تتبع آثار الجداول التي انشاها اجدادنا في هذه الربوع ومطالعة الكتب والمؤلفات والتقارير التي تبحث في تاريخ الري لا طبق ما دونه القدماء عمليا ، وهذا ما حملني على دراسة التاريخ القديم الذي يبحث كيفية نشوء وتطور الحضارات القديمة وبخاصة حضارة وادي الرافدين ، وهذا ما قادني الى دراسة تاريخ الحضارات وتطورها عبر العصور •

وهكذا فقد تهيأت لي الفرصة السانحة بحكم عملي في مسلك الوظيفة لدراسة مشاريع الري القديمة ومرافقتها طيلة حياتي العملية ، فمنذ ان عينت مهندسا للري سنة ١٩٣٠ اثر تخرجي من جامعات امريكا أتابع دراسة هذه المشاريع دراسة عملية • وهنا وجدت ضالتي فكرست زهاء اربعين عاما من حياتي العملية أتتبع واتجول واحقق دون كلل أو ملل ، فلم أترك بقعة من بقاع العراق ، شماله وجنوبه ، جباله واهواره الا زرتها للوقوف على مكنونات هذا التراث العظيم • وكتابي « الري والحضارة في وادي الرافدين » ان هو الا حصيلة هذه الحقبة الطويلة من التتبع والتحقيق ، وكذلك كتابي « العرب واليهود في التاريخ » ان هو الا حصيلة دراسة تاريخ الاديان •

هذا واذا صح ما يقال بأن شخصية المرء تتكون بما تتركه من اثر في حياة الطفولة ، اي بما تتركه من أثر في سلوك المرء في معترك حياته عند بلوغه عنفوان شبابه ، فقد كان نصيب هذا الأثر على حياتي الثقافية بوجه خاص كبيراً • اذ مرت في حياتي في عهد الصبا حوادث ثلاث كان لكل منها أثر كبير في تكوين شخصيتي الثقافية بشكل خاص تمخض عنها نتاج علمي مفيد دونته ايام النضوج الفكري :

كانت اولى هذه الحوادث حادثة اعتناق عمي شقيق والدي المدعو شاؤل للاسلام • وخلاصة هذا الحادث ان عمي الذي كان يسكن في بيتنا مع الأسرة في مدينة الحلة قد غاب بصورة مفاجئة عن البيت من غير سابق انذار او ترك ما يشرح سبب هذا الغياب المفاجيء • فكنت أشاهد الوجوه تطفح بالحزن والقلق مما ينبيء عن حادث جلل اشبه بفجيعة الموت بالنسبة للاسرة باسرها كما كنت أصغي الى الأفواه وهي تردد همساً والحسرة طاغية على الوجوه (انه صار مسلماً) • وهكذا غاب عمي عنا الى الأبد وانقطعت اخباره مع انه كنت اصغي الى الأفواه القائلة بانه ذهب الى الصقلاوية حيث كان يقيم جدي في مزرعته ولا تزال القرية

التي اسسها هناك تحمل اسم (سوسه) وهي تقع بالقرب من اطلال الانبار في منطقة الفلوجة ·

لقد كان لهذا الحادث وانا لم ابلغ بعد السابعة او الثامنة من العمر الأثر العميق في نفسي فترك انطباعات وتساؤلات كانت بالنسبة لعقلي الصغير عقدة حيرتني طوال السنين التالية : ما هو الفرق بين المسلم واليهودي ، الم يكن رفاقي كلهم من المسلمين العب معهم ونتبادل العواطف الطيبة فيما بيننا ، الم نكن كلنا عربا نتكلم اللغة العربية ؟ لماذا اذن هذا الفرق بين المسلم واليهودي ؟· اما المسيحية فلم اكن اعرف عنها شيئا مع انه كانت هناك في المحلة عائلة مسيحية كانت تتعاطى جمع عرق السوس وشحنه الى الخارج لاستعماله في صنع بعض العقاقير وكان للشركات الاجنبية وكلاء في مدن اخرى في الجنوب لجمع هذه المادة ·

واذا صدق القول بان الحوادث في الصغر هي التي ترسم مستقبل تفكير الانسان في حياته ، فان هذا الحادث طبع في ذهني صورة ذلك المشهد والأثر الذي تركه بين افراد الاسرة ، وقد ظلت هذه الحوادث تحثني على اكتشاف هذا السر الغامض وعلى ايجاد الاجوبة على تلك الاسئلة التي استاثرت بتفكيري سنوات طوالا ، فاول ما دخلت الجامعة الامريكية في بيروت لنيل الشهادة الاعدادية اخذت اقرا واقرا واطالع الى جانب واجباتي المدرسية الكتب التي تبحث في تاريخ الاديان ، وحتى بعد التحاقي بكلية الهندسة في امريكا تفرغت صيفية كاملة ودخلت دورة لدراسة تاريخ الاديان وعلم اللاهوت على اشهر استاذ في جامعة شيكاغو التي تعنى بمثل هذه المواضيع التاريخية القديمة · وكان ذلك قبل اكثر من نصف قرن وبالتحديد صيفية سنة ١٩٢٥-١٩٢٦ · ولما كانت هذه الدراسة تقضي بوجوب اعداد بحث في الموضوع ، فقد اخترت موضوعا بعنوان « دراسة مقارنة بين الاسلام والمسيحية » فحظي هذا البحث برضا الاستاذ وشرح عليه « بحث جيد يتسم بالروح الطيبة » · وقد ناقشت هذا الموضوع بالذات لافهام القارئ الامريكي المسيحي حقيقة الاسلام وتسامحه بنظرته الانسانية الى الديانات السماوية ، ونظرته الى انبيائهم نظرة تجلة وتقديس وبخاصة السيد المسيح عليه السلام · وهذا كان اول بحث وضعته في موضوع الاديان وهو خارج نطاق دراستي الجامعية(*) في موضوع الهندسة ·

(*) انظر الملحق الاول : « الاسلام والمسيحية »

صممت اثر ذلك ان الاسلام هو الدين الحق الذي يجمع بين الديانات السماوية وهو مبني على المبدأ الانساني الذي يقوم على المساواة والتسامح والفطرة فاخترته عن عقيدة وايمان ومعرفة ، ولكنني كتمت ذلك عن عائلتي مدة لتجنب انزال مصيبة على الاسرة بعد ان طوى الزمن ذكرى الحادثة الاولى . لذلك لم اعلن عن اعتناقي للاسلام الا بعد ان انتهيت من دراستي الجامعية وحصولي على الدكتوراه وعودتي الى الوطن. ثم توظفت فعينت في مديرية الري العامة وبعد مدة قدمت استقالتي وذهبت الى مصر حيث قضيت حوالي اربعة اشهر مداوما في الازهر كمستمع وكمتتبع ، وهناك اعلنت اسلامي بصورة رسمية في ٢٢ شعبان ١٣٥٥ المصادف ٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، اي قبل خمسة واربعين سنة . وقد وضعت هناك الجزء الاول من كتابي « في طريقي الى الاسلام » وطبع في مصر ، اما الجزء الثاني فطبع في العراق (انظر التصاوير ٢-٧) . ثم ظهر كتابي « العرب واليهود في التاريخ » فتولت وزارة الاعلام العراقية طبعه سنة ١٩٧٢ تحت عنوان « سلسلة الكتب الحديثة » رقم ٤٢ . ثم طبع عدة طبعات في البلاد العربية وعلى الرغم من محاولة الصهاينة شراء عدد كبير منه واتلافه انتشر الكتاب انتشارا واسعا ، وتقوم الآن وزارة الثقافة والاعلام العراقية بطبع آخر نسخة مفصلة في طبعته الخامسة على الاوفسيت وهي تقع في اكثر من الف صفحة (انظر التصوير رقم ٨) .

وهكذا فقد تم لي ما كنت اصبو اليه في عهد الصبا من معرفتي لحقيقة تاريخ الاديان فتحققت اول امنية من امنياتي(**).

اما الحدث الثاني الذي ترك اثره في نفسي ايضا فهو مشروع دي سدة الهندية (انظر الفقرتين ٥و٦ من القسم الثالث) وهو المشروع الذي لا يزال قائما في الوقت الحاضر وقد قام بوضع تصميمه والاشراف على تنفيذه سير ويليام ويلكوكس المهندس البريطاني المشهور الذي كانت الحكومة العثمانية قد استقدمته لدراسة مشاريع الري في القطر العراقي . وكان في جملة المشاريع التي اقترحها مشروع سدة الهندية (انظر التصوير رقم ٩) . وخلاصة هذا المشروع ان مجرى نهر الفرات كان يسير قديما باتجاه بابل حيث تقع مدينة الحلة الحالية الا ان عوامل الطبيعة آلت الى تحول المجرى الرئيس من مجراه البابلي منذ القرن الثامن عشر الميلادي الى الشرق الى جهة ما يعرف الآن بشط الهندية . واهم العوامل التي ادت الى تحول مجرى الفرات صوب شط الهندية المشروع الذي قام به

(**) انظر الفقرة ٩ من القسم الاول .

آصف الدولة وزير محمد شاه الهندي في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي لايصال المياه الى مدينة النجف فحفر جدولا ياخذ من الضفة اليمنى لنهر الفرات من فوق بابل في نقطة تقع على مسافة حوالي مائة كيلومتر منها ويجري باتجاه نهر الكوفة القديم وقد عرف هذا الجدول فيما بعد بنهر الهندية نسبة الى آصف الدولة الهندي . ويؤخذ من الروايات التاريخية ان هذا الجدول اخذ يتوسع على حساب فرع بابل الذي كان يؤلف المجرى الرئيس لنهر الفرات ، ففي سنة ١٨٣٠ تفاقمت الحالة حتى اصبح من الضروري اتخاذ بعض التدابير لايقاف توسع هذا الجدول اذ بدا يتقلص فرع بابل شيئا فشيئا وما حلت سنة ١٨٨٥ حتى كاد يجف فرع بابل نهائيا مما ادى الى قلق المزارعين المقيمين على فرع بابل وضرورة اتخاذ التدابير للحيلولة دون هلاك مزارعهم وبساتينهم . ففي عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) تم استقدام مهندسين فرنسيين لاصلاح الحالة وفي سنة ١٨٩٠ قام المهندس الفرنسي شندروفير بانشاء سد محكم على صدر فرع الهندية فاستعمل ما يقارب ستة عشر الف متر مكعب من عتيق الآجر المستخرج من خرائب بابل في انشاء هذا السد الا ان اهمال صيانته ادى الى تصدعه وبقيت الحالة على ما هي عليه حتى استقدمت الحكومة العثمانية سير ويليام ويلكوكس لدراسة مشاريع الري في القطر ، فوضع تصميما لسد جديد يحل محل سد شندروفير في جملة مقترحاته في تقريره المرفوع الى الحكومة العثمانية سنة ١٩١١ فانيط امر تنفيذه الى سير ويليام ويلكوكس نفسه . وقد قامت شركة السر جون جاكسون البريطانية بانشاء المشروع تحت اشراف ويلكوكس ، فبوشر العمل على انجازه في شهر شباط من سنة ١٩١١ وبعد مضي سنتين وتسعة اشهر تم انجاز المشروع وقد افتتح رسميا في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول من سنة ١٩١٣ فاقيم احتفال مهيب ذبحت فيه الذبائح واقيمت فيه الولائم حضره والي بغداد وكبار الموظفين وقناصل الدول وغيرهم من الوجهاء والاعيان وتبودلت الخطب بين الوالي ومدير الشركة التي قامت بالمشروع فحضرت الافتتاح مع ابناء بلدتي الحلة لنشاهد انطلاق المياه من امام سدة الهندية وانسيابها نحو بلدة الحلة التي عانت الكثير من العطش سنوات عديدة(*).

(*) انظر كتاب الدكتور احمد سوسه « وادي الفرات ومشروع سدة الهندية » ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٥

وذكرياتي عن ويلكوكس ترجع الى عهد الصبا (١٩١٢-١٩١٣) حين كان ويلكوكس منهمكا في تنفيذ مشروع سدة الهندية ، اذ كنت ازور ذلك المشروع وهو في حيز التنفيذ وكنت آنذاك لم اتجاوز الاثنتي عشرة سنة فاشاهد ويلكوكس وكله حركة ونشاط برغم كبر سنه يراقب اعمال البناء وفخر الآجر حريصا على تطبيق التصاميم التي وضعها ولا أزال اتذكر انه قضى ليلة في بيتنا في الحلة حيث كان يتردد بين الحين والآخر بزيارة مدينة الحلة وكان يكلف والدي ان يختار له بعض الموظفين من الشباب لاستخدامهم في اعمال المشروع فطلب ان لا يقدم له اي طعام للعشاء غير كوب من اللبن المحلي (الروبة) وعندما سألناه عن سبب ذلك قال ان اهم علاج للوقاية من الامراض بالنسبة للاجانب غير المتعودين على طقس العراق هو اللبن (الروبة) لذلك انصح كل الاجانب الذين يعملون في مشروع سدة الهندية أن يكثروا من استعمال اللبن للمحافظة على صحتهم (انظر التصوير رقم ١١) .

ثم كان موعد افتتاح المشروع في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩١٣ فاستعد ابناء الحلة الفيحاء للذهاب الى سدة الهندية منذ اليوم الحادي عشر لحضور الافتتاح فكنت معهم وبتنا ليلة في المهناوية(**) وحضرنا كلنا في اليوم التالي لمشاهدة الافتتاح . وكان البرد شديدا قارسا ومع ذلك فكنت انتهز مثل هذه المناسبات لاشباع رغبتي في الذهاب الى الريف خارج البلدة ممتطيا ظهر فرسي المعنكية وكان هذا الاحتفال فرصة سانحة لتحقيق هذه الرغبة .

ولقد كان لهذا اليوم المشهود عميق الاثر في نفسي وانطباع راسخ في ذهني الصغير اكبارا واعجابا بمعجزة الفن الهندسي وعبقرية مصمم هذا المشروع العظيم الذي أحيى منطقة جنوب الفرات بأسرها بعد ان حرمتها الاقدار من عماد حياتها (الماء) سنوات طوال . وكم تمنيت لو كنت مهندسا مثل ويلكوكس لكي يتسنى لي ان اقوم يوما ما بمثل هذه الاعمال الجبارة وان انسى فلم انس ولن انسى ذلك اليوم وانا ممتط

(**) المهناوية مقاطعة واسعة من الاراضي الزراعية كانت تحت ادارة والدي وكانت هناك بناية حديثة وبستان واسع فيه كل انواع الاشجار المثمرة كما كان هناك مضيف خاص لاستقبال الضيوف مجهز بالافرشة لمنامهم والطعام لهم فكان يرحب بكل زائر او مستطرق ان ياوي اليه ، وكان هناك اصطبل واسع جدا لايواء خيول الزوار والضيوف (انظر التصوير رقم ١١) .

صهوة فرسي عند عودتنا وانا اسرع مع جمهرة من الفلاحين والمزارعين وهم يحدون باناشيدهم (وهوساتهم) العربية العامية مهللين فرحين فكنا في عودتنا نمضي مع مجرى الماء الجديد على طول طريق النهر نسابق مجرى الماء وقد غطته رغوة بيضاء وهو ينساب كالافعى بين منعطفات عقيق النهر الجاف حتى وصلنا واياه الى بلدة الحلة حيث كانت الجماهير المحتشدة على النهر تستقبل المياه الباعثة الى الحياة مستبشرين بالبشرى السارة وهي ترحب بوصول الماء الى هذه المنطقة التي بقيت محرومة منها سنوات طوال (انظر التصوير رقم ١٢) .

وقد تم لي بعد مضي خمس واربعين سنة ان اصبحت مديرا لمنطقة ري الفرات المسؤول الاول عن ادارة مشروع سدة الهندية نفسه وانا الذي اقر منهج مناوبة تقسيم المياه بين شط الهندية (جدول آصف الدولة الهندي) وشط الحلة (مجرى الفرات القديم) ، والاهم من كل ذلك كنت بحكم مسؤولياتي اقضي بعض الليالي في سدة الهندية في نفس البناية التي كانت شركة جون جاكسون قد انشأتها لسكنى مهندسيها في اثناء تنفيذ المشروع ، فكنت اتذكر ايام الصبا حين كنت اذهب الى سدة الهندية عندما كانت هذه البناية نفسها تحت الانشاء .

وبهذا تحققت امنيتي الثانية فصرت مهندسا بل اكثر من ذلك اصبحت مسؤولا عن ادارة منطقة ري الفرات كلها ومن ضمنها مشروع سدة الهندية فتعرفت على كل ما كنت اتوق الى معرفته في عهد الصبا عن المعجزة الفنية التي انطوت عليها تصاميم مشروع سدة الهندية التي وضعها سير ويليام ويلكوكس حتى اصبحت ملما بكل ما يتعلق بهذا المشروع من حيث تاريخه وتصاميمه فانتهيت الى تاليف كتاب باللغة الانكليزية عن تاريخ مشروع سدة الهندية وتفاصيل تصاميمه عنوانه ((سدة الهندية ، تاريخها، تصميمها ، عملها))
"The Hindiyah Barrage—Its History, Design and Function".

وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة الحكومة سنة ١٩٤٥ وكما انتهت القضية الاولى بتاليف كتاب ((العرب واليهود في التاريخ)) كذلك انتهت القضية الثانية بتاليف كتاب ((مشروع سدة الهندية)) المذكور (انظر التصوير رقم ١٣) .

اما الحادث الثالث الذي كان له اثر في تكوين شخصيتي الثقافية فهو ولعي منذ الصغر بالآثار والتاريخ ، فقد كنت في مرحلة الطفولة ازور بين حين وآخر المواقع الاثرية المجاورة لبلدي ومسقط راسي الحلة واهمها

خرائب بابل وهي لا تبعد عن مدينة الحلة اكثر من بضع كيلومترات بحيث تكاد تكون من ضواحي المدينة ثم اطلال مدينة كيش الواقعة في الصحراء وهي مجاورة الى بابل وهي مدينة سرجون مؤسس الامبراطورية الاكدية (السامية العربية) • اما بابل فلم تفارقني آثارها طيلة الفترة الاولى من حياتي حيث كان آجرها الذي يحمل اسماء ملوكها الاوائل على جدران بيوتنا اذ انشئت من الآجر المنتزع من بنايات بابل الضخمة • واما اطلال كيش فكانت تقع في صحراء قاحلة غير ماهولة آنذاك تعرف باطلال الاحيمر لذلك فكان لا بد من زيارتها برفقة الجندرمة للمحافظة • وبحكم مركز والدي كان علماء الآثار يراجعونه لارسال الادلة معهم •

لقد كان هذا التراث الحضاري التليد مصدر ولعي منذ الصبا حيث كنت وانا لم اطو بعد العاشرة من عمري اتردد على بابل كلما سنحت لي الفرصة لذلك،فكنت اشاهد الآثاري الالماني الشهير الدكتور روبرت كولدواي (Dr. Robert Koldewey) غارقا بين القطع الاثرية المكدسة في مقر اقامته في « كويرش » وهو يصنفها ويرممها ويرتبها ويحفظها في صناديق خاصة • وان انسى فلن انسى تلك القطط النادرة ذات الوبر الكثيف في داره وقد توالدت حتى اصبحت اشبه بقطيع من الغنم وكنت الاعب الصغار منها (انظر التصويرين ١٤و١٥) •

وان انسى فلن انسى سفرتي الاولى في شتاء ١٩١١-١٩١٢ الى اطلال الاحيمر وهي بقايا مدينة كيش السامية حيث كان الاب « دي جنوياك » (Abbé H. de Genouillac) الاثاري الفرنسي يقوم بتنقيباته مبعوثا من وزارة المعارف العمومية الفرنسية (انظر التصوير رقم ١٦) •

وكم كنت اتمنى لو كنت افهم تاريخ هذه الاقوام التي اسست اقدم حضارة عرفها التاريخ (حضارة وادي الرافدين) • والآن وقد انقضى على ذلك اكثر من خمسين سنة كانت حصيلتها تاليف كتاب ضخم عن « تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية » (انظر التصوير رقم ١٧) •

والآن وقد تجاوزت الثمانين من عمري احمد الله الذي متعني بنعمة الحياة طيلة هذه المدة ما جعلني قادرا على الاستمرار في البحث والتاليف• كما احمده تعالى الذي مهد لي السبيل وقيض لي من يرعى طبع بحوثي بشخص السيد الرئيس صدام حسين ذلك المصلح الكبير مهندس الثورة وقائدها الفذ الذي قيضته العناية الالهية للامة العربية لاصلاح شانها وبعث نهضتها في كل مجالات العمران • فكان لسيادته الفضل الاول بطبع

كتاب « حضارة العرب وتطورها عبر العصور » فامر بطبع خمسين الف نسخة منه سنة ١٩٧٩ . وكذلك امر بطبع خمسين الف نسخة من كتاب « حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين » سنة ١٩٨٠ ، واخيرا امر بطبع ١٥ الف نسخة من كتاب « تاريخ حضارة وادي الرافدين » الذي يقع بجزئين وباكثر من الف صفحة من القطع الكبير مع أكثر من ثلثمائة تصوير وخارطة . فالفضل الاول في ظهور هذه البحوث يعود اليه حيث كان ولا يزال يتابع الصغيرة والكبيرة في كل ما يتعلق بمستقبل هذا البلد وتدوين تاريخه الحقيقي .

والآن وانا اعيش المرحلة الاخيرة من حياتي ، فتدفعني الرغبة الشخصية ورغبة الكثير من أصدقائي الأدباء والكتاب والباحثين في عرض شريط احداثها لاركن في آخر ايامي الى ذكرياتها . ولحسن الحظ اني احتفظ بمفكرة دونت فيها احداث السني الاولى من دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت وبعض احداث دراستي في الولايات المتحدة الامريكية قبل اكثر من نصف قرن ، كما اني احتفظ بمجموعة من الرسائل المتبادلة بيني وبين الاصدقاء مع مجموعة من المقالات المنشورة وغير المنشورة في مختلف المواضيع ، فاخترت البعض منها ادونها كما وردت في الاصل دون ان اغير واصحح فيها متمسكا بالامانة العلمية التي اعتدتها في جميع بحوثي .

ولا بد من الاشارة في هذا الصدد الى ان سيرتي هذه تختلف عما اعتاد القارىء ان يطالعه من السير والمذكرات السياسية المألوفة ، فانا لم اكن من اصحاب المعالي والفخامة ولا طمحت في يوم من الايام ان اصل الى هذه المناصب السياسية في حياتي ، فانصرفت كليا للبحث والتتبع منذ ان وطات قدماي ارض الوطن بعد العودة من الدراسة في خارج العراق قبل حوالي خمسين سنة مستغلا وظيفتي اقصى حدود الاستغلال في هذا المجال بعيدا عن الجو السياسي المشحون بالنفاق والرياء ، ومع ابتعادي عن هذا الجو فلم اسلم من الاكتواء بنار حقد وحسد بعض الزملاء ممن اوصلتهم الظروف الى اعلى درجات سلم الحكم بحيث اصبح مصيري في الوظيفة مرتبطا باهواء هؤلاء الحاقدين يتلاعبون به كما يشاؤن ، ولكن رغم كل ذلك فامثال هؤلاء عاشوا في عالم الخمول والاهمال وسيغادرون هذه الدنيا كما جاؤها دون أن يتركوا اثرا لهم . ومهما قيل في الماضي فاذا استعرضنا دخائله وبواطنه وفحصناها بدقة نجد ان ذلك الجو الملبد بالغيوم والرعود هو الذي بعث سيل الثورة العارمة على الاوضاع الشاذة السائدة آنذاك .

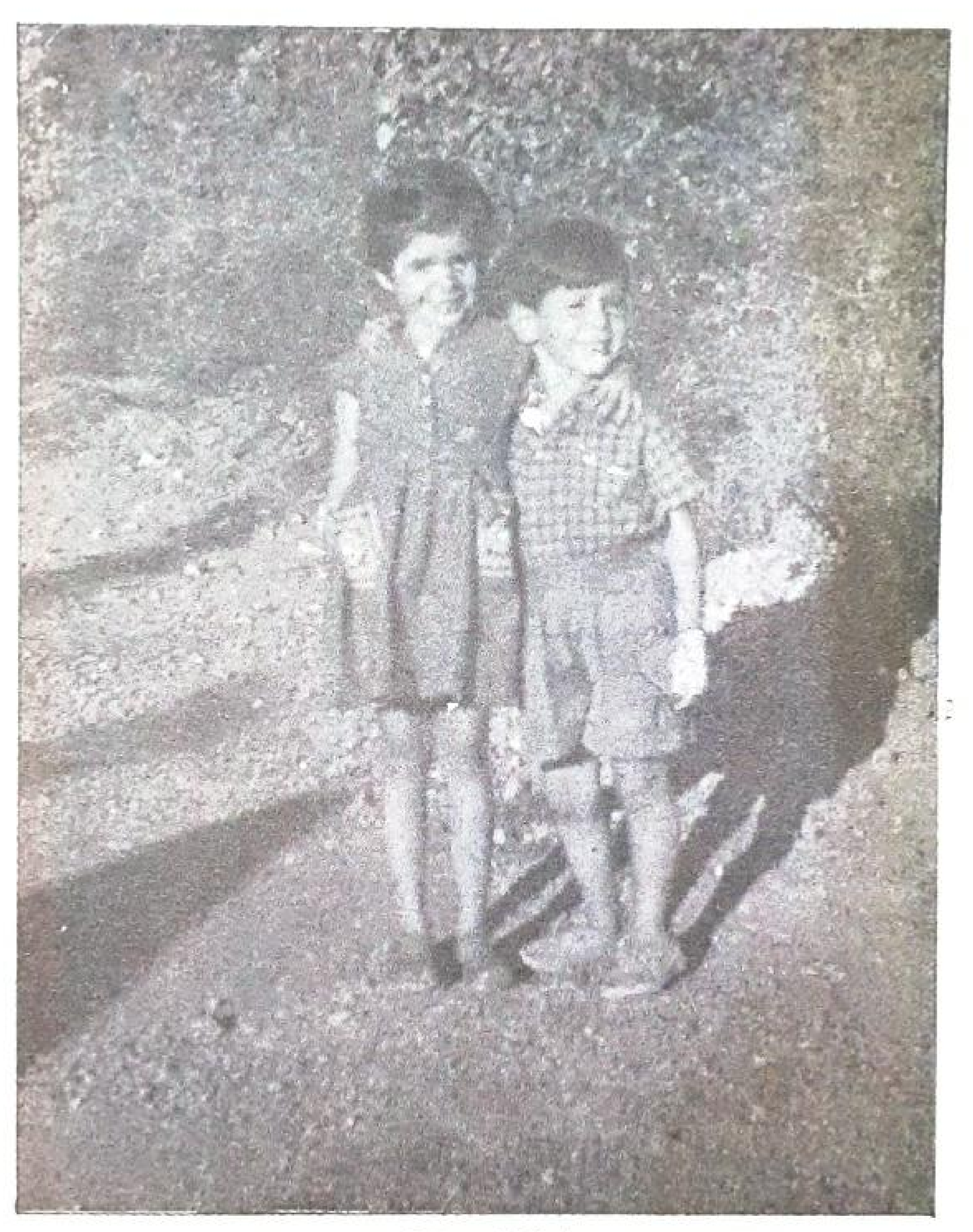
لذلك وبناء على ما تقدم فسوف يجد القارئ في هذه السيرة مايتصل ببعض الشؤون التاريخية والمشاريع الهندسية التي مارستها في السنوات التي طويتها من حياتي وقد فرضتها ظروف السيرة . وبذلك يكون هذا البحث قد جمع بين ترجمة الحياة وبين دراسة جانب مهم من تاريخ العراق، ففي هذا الجزء الاول ادخلت بحثا موجزا عن تاريخ يهود العراق القديم لما كان في احداث سيرتي من صلة به فكانت حافزا للخوض في هذا الموضوع التاريخي الشائك . وفي الجزء الثاني بحث آخر عن تاريخ الآثوريين في العراق انجزته اثر اشتغالي في مشروع دي اعد للآثوريين في المناطق الشمالية سنة ١٩٣٣ ما جعلني ان اعيش مع تلك الاحداث فترة من الزمن. وهناك في الجزء الثاني ايضا بحث عن مشاريع الري في المملكة العربية السعودية التي عهد الي بانجازها بتكليف من الحكومة السعودية وبموافقة الحكومة العراقية سنة ١٩٤١ وغير ذلك من المشاريع التي قمت بها في العراق في الوظيفة وخارج الوظيفة .

ولئن تطرقت في القسم الثالث الى بعض الحوادث الشخصية مما يتصل بعهد الشباب ، تلك الحوادث التي سميتها « مغامرات غرامية » (انظر الفقرة ٧ج في الباب الثالث من القسم الثالث) وهي رواية واقعية من واقع الحياة الامريكية خالية من اي (رتوش) فانما استهدفت من ذلك الكشف عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في المجتمع الامريكي والدور الذي تلعبه المادة وتاثيرها فيه ، هذا الى جانب المشاكل التي ترافق الزواج بالاجنبيات والقلق النفسي الذي يواجهه الطالب العراقي لاول مرة حين يختلط بالمجتمع الامريكي الصاخب .

وقد ارتايت ان اقسم هذه المذكرات ، ان صح اطلاق هذا المصطلح عليها ، الى بابين او جزئين ، يتناول الجزء الاول ، وهو هذا الجزء ، حياتي ايام الصبا والدراسة ، والثاني يتناول حياتي في الوظيفة ، والجزء الاول هذا يقسم الى ثلاثة اقسام وهي كما يلي :-

١ - القسم الاول - اسرة آل سوسه
٢ - القسم الثاني - تاريخ يهود العراق القديم
٣ - القسم الثالث - حياتي المدرسية ويقسم بدوره الى ثلاثة اقسام :

ا - نشاتي الاولى ودراستي الابتدائية
ب - دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت
ج - دراستي في امريكا



التصوير رقم (١) ـ ولدا المؤلف عالية وعلي في عهد الطفولة ..



بقلم

الدكتور احمد نسيم سوسه

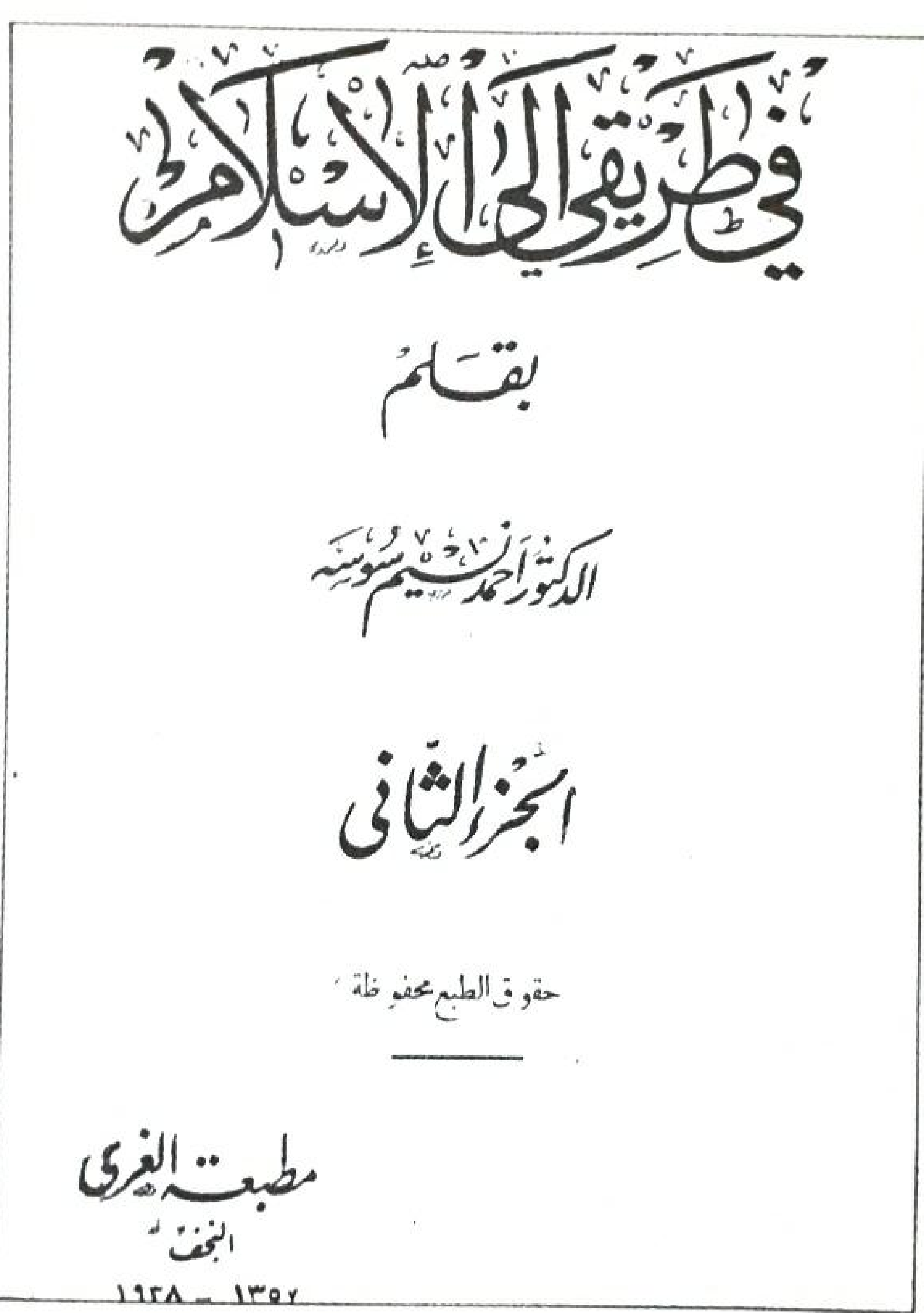
« وما كان قط اعتناق الناس لدين من الأديان لما يرجون من متاع ولذة ، بل لما يثور في قلوبهم من دواعي الشرف والعظمة »
توماس كارليل

القاهرة

١٣٥٥ — ١٩٣٦

المطبعة السلفية ـ ومكتبتها
لصاحبيهما محب الدين الخطيب

التصوير رقم (٢) ـ صورة غلاف كتاب « في طريقي الى الاسلام » ، الجزء الاول ، مطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٣٦ .



في طريقي الى الإسلام

بقلم

الدكتور احمد نسيم سوسه

الجزء الثاني

مطبعة الغري
النجف
١٣٥٧ - ١٩٣٨

التصوير رقم (٣) - صورة غلاف كتاب « في طريقي الى الاسلام » ، الجزء الثاني ، مطبعة الغري ، النجف الاشرف ، ١٩٣٨ .



صورة الاعلام الشرعي الصادر من محكمة مصر الابتدائية الشرعية
بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٥

التصوير رقم (٤) ـ صورة الاعلام الشرعي الصادر من محكمة مصر الابتدائية الشرعية بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٥ ، (٧ نوفمبر ١٩٣٦) .



التصوير رقم (٥) ـ اخذت هذه الصورة في الحفلة التكريمية التي اقامتها جمعية الهداية الاسلامية بالقاهرة ويرى فضيلة الاستاذ السيد محمد الخضر حسين رئيس الجمعية ، وعن يمينه المؤلف وعن يساره الدكتور محمد الهاشمي عضو البعثة العراقية ويحيط بهم صاحب العزة محمد حلمي بك وكيل التفتيش الاداري وبعض شبان الجمعية وشباب الجامعة المصرية .



التصوير رقم (٦) ـ هذه صورة ثانية اخذت في اثر حفلة التكريم التي اقامتها جمعية الهداية الاسلامية ويرى الاستاذ محمد الخضر حسين رئيس الجمعية يحيط به أعضاء الجمعية وبعض شباب الجامعة المصرية ..

الى المؤلف

من قصيدة للعلامة الشيخ كاظم آل كاشف الغطا

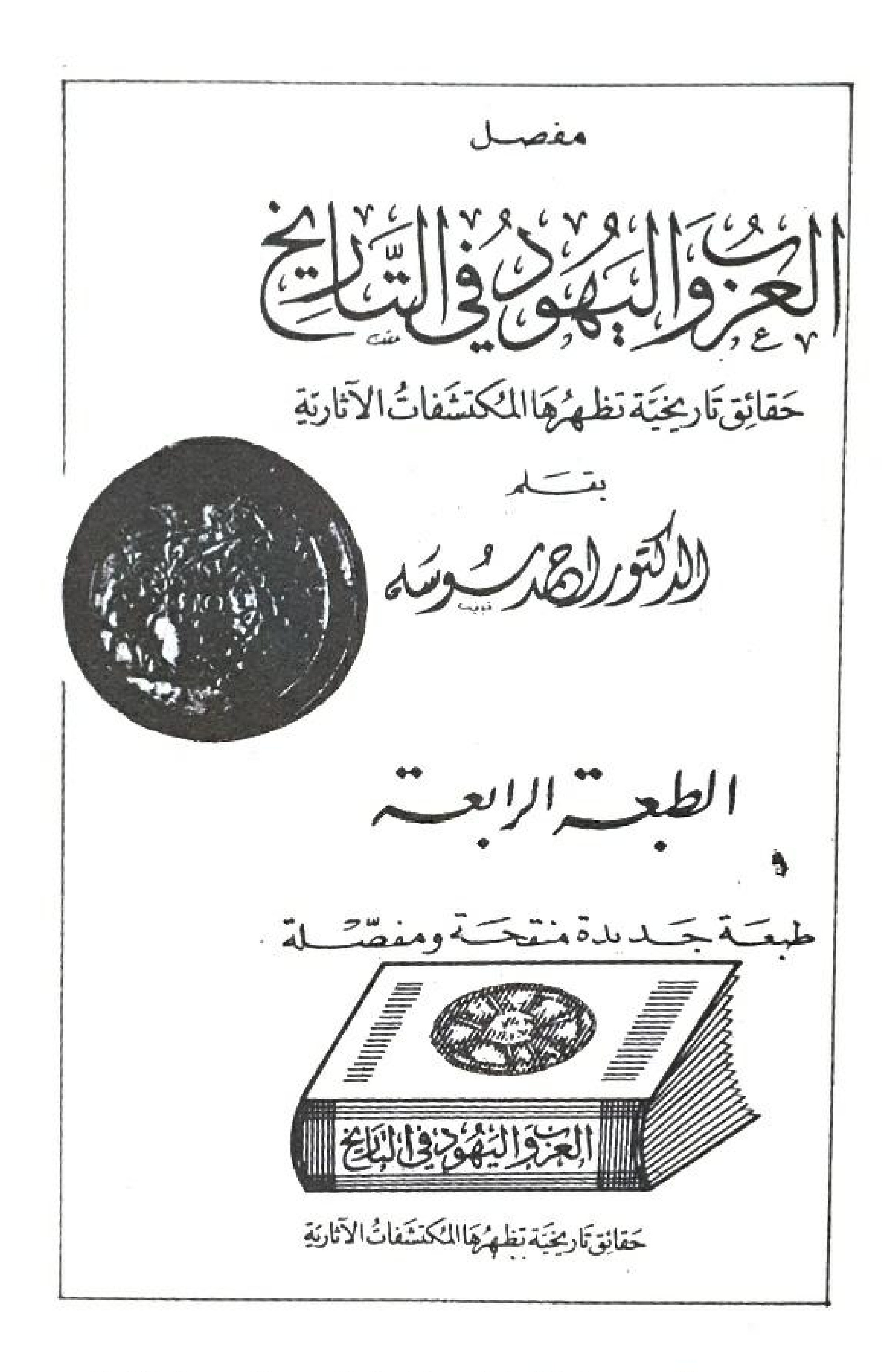
حَلَفتُ بِربِّ مكَّةَ والمصلّى
وبالبيتِ المقدّس والحطيم
لَذكركَ يانسيمُ أحبّ عندى
من الشهدِ المصفّى والنسيم
مدحتكَ ياقليل المثل لمّا
رأيتك حلوماً خُلق الحليم
أقول لعاذلي لمّا لحانى
غرامى فى محبته غريمى
عشقتُ مكارمَ الأخلاق منه
وحسنُ الخلق يُعشق فى الكريم
يفوق بفعله علمَ البرايا
ويبهر حلمُه عقلَ الحكيم

تغرّبَ فى طلاب العلم غربا
وأشرق نورُه فوقَ النجوم
يحبُّ الخيرَ والاحسانَ طبعا
يقول لنفسه للخير رُومى
وخيرُ طبائع الانسان فيه
من المعروف والقلب السليم
يَزيدُ تواضعا إن زاد شأنا
كذلك شأنُ ذى الشرف القديم

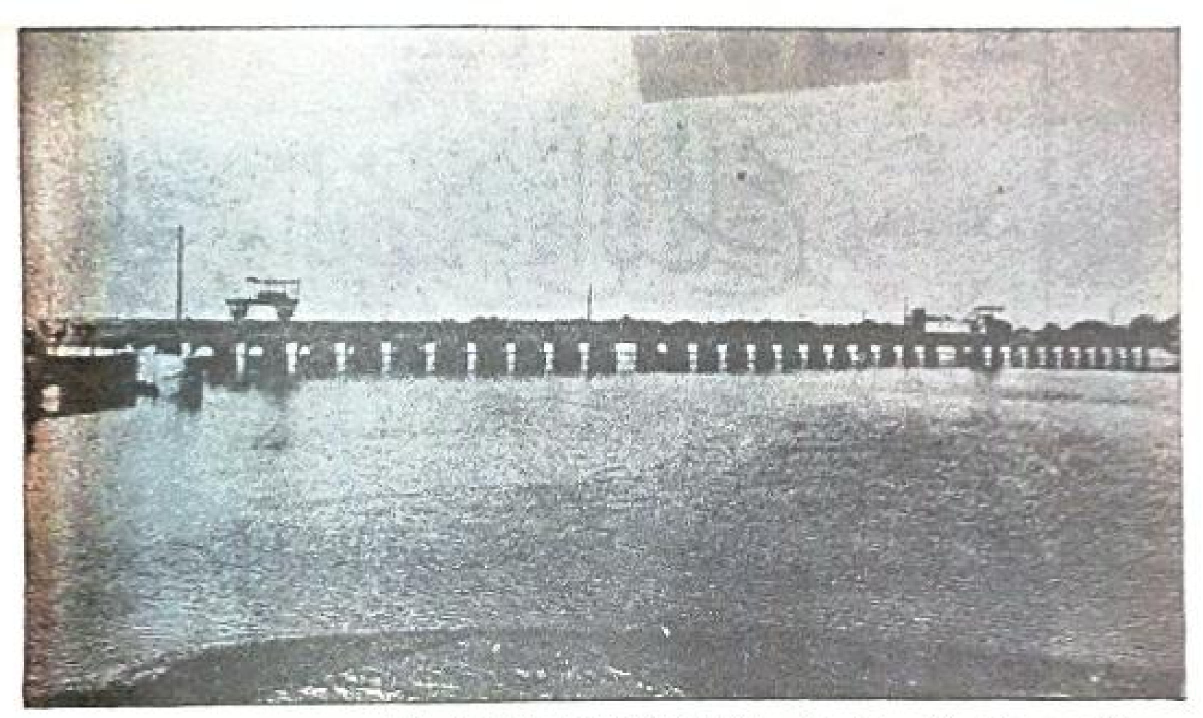
فبشرى يا بنى الأوطان بشرى
لهذا القطر بالرجل الكريم
لينعم بما يحبيى فى حياة
أقول لها مدَى الأيام دومى
بأنواع المسرّة والتهانى
ورغدِ العيش والشرف الجسيم
تفوح الحلة الفيحاء منه
بطيب الذكر والفضل العميم

بحجر المجدِ والمعروف رُبّى
وغُذّى بالمعارف والعلوم
وهاجرَ لاكتساب العلم دهراً
يخاطبُ نفسه بالجدّ قومى
يحققُ سائرَ الأديان مهما
يكلفه من النصب الأليم
كفى الاسلامَ والتنصير بحثا
لتمييز الصحيح من السقيم
ويسهر دائما طولَ الليالى
يقول لكتبه أنتِ نديمى
نديمٌ يُطرب الأفكارَ طوراً
ويؤنس ساهرَ الليل البهيم
نديمٌ لايمل ولا يعادى
ولا يفشى لأسرار الكتوم

التصوير رقم (٧) – من قصيدة للعلامة الشيخ كاظم آل كاشف الغطاء الى المؤلف (مؤلف كتاب « في طريقي الى الاسلام » ..) ..



التصوير رقم (٨أ) ـ صورة غلاف كتاب « مفصل العرب واليهود في التاريخ » ، الطبعة الرابعة ، قام بنشره المكتب العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ، دمشق ، ١٩٧٥ .



التصوير رقم (٩) - مشروع سدة الهندية (١٩١١-١٩١٢) ، قام بتصميمه وتنفيذه السير ويليام ويلكوكس احياء لمشروع بالاكوباس القديم ..



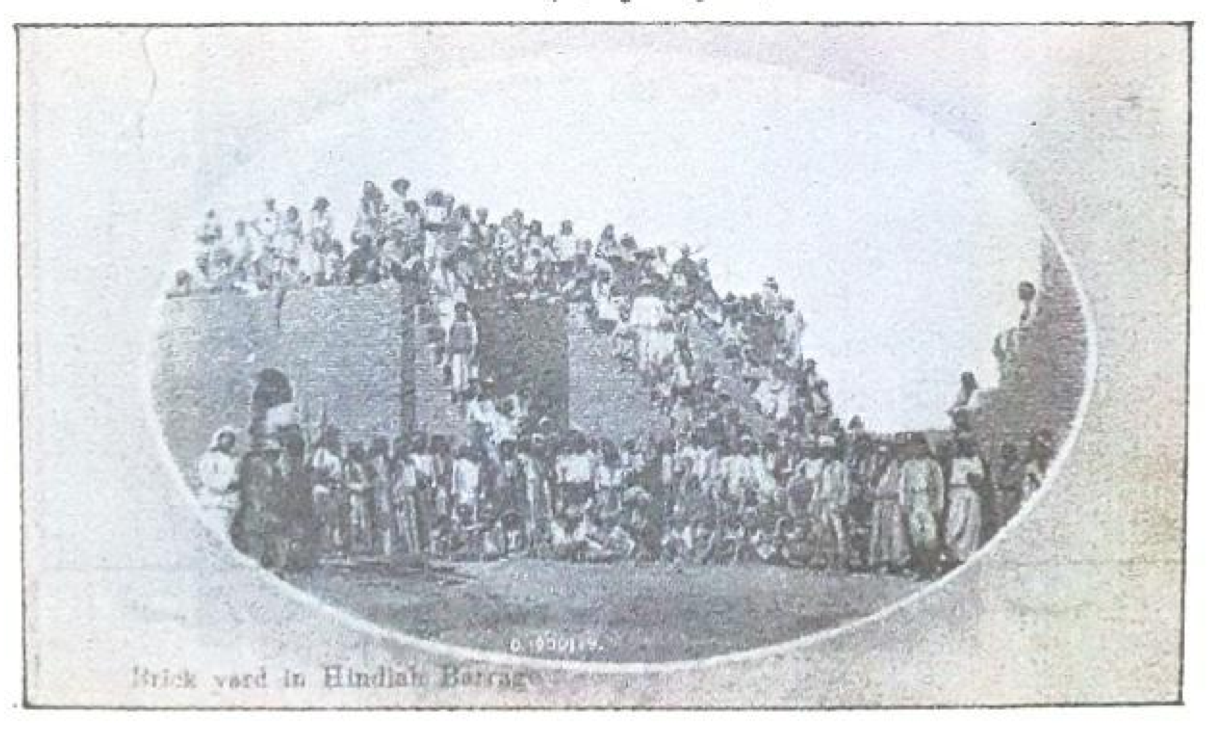
التصوير رقم (١٠).

سير ويليام ويلكوكس (١٨٥٢-١٩٣٢)



التصوير رقم (١١) - المؤلف في مزرعة وبستان المهناوية ١٩١٢ ، حيث كان يقضي اكثر اوقاته فيهما ..

التصوير رقم (١٢) - مشهد من حفلة إفتتاح مشروع سدة الهندية يوم ١٢ كانون الاول ١٩١٣
(أنظر الفقرة ٦)


Brick yard in Hindiah Barrage

THE

HINDIYAH BARRAGE

Its

History, Design and Function

BY

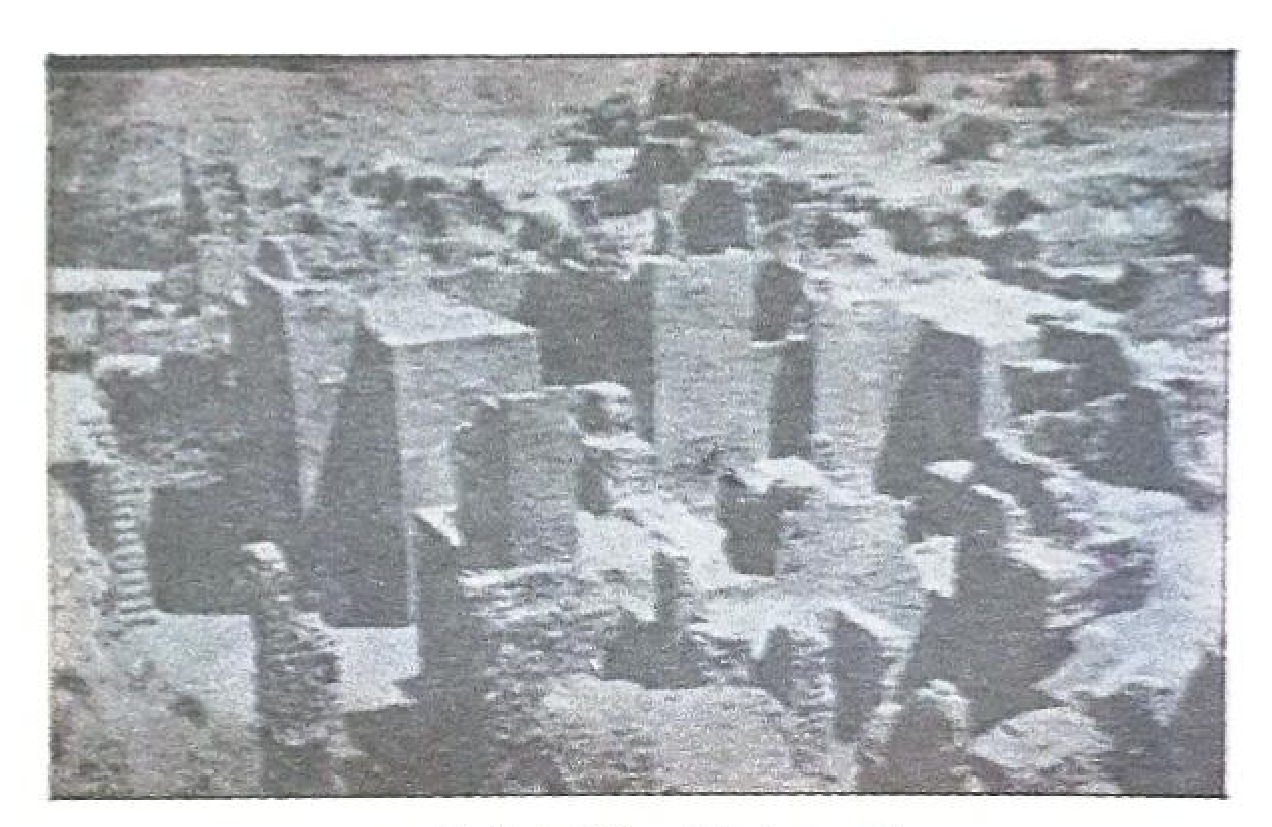
Ahmed Sousa, B. Sc., M. A., Ph. D.

Irrigation Engineer, Irrigation Directorate General

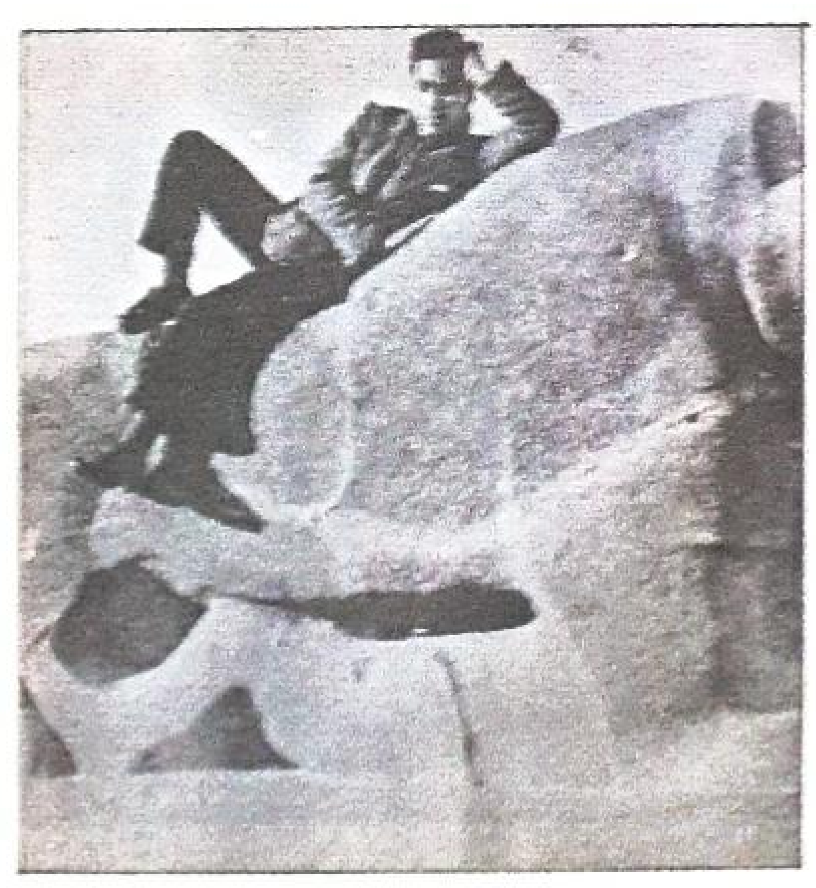
With 17 Maps and 22 Illustrations

Printed at the Government Press,
BAGHDAD
1945

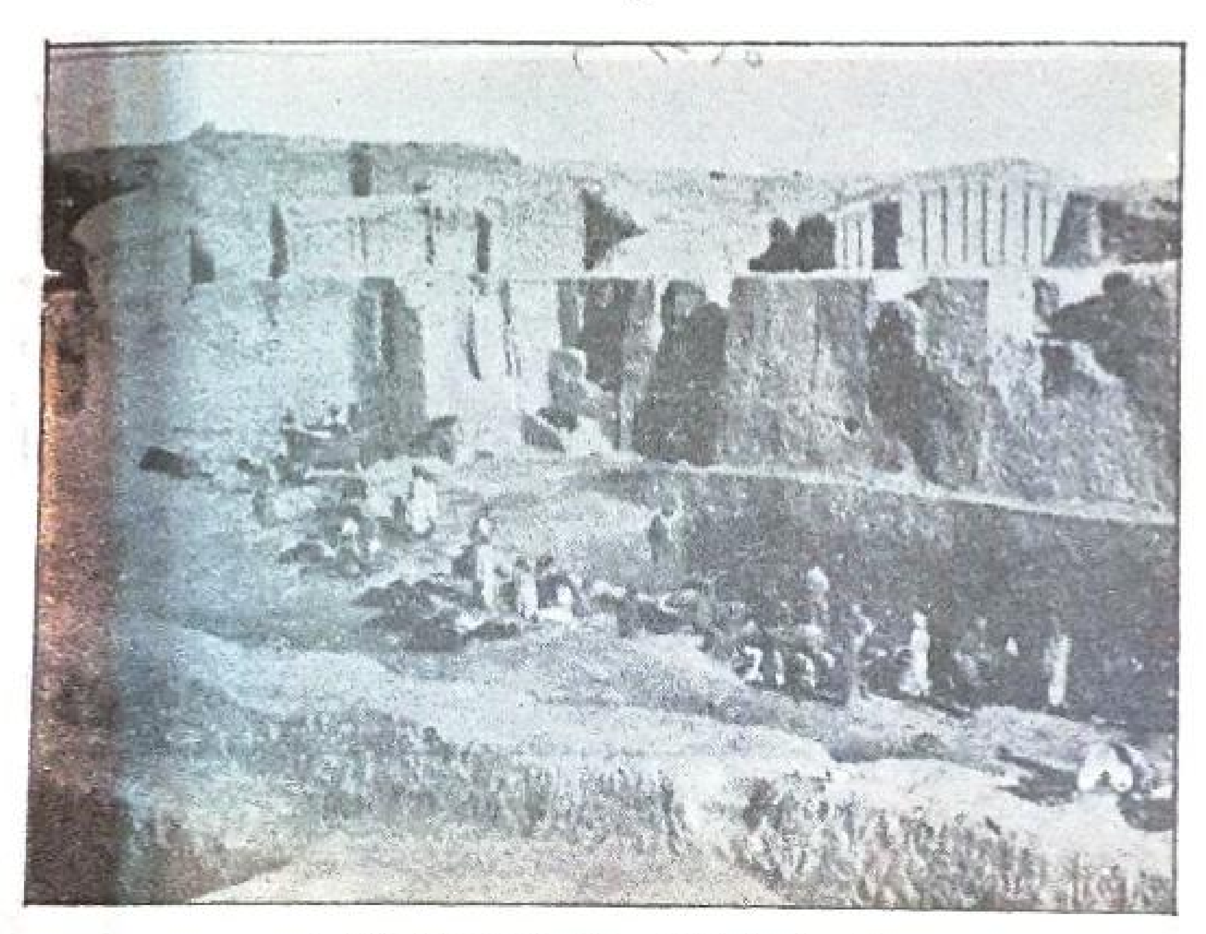
التصوير رقم (١٢) ــ صورة كتاب « مشروع سدة الهندية ــ تاريخه ، تصميمه ، عمله » ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٥ .



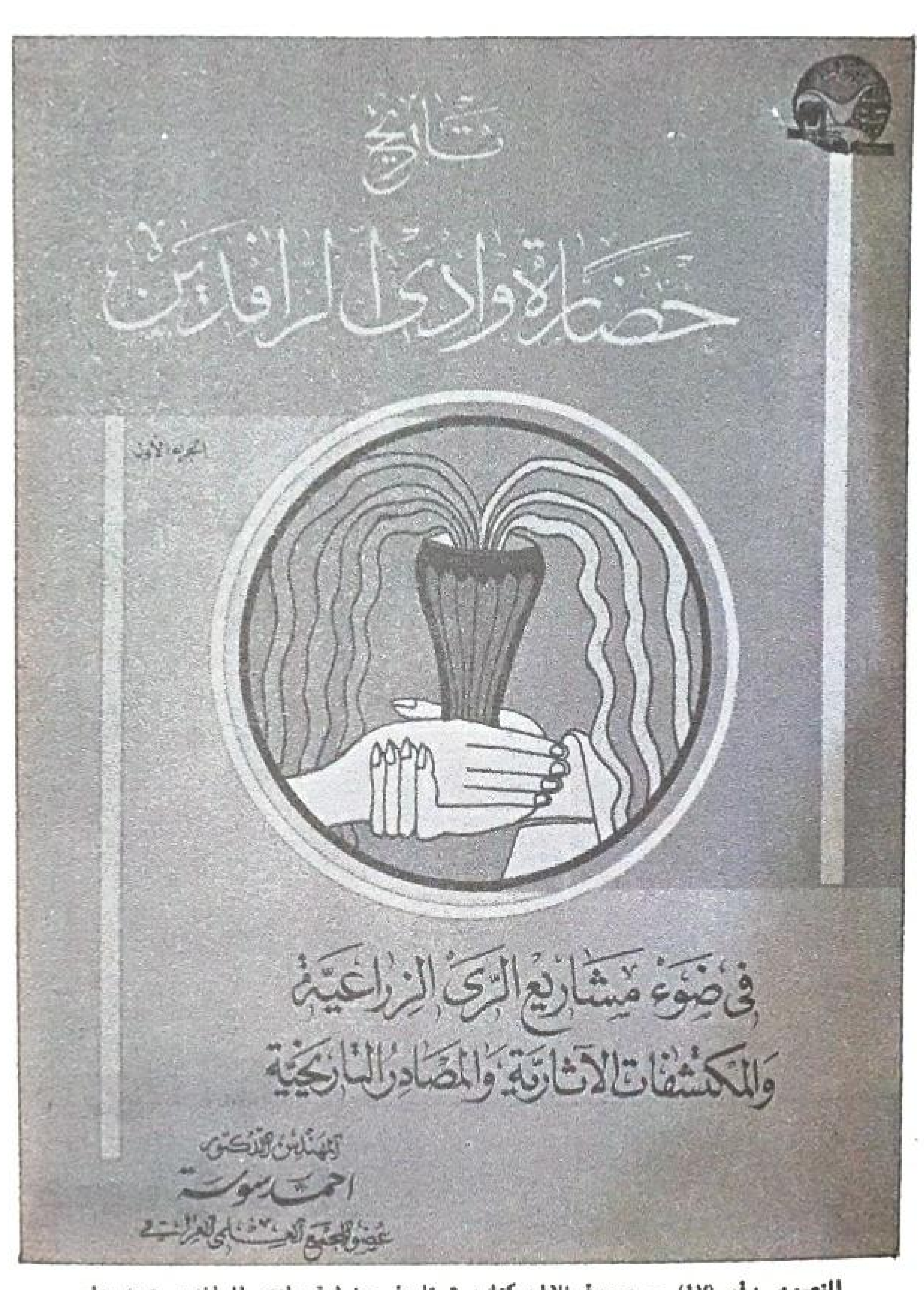
التصوير رقم (١٤) - أطلال مدينة بابل .



التصوير رقم (١٥) - المؤلف فوق أسد بابل سنة ١٩١٩ .



التصوير رقم (١٦) ـ منظر لاطلال مدينة كيش .



التصوير رقم (١٧) - صورة غلاف كتاب « تاريخ حضارة وادي الرافدين » ، دار الحرية ، ١٩٨٣ .



القسم الاول

اسرة ال سوسة

« ان اسـرتنا (آل سوسه) عربيـة الأصل ، في الوطن ، وفي العرق ، وفي القومية واللغة ، وهي من قبائـل الجزيرة العربيـة المتهودة قبل الاسـلام ، وقد استقرت على سـاحل الفرات الأوسـط على عهد الخليفة عمر (رض) حين اخرج القبائل العربية المتهودة والمتنصرة من جـزيرة العرب ٠ وقد امتهنت الاسرة الزراعـة ومارستها في جنوب اليمـن (حضرموت) وفي سواد العراق واستمرت تعمل في هذا الميدان منذ ان وطات اقدامهـا ارض العراق لفترة حوالي ثلاثمائة والف سـنة ٠ فتركت ثلاث قرى زراعية على نهر الفـرات وبستانا على نهر دجلة وهذه لا تزال تحمـل اسم الاسرة (سوسه) حتى هذا اليوم ٠ » ٠

١ ـ تمهيد . ٢ ـ هجرة جدنا الاقدم وحاشيته من جزيرة العرب الى منطقة الفرات الاوسط . ٣ ـ اصل تسمية لقبنا (سوسه) . ٤ ـ مدينة سوسه في تونس . ٥ ـ قرية سوسه في البو كمال بسورية . ٦ ـ جزرة سوسه وعين سوسه في منطقة الحديثة . ٧ ـ قرية سوسه في الصقلاوية وبستان سليم افندي سوسة في بغداد . ٨ ـ انتقال الاسرة الى الحلة ـ تاريخ ولادتي فيها . ٩ ـ حادث ملجع .

ان وطن اسرتنا (آل سوسه) الاصلي هو جزيرة العرب (جنوبي اليمن) ، فأسرتنا تنتمي الى القبائل العربية التي تهوّد بعض بطونها وافخاذها في جنوبي الجزيرة ، وقد اجليت البطون التي لم تكن لها عهود خاصة مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر (رض) (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) ، فنزحت الى سواحل نهر الفرات الاوسط المحاددة لبادية الشام ، وقد كانت أسرتنا من بينها .

وقد حافظت هذه البطون المتهودة على قوميتها ولغتها العربية وتقاليد وعادات القبائل التي تفرعت منها متمسكة باعرافها ونظم حياتها الاجتماعية في الجاهلية ، ولم يفرّق بين اخوانهم العرب في شيء غير الدين الذي اعتنقوه عن طريق التبشير ، فحفظوا على ظهر قلب بعض نصوص التوراة باللغة العبرية بتلقين الكهنة المبشرين من اليهود من غير أن يتفهموا معناه . هذا في حين ان بعض بطون اخرى من قبائل الجزيرة قد تنصروا فيما بعد عن طريق التبشير ايضاً محافظين مثل البطون المتهودة على لغتهم العربية وعاداتهم وتقاليدهم واعرافهم كنصارى نجران والمناذرة والفساسنة وغيرهم .

وقد بقي أهل الجزيرة بين اليهودية والنصرانية والوثنية حتى ظهر الاسلام ، دين الحق والفطرة ، فاخذ به العرب عن عقيدة وايمان ، وقد انزل بنفس اللغة العربية التي ورثوها عن أجدادهم (انا انزلناه قرآنا عربياً) ، فتحمسوا له ودخلوا فيه افواجاً حتى انتشر في الآفاق واكتسح الوثنية من اكثر بلاد العالم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) . وفي ذلك يقول العالم الالماني الدكتور « دتلف نيلسون » : « لا يوجد دين من الأديان قدّر الله له النجاح في القضاء على الوثنية كما قدر للاسلام . »(١)

---

(١) « التاريخ العربي القديم » ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ، ص١٧٣ .

وهناك ما يدل على ان اكثر الجماعات المتهودة والجماعات المتنصرة التي اخرجت من جزيرة العرب وفي جملتها بعض افراد عائلة سوسه اعتنقت الاسلام بعد ظهوره وانتشاره لما بينهم وبين مجاوريهم من القبائل العربية من تراث مشترك يجمع بينهم جميعاً ، وهو التراث العربي المتمثل بحياة البداوة القاسية والبيئة الصحراوية .

ولما هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة حرص على تحقيق الوحدة بين القبائل العربية وازالة ما كان بين اهل المدينة قبل الاسلام من الفرقة بابطال حروبهم ومنازعاتهم حتى يسود الاخاء بينهم جميعاً . وتحقيقاً لذلك كتب كتابا في ذلك جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم امة واحدة من دون الناس ... وان من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وان يهود بني عوف آمنة من المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم ، الاّ من ظلم واثم ، فانه لا يوقع الاّ نفسه واهل بيته وان ليهود بني النجار ويهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبة ولجفنة ولبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف . وان موالي ثعلبة كانفسهم وان بطانة يهود كانفسهم وانه لا يخرج منهم احد الاّ باذن محمد صلى الله عليه وسلم »(٢)

يتضح مما تقدم ان الذي كان يفرق بين الأمة الواحدة هو الدين وحده ، فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يرمي من وراء كتابه المذكور تحقيق الإخاء بين الجميع بصفتهم امة واحدة وان لا يكون الدين سبباً في الفرقة بين القبائل ذات القومية الواحدة (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) . وفي هذا الشعار الانساني السامي دليل واضح على ان القبائل المتهودة عربية الاصل ، وان اليهودية كانت منتشرة بين اكثر القبائل العربية حتى بين قبيلة الاوس المناوئة لليهود .(٣) ومن الواضح ايضاً ان المقصود باليهود في كلام النبي صلى الله عليه وسلم هو القبائل العربية المتهودة في جزيرة العرب .

وذكر العلماء ان البعض من الانصار كان مسترضعاً في بني قريظة (من يهود يثرب) وغيرهم من اليهود ، فتهودوا ، وان من الانصار من كان يرى في الجاهلية ان اليهودية افضل الأديان ، فهوّدوا أولادهم ، فلما جاء الاسلام ودخلوا فيه ، ارادوا إكراه ابنائهم الذين تهوّدوا على الدخول فيه ، فنزل

---

(٢) سيرة ابن هشام ، ج٢ ، ص١٤٧–١٤٩ وما بعدها

(٣) « تاريخ اليعقوبي » ، طبعة النجف ، ١ : ٢٢٦

الوحي بالآية الشريفة : « لا اكراه في الدين . قد تبين الرشد من الغي . »(٤) وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « قد خيّر أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم ، وان اختاروهم فهم منهم . »(٥) وقد شرحنا هذا الموضوع بشكل أوسع في القسم الثاني « موجز تاريخ يهود العراق القديم » .

٢ - هجرة جدنا الاكبر وحاشيته الى منطقة الفرات الاوسط

لقد نزحت أكثر البطون المتهوّدة من القبائل العربية التي أجلاها الخليفة عمر (رض) عن جزيرة العرب الى وادي الفرات في سوريا والعراق ، بينما اتجهت بطون أخرى الى شمالي افريقية وغيرها من البلاد العربية المجاورة ، كما لجأ بعض اليهود العرب من نواحي الحجاز وخيبر الى الكوفة فاشتهر من يهود الكوفة موسى بن اسرائيل الطبيب الكوفي (١٢٥-٢٢٢هـ)(٦) وقد استقر جدنا الاكبر وأسرته وحاشيته ومعهم ماشيتهم وأموالهم المنقولة في منطقة الفرات الاوسط ، وهي المنطقة التي اتجهت نحوها الهجرات العربية من الجزيرة نفسها في عهد الاكديين والعموريين والبابليين والآشوريين والكلدانيين قبل أكثر من خمسة آلاف سنة ، اذ كان الفرات منذ اقدم العصور ولا يزال الموئل الطبيعي للهجرات العربية من وطنها الصحراوي في جزيرة العرب . ولما كان يهود الجزيرة الذين كانوا يسكنون في منطقة حضرموت الزراعية ذوي خبرة بالاعمال الزراعية فمارسوا الزراعة في مستقراتهم الجديدة على نهر الفرات الى جانب أهل المنطقة ، وهم عرب مثلهم لم يفرق بينهم غير الدين .

وقد ورد فيما رواه الاخباريون أن الخليفة عمر (رض) لما أمر باجلاء من لم يكن له عهد خاص مع النبي محمد (ص) من اليهود عن جزيرة العرب ارسل أبا الهيثم بن التيهان وسهل بن ابي خيثمة وزيد بن ثابت ، فقوموا نصف التربة بقيمة عدل ، فدفعها اليهم ، وأجلاهم الى جهة بلاد الشام.(٧) وهذا ما معناه ان عمر (رض) دفع تعويضا الى العرب اليهود الذين اجلوا عن ديارهم عن اموالهم غير المنقولة وممتلكاتهم الارضية . أما المقصود ببلاد الشام فهو منطقة الفرات الاوسط .

ويلاحظ أن هذه المناطق التي نزح اليها اعراب الجزيرة المتهودون لم تكن في أواسط القرن السابع الميلادي ، أي قبل حوالي الف وثلاثمائة سنة كثيفة السكان ، اذ كان المجال فسيحا لكل من كانت عنده امكانية اعمار الاراضي

---

(٤) سورة البقرة ، رقم ٢ ، آية ٢٥٦

(٥) تفسير الطبري ٣ : ١٠ وما بعدها

(٦) « طبقات الاطباء » ، ج١ ، ص١٦١

(٧) الدكتور جواد علي ، « العرب قبل الاسلام » ، ٦ : ١٧٢

الزراعية ، فكان شان القادمين الى هذه المنطقة شان جميع القبائل العربية التي نزحت من جزيرة العرب واستقرت في مناطق الهـلال الخصيب • ولما كان القادمون عربا لغة وقومية فلا عجب ان استقبلهم السكان ببالغ الترحيب عملا بما اشتهر به العرب من اكرام الضيف وايواء الغريب • والمهم في هذه المرحلة ان مبدأ « الارض لمن يزرعها » كان هو المطبق عمليا وبصورة طبيعية مع مراعاة حق الاسبقية لمن وجد من قبل •

وهناك ما يدل على أن سكان هذه المنطقة سمحوا لهؤلاء القادمين بأن يستغلوا بعض الاراضي الزراعية الخصبة على نهر الفرات فاستقروا في المنطقة الممتدة على طول نهر الفرات في مناطق دير الزور وعانة والحديثة ، حيث كانت هناك مراكز يهودية مهمة • ففي بلدة «دورا» (صالحية الفرات) عثر على اثر كنيس قديم يرجع الى القرن الثالث الميلادي مما يدل على ان بضع عائلات هناك اعتنقت الديانة اليهودية •(٨) وفي كتابة آرامية عثر عليها في هذا المعبد تشير الى انه قد شيد سنة ٥٥٦ سلوقية تقابلها السنة الثانيـة من تولي الامبراطور فيليب العربي (حوالي سنة ٢٤٦م)(٩) • وتتميز الرسوم الجدارية في هذا المعبـد بطابعها الفني المحلي اذ لم يعثر على ما يماثلها ، وقد احتفظ بهذه الرسـوم في المتحف الوطني بدمشق • وتتالف هذه الرسوم من صفوف متوازية تمثل مشاهد مقتبسة من العهد القديم(١٠) ، منها قصة مولد النبي موسى وقصة استير• وكذلك توجد آثار كنيس قديم ومقبرة يهودية في عانة • ومن المراكز اليهودية التي كانت على نهر الفرات في أثناء نزوح يهود الجزيرة العربية الى جهة الفرات الجاليات اليهودية في منطقة « نهر دعة » قرب عانة وفي « فومبديثة » قرب الانبار وسورا على نهر الفرات وقد اسست فيها كبريات المدارس التلمودية •

---

(٨) كانت بلدة « دورا » ميناءاتدمريا مهما على الفرات ، تقع على بعد ٨٥ كيلومترا عن دير الزور الى الجنوب الشرقي منها و٢٢٤ كيلومترا عن تدمر الى الشرق منها ، أسسها الاغريق في اعقاب الاسكندر المقدوني ، وسميت « دورا اوروبوس » أو « دورا نيكاتوربس » نسبة الى نيكاتور ، احد كبار القواد المقدونيين (٣٨٠-٣١٢ق.م.) قيل انه انشاها سنة ٣٠٠ ق.م. والمدينة على شكل حصن منيع واقعة على هضبة على ضفة الفرات الغربية تطل على النهر والصحراء . اما لفظ «دورا» فيعتقد انه ارامي .

(٩) يبدأ التاريخ السلوقي في العراق في اول نيسان عام ٣١١ق.م. وهذا هو التقويم البابلي للعصر السلوقي . وقد شاع استعماله في العراق وايران وسورية والحضر وميسان في سواحل الخليج العربي كما استعمله الملوك الفرثيون في تاريخ النقود التي سكوها .

(١٠) - انظر : « المتحف الوطني بدمشق - دليل مختصر » ، ١٩٦٩ ، ص١٥٤ ، ١٦٠ ؛ عبدالقادر عياش ، « منطقة البو كمال في محافظة دير الزور » ، ١٩٧٣ ، ص١٧-٢١ . انظر ايضا : Ency. Brit., 1965, 7:612.

وكان ليهود الفرات اتصال وثيق بالعرب الساكنين بجوارهم وكانوا يعيشون معهم بسلام ووئام كما كانوا يتاجرون معهم ويعقدون احلافا على طريقة اهل المدن والحضر في عقد عهود ومواثيق مع سادات القبائل لمنع الطامعين بهم من التحرش باملاكهم وتجارتهم ، وكانوا يشاركون مع حلفائهم في دفع الدية وما الى ذلك من الواجبات الملقاة على عاتق القبيلة المتعاقدين معها . ومن عادات القبائل العربية في العراق ان من ينزل بها من القبائل الاخرى يصبح منتميا الى تلك القبيلة مع احتفاظه بنسب قبيلته الاصلية . ومما لا شك فيه ان القادمين الى العراق من القبائل العربية المتهودة طبقت عليهم هذه العادة شانهم في ذلك شان القبائل العربية الاخرى التي كانت تنزح من جزيرة العرب وتنزل بالمدن وتمارس الحياة الزراعية المستقرة .

وتدل الاخبار المتواترة على ان بعض اليهود العرب الذين نزحوا الى ساحل الفرات الاوسط على أثر اجلائهم من جزيرة العرب كان من قبيلة قضاعة[11] التي يتنبأ البكري في كتابه « معجم ما استعجم » ان بعض بطونها من قبيلة بلي قد تهودت وسكنت في تيماء . فذكر البكري ان بني حشنه بن عكارمة ، وهم من بلي قتلوا نفرا من بني الربعة ثم لحقوا بتيماء « فابت يهود ان يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فادخلوهم المدينة . فكانوا معهم زمانا ، ثم خرج منهم نفر الى المدينة ، فاظهر الله الاسلام ، وبقية من اولادهم بها .»[12] وهذا دليل واضح على ان العرب المتهودين في الجزيرة العربية كانوا ينظرون الى اليهودية قبل الاسلام نظرة حزب سياسي او تكتل قبلي لأن القومية العربية بما فيها التعصب القبلي كانت أقوى وارسخ من ان تستبدل بدين لم يفهموا منه أكثر من انه يدعو الى عبادة اله واحد وهذا ما كانت تتقبله القبائل العربية كعقيدة افضل من الوثنية. لذلك لم يكن اعتناق القبائل العربية مستندا الى اسس دينية صريحة كما نفهمها الآن يتوجب على معتنقيها ممارستها كديانة ذات قواعد معينة فكان رئيس القبيلة هو وحده الذي يقرر ذلك فيتبعه الافراد .

---

(11) كانت مساكن قضاعة في شمال الحجاز بين جدة وذات عرق قرب مكة ، ثم افترقت فسارت فرقة الى ارض الجزيرة (جزيرة ما بين النهرين) وعليها ملك يقال له الضيزن نزل مدينة الحضر وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلها الى الشام . انضم الى الرومان واغار على بلاد الفرس والسواد وتغلب على الفرس في منطقة شهرزور . ولكن الملك الساساني (سابور الجنود) جرد حملة على الحضر ففتح المدينة وقتل الضيزن وقضى على مملكته (انظر كتاب « الحضر مدينة الشمس » ، لفؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، بغداد ، ١٩٧٢).

(12) الجزء الاول ، ص٢٩ .

وقد اخذ العرب المتهودون النازحون الى ساحل الفرات يمارسون الزراعة الى جانب المزارعين العرب في المناطق التي حلوا بها واندمجوا بالمحيط العربي الاسلامي بشكل طبيعي بعد انتشار الاسلام في هذه المناطق ذاتها واتخذ اكثرهم الاسلام دينا لهم وبقي القليل منهم على اليهودية • ومما يدل على اندماج هؤلاء العرب المتهودين الذين بقوا على يهوديتهم مع السكان ما ذكره الرحالة البرتغالي « بدرو تكسيرا » (Pedro Teixeira) الذي زار العراق سنة ١٦٠٤/١٦٠٥م عن يهود عانة قال : « ان مائة وعشرين بيتا من سكانها (سكان عانة) يهود عرب وان لم يكونوا اغنياء فانهم يعيشون عيشا وسطا ويراعي جانبهم امير البلاد وموظفوه وكانوا يملكون بيوتا واراضي كما يملك العرب (المسلمون) الذين يؤلفون بقية سكانها » (١٣)• ولا شك في ان هؤلاء من بقايا العرب المتهودين الذين نزحوا من جزيرة العرب الى شطئان الفرات الغربية وقد بقوا على يهوديتهم وهم عرب كما سماهم بدرو تكسيرا • وقد اضاف بدرو تكسيرا الى ذلك قوله : « وان عددا من هؤلاء اليهود اغنياء ولكن اغلبهم في فقر مدقع وجميعهم يسكنون محلة واحدة ولهم كنيس ومصلى ويقومون بشعائر دينهم بكل حرية • »

اما القبائل العربية المتنصرة التي اجلاها الخليفة عمر (رض) مع القبائل العربية المتهودة فكان أكثرهم من نجران ، فاشترى عمر (رض) منهم أموالهم (بمعنى عوضهم عن ممتلكاتهم) ولجاوا الى جنوب الفرات في جوار الكوفة حيث اسسوا هناك مستعمرة سموها باسم بلدهم الاصلي (نجران) كما ان بعضهم انتقل الى قرية تدعى « نهر ابان » (من طساسيج الكوفة) وهؤلاء اندمجوا بالمحيط الاسلامي كليا فاعتنقوا الدين الاسلامي على الأرجح حيث لم يسمع عنهم شيء •(١٤) وتشير الاخبار الى ان الخليفة عمر (رض) أعفى نصارى بني تغلب واهل نجران من دفع الجزية •

ومما كان يشجع اللاجئين الجدد من المتهودين ومن المتنصرين على الدخول في الاسلام التخلص من دفع الجزية التي كانت تؤخذ من اهل الذمة أي اليهود والنصارى البالغين من الذكور • اما مقدار الجزية التي فرضها عمر بن الخطاب (رض) على اهل الذمة في العراق فهناك روايتان ، الاولى تفيد انه فرض ٢٤ درهما في السنة على كل شخص ، والرواية الثانية تفيد انه فرض ٤٨ درهما على الاغنياء و٢٤ درهما على متوسطي الحال و١٢ درهما على العامة ،

---

(١٣) يوسف غنيمة « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق » ، ١٩٢٤ ، ص١٦٠
(١٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ : ٧٥٧–٧٥٨ •

وهذه تسقط عن الفرد بمجرد دخوله في الاسلام ٠(١٥) هذا مع العلم ان الصابىء الى الاسلام كان يعفى من جميع الضرائب على الاطلاق بما في ذلك الخراج اي ضريبة الارض ٠ فكانت تعفى الارض التي يملكها غير المسلم من الضرائب اذا صبا المالك الى الاسلام او اذا باعها الى مسلم ٠ فنشأ نتيجة لذلك دافع اقتصادي قوي الى الدخول في الاسلام ٠ وقد ظل هذا النظام معمولا به اكثر من قرن في صدر الاسلام ٠(١٦)

٣ ـ اصل تسمية لقبنا (سوسه)

ان أصل تسمية لقبنا (سوسه) نسبة الى قبيلة عربية في جنوب اليمن كانت تعرف باسم « قبيلة بني سواسة » كانت مساكنها في مقاطعة رُعَيْن المشهورة الواقعة الى الجنوب من صنعاء ٠ وتاريخ هذه القبيلة قديم جدا يتصل بسكان حضرموت القدامى الذين اشتهروا بممارستهم الزراعة التي تعتمد على الري كما اشتهروا في كونهم أهم شعوب العالم المصدرة للبخور الذي كان يؤلف مادة ثمينة في ذلك الزمن حيث كان يقدم الى الملوك والآلهة(*) ٠ وكان هناك سد وخزان في مقاطعة (مخلاف) رُعَيْن يعرف باسم (سد ذي رعين) وكانت تتفرع من الخزان عدة جداول لارواء الحقول الزراعية ٠ وكانت قبيلة بني سواسة قبيلة فلاحية تمتهن الزراعة التي تعتمد على الري شانها شان منطقة

---

(١٥) الدوري ، « تاريخ العراق الاقتصادي » ص١٩٦ ، عن كتاب « نزهة القلوب » لمؤلفه حمدالله المستوفى القزويني ، من طبعة ليدن ، ص٢٩ ٠

(١٦) دانيال ويتيت ، « الجزية والاسلام » ، ترجمة الدكتور فوزي فهيم جادالله ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص٢٠ ٠

(*) البخور يتالف من اللبان والمر وهو نوع من الصمغ يتجمع تحت قشور الاشجار وتستخدم هذه المادة في تحضير الادوية والمواد العطرية والتحنيط ، وينمو نبات هذه المادة في المناخ الحار الرطب ، وكان يزرع في وقت ما قرب بيجان فيما يعرف اليوم باسم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وكان قدماء المصريين يحرقون البخور للالهة في عباداتهم وكانوا يرسلون الحملات الى الجزيرة العربية لجلب هذه المادة ، وقد جربت زراعة هذا النبات في مصر فجلبت منه اشجار عديدة الى مصر ولكن زراعته لم تفلح في الجو الجاف . وكانت تجارة البخور العمل الرئيس في عهد مملكة سبا في اربع او خمس امارات تابعة للجزيرة العربية السعيدة وهي اليمن وظفار الحديثتان . (انظر : اليزابيث مونرو ، مركز دراسات الشرق الاوسط بجامعة اكسفورد ، « الجزيرة العربية بين البخور والبترول » ، ترجمة محمد محمود عن الانكليزية ، مجلة الدارة السعودية ، العدد الاول ،

جنوبي اليمن المتاخمة لمنطقة حضرموت.(١٧) ولما هاجر اهل حضرموت الى شمال جزيرة العرب اثر الجفاف الذي حل بالبلاد اسسوا اقدم مدينة فينيقية يرجع تاريخها المعروف الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١١٠٠ق.م)(١٨) فاطلقوا عليها في بادىء الامر اسم (Hadrumetum) أي حضرموت(١٩)، وهي اسم المنطقة التي نزحوا منها كما جرت العادة المتبعة عند المهاجرين العرب الاوائل ثم غلبت عليها تسمية سوسة نسبة الى قبيلة بني سواسة . وتعد حضرموت من اقدم المدن المهمة التي لا تزال تحتفظ باسمها القديم حتى يومنا هذا، الاسم الذي كانت تعرف به قبل اكثر من ثلاثة آلاف سنة .(٢٠) وبعد ان تاسست قرطاجنة سنة ٨١٤ ق.م. أصبحت مدينة سوسة تابعة الى قرطاجنة فوسعها الفينيقيون (٢١) . ولما كان الفينيقيون هم والكنعانيون من أصل واحد وكلهم نزحوا من جنوب جزيرة العرب فلا شك في ان يكون للتسمية المتاخرة لمدينة « سوسه » علاقة بسكانها الاصليين الحضرميين، وهذه التسمية نفسها اطلقت على القرى الزراعية التي أسستها أسرة آل سوسه (المنتسبة الى قبيلة بني سواسه) في سواد العراق بعد نزوحها من جزيرة العرب الى وادي الفرات اثر اجلائها منها في القرن السابع للميلاد، أي قرية سوسة في البو كمال بسورية وقرية وعين سوسه في الحديثة وقرية سوسه في الصقلاوية على نهر الفرات وبستان سليم افندي سوسه في شمالي بغداد على نهر دجلة، وقد ورد ذكر قبيلة بني سواسه مقرونة مع رُعَيْن في شعر امرؤ القيس : « ودار بني سواسه

السنة الثانية، ربيع الاول ١٣٩٦هـ ــ مارس ١٩٧٦، ص٢٨-٣٠)

(١٧) علي عقيل : « نموذج تاريخي عن الري في وادي حضرموت »، التراث، العدد الاول عدن، ١٩٧٧ .

(١٨) انظر : الدكتور احمد سوسه، « حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور » ص٢

(19) D. Harden, "The Phoenecians", Penguin Books, Revised ed 1963, pp. 57, 63.

(٢٠) وقد اشتهرت في هذه المنطقة ذاتها منطقة قطبان (مملكة قطبان) المجاورة لحضرموت بثروتها البخورية كانت عاصمتها تمنع (كحلان حاليا)، وقد تميزت هذه المنطقة (وبخاصة منطقة وادي بيجان) بخصبها وكثرة مياهها ومزارعها التي تعتمد على الري، انظر :

W. Phillips: "Qataban and Shiba—Exploring the Ancient Kingdoms of Biblical Spice Routes of Arabia", London 1955; R.B. Bowen, "Irrigation in Ancient Qataban (Beijan).

(٢١) يرى اكثر الباحثين في التاريخ القديم ان الفينيقيين جاؤا في الاصل من منطقة البحرين والساحل المقابل له، فذكر هيرودوتس ان المشهور في ايامه ان اصل الفينيقيين من البحر

في رعين تحط الى جوانبها الرحال » .(٢٢)

اما تسمية رُعَيَنْ التي كانت تقع فيها مساكن قبيلة بني سواسه فهي تصغير رعن ، ورعن جبل باليمن فيه حصن ينسب اليه ملك من ملوك اليمن يقال له « ذو رُعَيَنْ » ، وكان ذو رعين في جملة ملوك اليمن الذين وقفوا الى جانب ابرهة حاكم اليمن في زمن احتلال الحبش لليمن ، وقد وردت أسماء بعض أسرهم في النصوص المدونة قبل الميلاد .(٢٣)

ورُعَيَنْ بطن من بطون حمير من القحطانية واسمه « يريم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وايل بن الغوث بن قطن بن غريب بن زهير بن الهميسع بن حمير »(٢٤) ورُعَيَنْ اسم لمخلاف من مخاليف اليمن الواسعة يقع جنوبي صنعاء بمسيرة ستة مراحل وفيه آثار قتبانية . (٢٥)

وممن اشتهر من رُعَيَنْ جناب بن مريد بن زيد بن هاني الرعيني كان من المقدمين بمصر في ولاية عبدالعزيز بن مروان ولي بها أعمالا واستخلف مرة على امرتها وتوفي فيها سنة ٨٣ هـ (٧٠٣م) ، وعمرو بن كرب بن صالح الرعيني احد المقدمين في أيام عبدالعزيز بن مروان أيضا توفي في القاهرة سنة ٨٣ هـ

الاحمر . ويرى العلماء ان المقصود هنا الخليج العربي (Sinus Percicus) لا البحر الاحمر ويذهبون الى ان الفينيقيين هاجروا من وطنهم في البحرين سالكين الساحل ثم اتجهوا نحو وادي الفرات ومن وادي الفرات انساحوا الى لبنان حيث اسسوا مدنهم على الساحل في المنطقة التي عرفت باسمهم اي فينيقيه (Phoenicia)

انظر : الدكتور جواد علي : « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ١ : ٥٦٧ نقلا عن : Hastings, Dictionary of the Bible, p. 725; Herodotus I, VII, 84.

ويستشهد العلماء بالمقابر التي عثر عليها في البحرين فيرى الذين عنوا بدراستها وفحصها انها مقابر فينيقية وان سكان البحرين هم الفينيقيون ويرى سكان جزيرة البحرين ان اسماء جزائرهم ومدنهم هي اسماء فينيقية . (الدكتور جواد علي ، المرجع السابق ١ : ٥٦٦)

(٢٢) الاكليل للهمداني ، ج٨ ، ص٣٨ .

(٢٣) الدكتور جواد علي « مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ٣ : ٤٨٨ .

(٢٤) عمر رضا كحالة ، « معجم قبائل العرب » ، ٢ : ٤٣٨ ؛ ياقوت معجم البلدان ٢ : ٧٩٣ .

(٢٥) تعود هذه الآثار الى مخلفات مملكة قتبان احدى ممالك اليمن القديمة الواقعة في الاقسام الغربية من الجزيرة العربية في جنوب غربي ارض المعينيين والممتدة حتى باب المندب . وقد حكمت هذه المملكة حوالي ٨٠٠ سنة بين القرن العاشر والقرن الثاني قبل الميلاد ، وكانت عاصمتها «تمنع» تعرف باسم «كحلان» .

(٧٠٣م) ، وابو خزيمة ابراهيم بن يزيد الرعني وهو من قضاة مصر توفي سنة ١٥٤ هـ (٧٣١م) ، وعبدالله بن عمر بن غانم بن شرحبيل الرعيني قاض فقيه ولاه هارون الرشيد قضاء افريقية توفي سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦م) وغيرهم ٠

٤ ـ مدينة سوسة في تونس

تقع مدينة سوسه التونسية على الساحل الشرقي عند خليج « حمامات » على مسافة حوالي ١٤٥ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من بلدة تونس وهي من أقدم المدن الفينيقية على ساحل البحر المتوسط ٠ والذي يهمنا من تاريخ المدينة القديم ارتباطها بحضرموت حيث أطلق عليها المهاجرون العرب من الجنوب اسم حضرموت في القرن الثاني عشر ق٠م٠ مما يدل على ان أهل حضرموت كانوا قد اطلقوا عليها هذا الاسم نسبة الى المنطقة التي نزحوا منها ومن المهم ذكره ان حضرموت حافظت على اسمها القديم حتى هذا اليوم ٠

وقد ازدهرت مدينة سوسه التونسية جينما استخدمها القرطاجيني الشهير « هانيبال » (٢٤٧ـ١٨٣ ق٠م٠) قاعدة لعملياته الحربية مع الرومان في أواخر الحرب القرطاجينية (البونيقية) الثانية (٢١٨ـ٢٠١ق٠م٠) ، ثم اتخذها الامبراطور تراجان مستعمرة رومانية ، وعندما نشبت الحرب البونيقية الثالثة (١٤٩ـ١٤٦ ق٠م٠) اعترف الرومان باستقلال المدينة ولقبوها بالمدينة الحرة ٠ وازدهرت المدينة في عهد يوليوس قيصر (٤٩ـ٤٤ ق٠م٠) واستمر حكم الرومان لهذه المنطقة حتى جاء غزو الفاندال لشمال افريقية فاحتلوها سنة ٤٣٩م واستمر احتلالهم لها حتى سنة ٥٥٣م عندما احتلها البيزنطيون فاطلقوا على المدينة اسم « جوستنيا نوبوليس » نسبة الى الامبراطور جوستنيان ، ثم سقطت المدينة في أيدي العرب بعد فتح طرابلس سنة ٦٤٢م٠ وفي أوائل هذا العصر نشبت معركة بين قوات الامبراطور قونستانس الثاني (باكوناتوس) سنة ٦٤٧م كان النصر فيها للعرب الذين الحقوا الهزيمة بقوات قونستانس ، ثم انتقلت المدينة من يد الى يد من الحكام العرب حتى استولى عليها الاغالبة (٨٠٠ـ٩٠٩م) حيث أصبحت ميناء القيروان ومنها انطلق اسد بن الفرات قاضي القيروان سنة ٨٢٧م لفتح صقلية ٠ وبعد زوال حكم الأغالبة حل محلهم الفاطميون ثم تلاهم بنو زيري الذين دام حكمهم من عام ٨٧٥ الى عام ١١٦٠م ، وتلاهم الموحدون (١١٢٩ـ١٢٢٦م) ثم الحفصيون ٠ وفي عام ١٥٣٥م حاول الاسبان احتلال بلدة سوسه الا ان اهلها قاوموهم واستمرت تحت حكم العرب حتى وقعت في أيدي الاتراك من عام ١٥٧٤ حتى عام ١٨٨١م ، ثم استولت فرنسا على تونس كلها واستمر الاستعمار الفرنسي لتونس حتى تم تحريرها بثورة الشعب التونسي فحصل على استقلاله عام ١٩٥٦م ٠

وقد تعرضت مدينة سوسه للخراب في الحرب العالمية الثانية بتاثير قنابل الالمان والامريكيين والحلفاء حتى هجرها اهلها الا انه اعيد تعميرها بعد حصول تونس على استقلالها حتى تحولت الى واحدة من اشهر المدن على ساحل البحر المتوسط ومن اهم المراكز السياحية في تونس العصرية . ومن اهم عمارتها الجامع الكبير انشيء في بداية القرن الخامس الهجري ، وكان هذا الجامع قلعة ثم تحول الى جامع في عهد المعز بن باديس . ويبلغ عدد سكان المدينة حسب الاحصاءات التقديرية الاخيرة ٧٠ــ٨٠ الف نسمة(٢٦) .

٥ ـ قرية سوسة في منطقة البو كمال في سورية

وقد أسس جدنا الأكبر اول قرية زراعية على ساحل الفرات الايسر مقابل البو كمال ، وهي لا تزال تعرف باسم « قرية سوسه » حتى هذا اليوم ، ذكرها موسيل الذي زار هذه المنطقة بين سنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٥ في كتابه « الفرات الأوسط » (ص١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣) وحدد موقعها على خارطته على الضفة الشرقية من الفرات مقابل البو كمال وقال : « وقرية سوسه هذه تدعى في قسمها الشمالي « موزان » وهي مجاورة لارض الوردية وسنسول الكائنة في منطقة الصالحية (صالحية البو كمال) ، وقد سماها موسيل (السهل الوصوبي لآل سوسه) » .(٢٧) وقد ثبتها اندريه پارو مقابل البو كمال على الجانب الشرقي من نهر الفرات ما بين البو كمال وتل الحريري (ماري)(٢٨) وذلك في خارطته المنشورة بكتابه « ماري المدينة المفقودة »(٢٩) (انظر المرتسم رقم ــ١ــ اقدم مستعمرة سامية تمارس الري على نهر الخابور) .

---

(٢٦) انظر الاستطلاع المصور المنشور في مجلة العربي الكويتية (العدد ١٦٤/ تموز ١٩٧٢ ، ص١٠٠ــ١٢٢) .

(27) The Alluvial Plain of As-Suse.

(٢٨) «ماري» عاصمة دولة عمورو السامية (مارتو) تقع اطلالها المعروفة محليا باسم « تل الحريري » على الضفة الغربية من نهر الفرات على مسافة ١٦ كيلومترا من شمال غربي بلدة البو كمال بقرب قريتي السيال والغبرة في محافظة دير الزور ، وهي المدينة العاشرة التي اسست بعد الطوفان . كانت مركزا لحضارة راقية عظم شانها في الالفين الثالثة والثانية قبل الميلاد . نقب فيها اندريه بارو الآثاري الفرنسي المعروف وكشف فيها عن آثار من حضارة وادي الرافدين من عصور ما قبل التاريخ ومن عصور فجر السلالات . ومن اهم الاثار التي اكتشفت فيها قصر عظيم يرجع الى القرن العشرين قبل الميلاد يحتوي على ٣٠٠ حجرة وعلى قاعة واسعة . سعة مساحته تربو على ١٥ دونما عراقيا عثر فيه على مجموعة من الالواح يبلغ عددها حوالي ٢٤٠٠٠ لوح .

(29) André Parrot, "Une Ville Perdue," Paris 1945, p. 44.



مرتسم رقم (١) ـ اقدم مستعمرة سامية تمارس الزراعة التي تعتمد على الري في منطقة الخابور (انظر الفقرة ٥) .

وقد كانت هذه المنطقة ، التي اتخذتها أسرة آل سوسه مقرا لها واسست قرية زراعية فيها والتي سميت باسمها حتى هذا اليوم ، مهجورة ولكنها من اخصب السهول المحاذية للجانب الشرقي من نهر الفرات ، فهي تشكل مثلثاً مستطيلا ما بين نهر الخابور (خابور الفرات) عند مصب نهر الفرات وبين الساحل الشرقي لنهر الفرات قاعدته المستطيلة حدود نهر الفرات نفسه . فكان هناك سد قديم على نهر الخابور يسمى الآن السكير (تصغير سكر) أي السد الصغير وذلك في نقطة تقع على بعد خمسة عشر كيلومترا من شمال قرقيسيا وكان يتفرع من أمام السد جدول قديم يسميه الاهلون (نهر دورين) نسبة الى دارا الثالث ملك الفرس الاخمينيين (٣٣٦-٣٣١ ق.م.) على ما يعتقده البعض فيمتد هذا الجدول بموازاة نهر الفرات مسافة ١١٢ كيلومترا تاركا قرية سوسه الى يمينه على ساحل نهر الفرات في وسط المثلث المذكور ثم ينتهي عند تل باغور(٣٠) حيث يصب في نهر الفرات . وكان هذا الجدول يروي السهل الرسوبي الممتد على طول نهر الفرات جنوبي نهر الخابور ، هذا ما يدل على ان الزراعة التي تعتمد على الري كانت تمارس في هذه المنطقة الخصبة الواقعة بين الساحل الأيسر لنهر الفرات والضفة اليسرى لنهر الخابور منذ اقدم الأزمنة . وهذه كانت منطقة العموريين (الساميين) الذين اسسوا فيها مملكة واسعة منذ اقدم العصور واتخذوا من بلدة « ماري » القريبة منها عاصمة لهم . وقد استغل النازحون الذين أخرجوا من جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر (رض) هذه المنطقة بالذات حيث اسسوا قرية زراعية سموها قرية سوسه نسبة الى مشيديها وهي لم تزل محافظة على اسمها القديم حتى هذا اليوم .

ومما لا شك فيه ان هذه الاراضي الزراعية قد انتقلت من يد الى يد عبر الزمن الطويل من فتح الى آخر حتى اسست فيها قرية سوسه في بداية العصر

---

(٣٠) « تل باغوز » ، تل اثري في سورية يقع على الجانب الايسر من نهر الفرات جنوب شرقي « تل الحريري » (ماري) يرجع الى عصر حسونة (٥٥٠٠-٨٠٠٠ق.م.) ، ومن المرجح ان هذا التل يمثل بقايا احد المستوطنات القديمة التي اقامها العموريون على ضفاف الفرات على اثر نزوحهم من الجزيرة العربية نتيجة جدبها ، ولعله من ملحقات «ماري» عاصمتهم .

ويقع تل باغوز في منطقة البو كمال في محافظة دير الزور بسورية عند قرية باغوز الواقعة في اسفل هضبة عالية ويسمى الموقع بمنطقة العرسي . وعلى قمة هضبة الباغوز آثار حصن قديم لم يبق منه غير ثلاثة ابراج متباعدة عن بعضها البعض . اما الباغوز فلفظة تركية تعني المضيق (انظر : « منطقة البو كمال في محافظة دير الزور » للمحامي عبدالقادر عياش ، دير الزور ، كانون الثاني ، ١٩٧٢ ، ص١٦) .

الاسلامي ، ثم عادت فانتقلت من يد الى يد ، ومع انها بقيت مهجورة بعد ذلك ولكنها احتفظت باسمها (قرية سوسه) حتى اليوم • كما ولا شك ان هـذه المنطقة التي نزحت اليها أسرة سوسه في صدر الاسلام كانت مهجورة وجدولها مندرس ، فاعادوا حفر الجدول كما اعادوا انشاء السد على الخابور ونظموا الزراعة عليه • والراجح أنهم حملوا معهم المعدات الزراعية اللازمة والحيوانات المستخدمة في الحراثة التي كانوا يستعملونها في وطنهم قبل نزوحهم منه ولا شك انهم كانوا يقتنون الجمال في التنقل ، وقد جاؤا ومعهم خبرتهم في الاعمال الزراعية ألتي تعتمد على الري وقد مارسوها في وطنهم الاصلي في حضرموت •

وهنا نقطة تاريخية مهمة لا بد من الاشارة اليها وهي ان سكان جزيرة العرب كانوا اقدم الأقوام الذين مارسوا الزراعة التي تعتمد على الري ، فقد اكتسبوا خبرة فنية قبل نزوحهم الى وادي الرافدين في اقامة تنظيمات الري عندما كانت جزيرة العرب تتمتع بجو رطب تكثر فيه الامطار على مدار السنة كما كانت أوديتهم الحالية انهارا جارية على مدار السنة أيضا ، وكان ذلك في خلال الدورة الجليدية الرابعة والاخيرة ، ففي هذه الفترة التي دامت حوالي مائة الف سنة قبل الميلاد ما بين سنة ١٢٠ الف سنة و١٥ الف سنة قبل الميلاد كانت اوربا مغطاة بالثلوج (انظر بحث الدكتور احمد سوسه « حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين »،١٩٨٠ ، ص٥٨) •

وتعد قرية سوسه اليوم من اهم قرى محافظة دير الزور في سورية ، فقد تناول المرحوم الاستاذ عبدالقادر عياش وصف قرية سوسه الحالية في كتابه « منطقة البو كمال في محافظة دير الزور » (ص٥٦) قال :

« سوسه ـ أهم سكانها قبائل : البو عبدالله والبو بدران والصويلي والداخل والمراشدة ، نفوسها ٤٨١٠ ، المساحة المرخصة ١٤٢١٠ دونما ، فيها ٤١ محركاً مجموع احصنتها ٩١٢ ، تملك ٢٣٥ رأس بقر » •

« فيها مدرسة ومخفر شرطة ، تتبعه قرية الباغوز الفوقاني وقرية الشعفة، وسوسه مشهورة في المنطقة برمانها وتينها ، وفيها جمعية تعاونية زراعية ، وعندها معبر عليه سفينة تصل ضفتي الفرات ، وتصل مخفر سوسه بمركز المنطقة • »

ويضيف الاستاذ عياش وصفاً عن مجرى حياة هذه القرية بقوله :
« يعيش سكان هذه القرى حياة بسيطة متخلفة ، الرابطة بينهم اصولهم العشائرية ، المستوى الصحي متدن ، بيوتهم من الطين وخيام الشعر ، ومؤخرا انشأت الحكومة مدرسة في كل قرية ، ولا توجد مستوصفات في القرى • يعول السكان على المشاريع الزراعية التي قام بها بعض سكان قصبة البو كمال منذ

سنة ١٩٥١ ، كما يعولون على تربية الأغنام وما تنتجه من سمن وصوف . ولسكان هذه القرى نجعات في بادية الشام وبادية الجزيرة ، حيث يرحل قسم منهم في الربيع لرعي اغنامهم ، ويسكنون في مضارب او اكواخ ، يعتمدون في سقي اغنامهم وسد حاجاتهم من الماء على مياه الآبار في البادية . » وهذه ان دلت على شيء انما تدل على محافظة الزراع في هذه المنطقة على مظاهر حياة البداوة فصارت تجمع بينها وبين وسائل التمدن وبين الزراعة المستقرة وبين رعي الاغنام مع اقتناء الجمال لغرض التنقل .

٦ ـ جزرة سوسه وعين سوسه في منطقة الحديثة

وقد انحدرت بعد ذلك زمرة من عشيرة آل سوسه جنوباً فاسست قرية زراعية اخرى على الفرات في منطقة الحديثة لا تزال تعرف حتى هذا اليوم بقرية وعين سوسه . وفي هذه القرية عين ماء قديمة كانت على الارجح مهجورة فحفروها واستغلوها في الزراعة فسميت باسمهم قرية عين سوسه ، ويعد هذا الموقع اليوم موقعاً اثرياً يرجع تاريخه الى العصر الاسلامي . ولا يخفى ان عادة تسمية الأماكن باسم رئيس القبيلة أو الأسرة عادة قديمة جداً مارسها العرب منذ اقدم الازمنة .

وتقع هذه القرية على الجانب الغربي من نهر الفرات على بعد حوالي ١٥ الى ١٩ كيلومترا الى الشمال من مدينة الحديثة الحالية تسكنها اليوم قبيلة البرابرة ، ومع أن مركز هذه القبيلة هي القرية المذكورة الا ان افرادها يرتحلون الى البادية للانتجاع على عادتهم القديمة . والقرية من ضمن ناحية الحديثة (قضاء عانة) في العراق ، وقد وصفها موسيل وسماها « جزرة مزروعة لآل سوسه » .(٣١)

وقد ورد الايضاح التالي عن هذه القرية في « دليل التعداد العام لسنة ١٩٦٥ » (مديرية تسجيل الاحوال المدنية العامة) : « قرية عين سوسه ، عدد سكانها ٢٠٤ بموجب تسجيل سنة ١٩٥٧ (ص١٩٤) ، العشائر الرحالة في قرية عين سوسه هم البرابرة عددهم حسب تسجيل سنة ١٩٥٧ (٦٢٠ نسمة) ويرتحلون الى الجزيرة (ص ٥٠٦) ، حويجة سوسه ١٤٦ نسمة بموجب تسجيل سنة ١٩٥٧ (ص١٩٣) » .

وقد ورد في تقرير مديرية الآثار العامة (الاضبارة ١٩٤) عن جزرة سوسه وقرية عين سوسه ما يلي :

« سوسه هي الجزيرة الكائنة في وسط نهر الفرات تقابلها على الضفة

---

(٣١) « الفرات الاوسط » ، ص٢٢ ، ١٦٥

اليمنى من النهر قرية عين سوسه ، وقرب القرية عين ماء جافة في الوقت الحاضر تعرف بعين سوسه تقع على مسيرة كيلومتر واحد شمال دور السكن . أقرب النقاط منها نهر الفرات وطريق السيارات ، والعين نقطة ثابتة وفيها مدرسة رسمية ، يمكن الوصول اليها بالسيارة من حديثة على بعد ١٩ كيلومترا ، يسكنها بعض المزارعين من عشيرة الجغايفة التي تنتقل من الحدود العراقية السورية حتى وادي حوران . ويقطن في القرية شيخ مشايخ العشيرة يدعى الشيخ محيسن علي العياش .

« وفي شرقي القرية حاوي فسيح يفصلها عن نهر الفرات منبسط لا تساريع فيه ، وفي طرف الحاوي الغربي قرب المدرسة وبعض الدور حفر المزارعون جداول عديدة لارواء مزارعهم فظهرت آثار جدار يمتد من جنوب القرية بمحاذاة الحاوي ويمتد شمالا حتى يقارب ساقية العين ، وتظهر من هذا الجدار الاقسام الواطئة . ولا توجد أية ملتقطات او كسر فخارية بقرب الجدار بيد ان السكان أكدوا بانه كثيرا ما كانوا يعثرون على كسر من الجرار كبيرة وصغيرة مبعثرة في وسط مزارعهم قرب الحاوي فيهشمونها . »

« أما العين التي تعرف ب « عين سوسه » فتبعد عن القرية الى الشمال الغربي منها مسافة كيلومتر ، فهي عبارة عن حفرة مقعرة لا يزيد عمقها من الوسط عن الياردة مدورة الحواشي لا ماء فيها . وتمتد من العين ساقية باتجاه الفرات على ضفته الغربية شمال القرية وهذه الساقية هي الاخرى جافة. »

« ان انخفاض الحاوي المحاذي للقرية يوحي لنا انه تعرض في أزمان غابرة الى الغرق مما أدى الى ازالة معالم السكنى القديمة او الخرائب على ان وضع المنطقة وتوفر وسائل السكنى فيها وقربها من الفرات ومن سور ام الحراشيج، كل ذلك يوحي لنا بانها كانت مسكونة قديما ولا يستبعد وجود آثار فيها ولكنها زالت معالمها بتأثير طغيان المياه أو نتيجة اعمال الفلاحة في المنطقة . »

٧ ـ قرية سوسه في الصقلاوية وبستان سليم افندي سوسه في بغداد

وقد شاءت الاقدار أن حدثت بعد مرور بضع مئات من السنين ظاهرة طبيعية في نهر الفرات الأوسط أدت الى هبوط مستوى النهر في هذه المنطقة ، فاحدث شبه شلالات (مساقط) في النهر ، فلم يعد بامكان الزراع مواصلة زراعتهم وايصال المياه اليها سيحا ، فضلا عن ضيق الارض بالسكان ، فاضطر قسم من الزراع الى مغادرة ديارهم والتوجه جنوباً ، بينما بقي القسم الآخر من السكان في مناطقهم واخذوا يستعينون بالنواعير لرفع المياه الى حقولهم الزراعية مستخدمين القوى المائية المولدة من الشلالات التي أحدثها هبوط قعر النهر في تدوير هذه النواعير الضخمة ، وهذه لا تزال تستعمل حتى يومنا هذا في منطقة عانة وراوة كما كانت عليه في تلك الازمان . وآخر ما وصل الينا

ان آل سوسه اختاروا النزول جنوباً بانحدار النهر حتى استقروا في منطقة الصقلاوية واسسوا هناك قرية زراعية لا تزال تحمل اسم الأسرة تعرف ب «قريةسوسه» وهي تقع الى الشمال من أطلال مدينة الانبار القديمة.(٢٢)
وهنا مارسوا الزراعة التي تعتمد على الري ، اذ وجدوا فيها ارضا سهلة تنحدر انحدارا طبيعيا من نهر الفرات باتجاه نهر دجلة يسهل شق الجداول فيها للارواء السيحي . وقد اشتهرت هذه المنطقة بخصوبة أرضها ووفرة مياهها من الفرات ولا تزال تحتفظ بهذه الخصائص حتى يومنا هذا حيث تشكل اهم شبكة من جداول الري في القطر . فجدول الصقلاوية الحديث يمتد حوالي ثلاثين كيلومترا ويروي ما يقرب من ربع مليون دونم عراقي(٢٣) . والذي نعرفه على وجه التاكيد ان جد والدي كان يسكن هذه القرية ويتعاطى مهنة الزراعة فيها ، ثم انتقلت الاسرة الى الفلوجة ومنها الى بغداد .

وآخر ذكر لآل سوسه ورد على لسان الرحالة الهولندي نيجهولت(٢٤) ، فذكر ان هناك بستاناً قديماً مشهورا لسليم أفندي سوسه يقع في الفريجات شمالي بغداد على نهر دجلة ، فقال في وصفه لفيضان نهر دجلة سنة ١٨٦٧م ما نصه : « ان أمطار سنة ١٨٦٧ الكبرى قد هطلت في اواسط شهر آذار واستمرت أياما تتدفق بغزارة شديدة ولا سيما في اعالي النهر .. وفي اليوم ذاته ذاع نبأ انصداع سد الصفية على مرحلة ثلاث ساعات شمالي بغداد ، ولم ينصرم النهار حتى غطت المياه كل السهل شمالي المدينة وشرقيها وجنوبها في الجانب الأيسر . ولاعطاء فكرة لمن يعرف بغداد ، أقول ان الماء قد انبثق بقوة من الثغرة التي فتحها في سد الصفية فاغار على الفريجات وهو بستان قديم شهير لسليم أفندي سوسه والاراضي المجاورة ، ثم مرّ بالطارمية ليصل الى باب المعظم (باب الميدان) . وقد غمر الماء من الناحية الاخرى كل الحقول والمراعي والبساتين حتى المشيرية والباب الوسطاني الخ. »

---

(٢٢) الانبار مدينة عراقية قديمة تقع اطلالها اليوم على ضفة نهر الفرات اليسرى على بعد حوالي ٨ كيلومترات الى الشمال من مدينة الفلوجة ، جاء في « نزهة القلوب » لحمدالله المستوفي ان مؤسس الانبار الملك مهراب فاياتيان سكن فيها الاسرى اليهود الذين سباهم نبوخذنصر فسميت الانبار لم جدد بناءها سابور الثاني (ذو الاكتاف) (٣٢١-٣٧٩م) وجعلها السفاح كرسي مملكته . وقد ذكر ياقوت ان ابا جعفر المنصور (١٣٦هـ\٧٥٤م) اخ السفاح سكنها ايضا ردحا من الزمن قبل ان ينتقل الى العاصمة الجديدة بغداد ».
(٢٣) الدونم العراقي او ما يسمى المشارة يساوي ٢٥٠٠ متر مربع ».
(٢٤) « صفحات من مذكرات الرحالة الهولندي نيجهولت للعراق قبل مائة عام » جريدة البلد ، عدد يوم ١٩٦٧\٥\٥ ، ص٢ . انظر ايضا : « فيضانات بغداد للدكتور احمد سوسه » ٢ : ٣٧٦ ».

يتضح مما تقدم ان أسرة (آل سوسه) عربية الأصل في الوطـــن ، وفي العرق ، وفي القومية واللغة ، وهي من أسر قبائل الجزيرة العربية المتهـــودة التي استقرت على ساحل الفرات الاوسط على عهد الخليفة عمـــر (رض) . والمعروف عندنا انها ترجع في نسبها الى قبيلة بني سواسه في مخلاف رُعَيْن جنوبي اليمن المتاخم لحضرموت فتلقبت الأسرة بـ (سوسه) نسبة الى قبيلـة بني سواسه التي تقدم ذكرها . وقد امتهنت الاسرة الزراعة التي تعتمـد على الري ومارستها في سواد العراق واستمرت تعمل في هذا الميدان منذ ان وطـأت اقدامها ارض العراق لفترة حوالي الف وثلاثمائة سنة .

٨ ـ انتقال الأسرة الى الحلة ـ تاريخ ولادتي فيها

وقد سكن والدي بغداد فكانت له من الخبرة في الشؤون الزراعية والادارية ما حمل آل دانيال ، وهم من كبار الملاكين المشهورين في العراق كانوا يمتلكون مقاطعات زراعية شاسعة لا تحصى ولا تعد في جنوبي العراق ، أن يعهدوا اليه بادارة هذه المقاطعات ، وبحكم عمله هذا انتقلت الأسرة الى بلدة الحلـة التي اتخذت مركزًا رئيسا لادارة هذه المقاطعات الزراعية(٣٥) . وفي هذه البلدة الريفية الجميلة كانت ولادتي سنة ١٩٠٠ ميلادية(٣٦) . والذي أفطنه جيدا ان جـدنا الاخير الذي توفي ودفن في الحلة ، وانا لم اتجاوز السابعة من العمر ، كـان يحدثنا قبل وفاته عن الصقلاوية وكانت لا تزال لديه بعض الصـلات الزراعية مع اهلها .

---

(٣٥) الحلة مركز محافظة بابل حاليا (مركز لواء الحلة سابقا) عدد سكانها حسب احصـاء ١٩٥٧ (٥٤،٠٠٠ نسمة) تقع على مسافة ١٠٤ كيلومترات الى الجنوب من بغداد ، يشطرها شط الحلة الى قسمين (غربي وشرقي) وهو المجرى القديم لنهر الفرات الرئيـسي . ولمدينة الحلة اهمية تاريخية لوقوعها بجوار بابل (المدينة الاثرية المشهورة) . كان قد اسسها عام ٤٩٥هـ (١١٠١م) احد امراء الاسرة المزيدية في مكان يسمى الجامعين وذلك عندما هجر مركز امارته في بلدة النيل القديمة فاقيمت في المحل الجديد مدينة سميت الحلـة لان بني مزيد حلوا فيها فصارت حلتهم ، ولا يزال موقع الجامعين يعرف باسمه القديـم الى الآن . وكان طريق بغداد ـ الكوفة يمر بها فاخذت بالازدهار بسرعة واضحت الى يومنا هذا مركزا مهما من الناحية التجارية ، وكانت الحلة في العقد الاخير من القـرن التاسع عشر مركزا للمتصرفية التي كانت تشمل الديوانية والدغارة ، وبعد ذلك نقـل مركز المتصرفية الى الديوانية وبقي في الحلة مركز القيادة العسكرية .

(٣٦) ولدت يوم ١٠ سيوان سنة ٥٦٦٠ من التقويم العبري يوم السبت الساعة الثانية عشرة والنصف في التوقيت العربي مساء . هذا ما وجدته مدونا في مذكرتي نقلا عما دونه والدي . وهذا يصادف على ما شرحه لي احد العارفين بالتقويم العبري يوم ١٠ حزيران ١٩٠٠م ، هذا مع العلم ان القليل من الناس من كان يهتم بتدوين تاريخ الولادات في تلك الازمان .

٩ ـ حادث مفجع

قد يتصور القارىء لاول وهلة ان المقصود بالحادث المفجع هو موت قريب او فقدان احد الأعزة ، اذ لا يوجد افجع من هذا الحادث بالنسبة لحياة الانسان، ولكن لم يكن لا هذا ولا ذاك ، فكان الحادث افجع من الموت بالنسبة لعقلية عائلة يهودية عاشت تحت كابوس احبار اليهود وتعصبهم ، ذلك الكابوس الذي يجعل الموت اخف وطأة من دخول وارث الدين اليهودي في دين غير دينه . نعم ، فقد كان حادثا مفجعا بالنسبة للاسرة باسرها . وهذه خلاصة الحادث : فقد فوجئنا ذات يوم بغياب عمي شقيق والدي المدعو شاؤل الذي كان يسكن في بيتنا من غير سابق انذار ومن غير ان يترك اية معلومات عن سبب هذا الغياب المفاجىء . فكانت الوجوه تطفح بالحزن والقلق مما ينبىء عن حدث جلل . فقد كنت اصغي الى الأفواه وهي تردد همساً والحسرة طاغية عليها قولها : « انه صار مسلماً . » وهكذا غاب عمي عنا الى الأبد وانقطعت اخباره ، مع انه بلغنا على ما علمته من الافواه التي اصغي اليها انه ذهب الى الصقلاوية حيث كان يقيم جدي واندمج بالمحيط الزراعي الريفي بعد دخوله في الاسلام وغيّر اسمه .

لقد كان لهذا الحادث وانا لم ابلغ السابعة او الثامنة من عمري الأثر العميق في نفسي ، فترك انطباعات وتساؤلات كانت بالنسبة لعقلي الصغير عقدة حيرتني طوال السنوات التالية ، فاستاثرت بكل تفكيري وانا أسائل نفسي : ما هو الفرق بين اليهودي والمسلم (لم اكن اعرف شيئا عن المسيحية)* الم يكن رفاقي كلهم من المسلمين ؟ الم نكن كلنا عرباً ؟ لماذا اذن هذا الحزن والقلق ؟ فلا بد من سر غامض يجب ان اكتشفه ! واذا صدق القول بان الحوادث في الصغر هي التي ترسم مستقبل تفكير الانسان في حياته بما تخلفه من رواسب وعقد تسيطر على سلوكه طيلة حياته ، فان هذه الحادثة طبعت في ذهني صورة ذلك المشهد وقد ظلت تحثني على اكتشاف هذا السر الغامض وعلى ايجاد الاجوبة على تلك الاسئلة التي استأثرت بتفكيري سنوات طوالا . فالى جانب واجباتي المدرسية صرت اقرأ واقرأ واطالع الكتب التي تبحث في تاريخ الاديان وذلك عندما كنت في الجامعة الامريكية في بيروت ، وحتى بعد التحاقي بكلية الهندسة في امريكا تفرغت صيفية كاملة ودخلت دورة لدراسة تاريخ الاديان وعلم اللاهوت على اشهر استاذ في جامعة شيكاغو التي تعنى بمثل هذه المواضيع التاريخية القديمة . وكان ذلك قبل اكثر من خمسين سنة (بالضبط سنة

(*) مع انه كانت هناك في المحلة عائلة مسيحية كان رجالها وكلاء لجهات اجنبية يطحنون عرق السوس ويشحنونه للاستعمال في صنع بعض العقاقير في الخارج .

١٩٢٥–١٩٢٦) . و لما كانت هذه الدراسة تقضي بوجوب اعداد بحث في الموضوع، فقد اخترت موضوعا بعنوان « الاسلام والمسيحية » ، فحظي هذا البحث برضى الاستاذ وشرح عليه (بحث جيد مسم بالروح الطيبة) . وقد ناقشته كطالب يكشف عن حقيقة الاسلام من دراسة فرقانه الكريم . وقد اخترت هذا الموضوع بالذات لافهام القارىء الامريكي المسيحي حقيقة الاسلام وتسامحه بنظـرته الانسانية السامية الى الديانات السماوية ، ونظرته الى انبيائهم نظرة تجلة وتقديس وبخاصة السيد المسيح عليه السلام . وهذا كان أول بحث وضعتـه في موضوع الاديان وهو خارج نطاق موضوع دراستي الجامعية في الهندسة[٢٧]. صممت على اثره ان الاسلام هو الدين الحق الذي يجمع بين الديانات السماوية وهو مبني على المبدأ الانساني الذي يقوم على المساواة والتسامح والفطـرة فاخترته عن عقيدة وايمان ، ولكنني كتمت ذلك عن عائلتي مدة لتجنب انـزال مصيبة على العائلة تكون هي الثانية بعد ان طوى الزمن ذكرى الحادثة الاولى. لذلك لم أعلمها عن اعتناقي للاسلام الا بعد ان انتهيت من دراستي الجامعيـة وحصولي على الدكتوراه وعودتي الى الوطن . ثم توظفت وبعد مـدة قدمـت استقالتي وذهبت الى مصر حيث قضيت حوالي أربعة أشهر مداوما في الازهـر كمستمع ومتتبع ، وهناك أعلنت اسلامي بصورة رسمية في ٢٢ شعبان ١٣٥٥ المصادف ٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، أي قبل اكثر من اربعـين سنة . وقد وضعت هناك كتابي « في طريقي الى الاسلام » الذي طبع جزؤه الاول في مصر والثاني في العراق بعد عـودتي الى الوطن حيث تم رجوعي بطلب من دائـرتي التي أبدت حاجتها الى خدماتي للعمل في مشروع ري جديد . وهذه كلمتي في فاتحة الكتاب قلت : « الحمد لله رب العالمين ، على أن هديتني لدينك المبين ، فادركت مقام فرقانك المحمدي ، ورأيت فيه نور كلامك السرمدي ، ومنهاجـك السوي ، أحمدك اللهم على أن الهمتني الروية والعقل ، ونشلتني من هـوة الحيرة والجهل ، مما دلني على ينبوع الحقيقة ، وسلك بي الى نهر السليقة ، فارتشفت بظل ارشادك ماء الحياة الابدي ، وزهدت في التسابق الدنيوي ، فكان لي من الجرأة والاقدام للدخول في دينك القويم ، وسلوك صراطك المستقيم. وصل اللهم على عبدك ورسولك محمـــد بن عبدالله ، خاتم النبيين وامـام المرسلين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه اجمعين ، فانك نعم المولى ونعم النصير . » وبهذه المناسبة كتبت مقالا عندما كنت في مصر عن القضية الصهيونية نشر في عددين من مجلة الرابطة العربية لصاحبها أمين سعيد الذي توطدت بيني وبينه رابطة روحية اذ كنا نلتقي بين حين وآخر عند الاستاذ محب‌الدين الخطيب[٢٨].

---

(٢٧) انظر الملحق الاول : « الاسلام والمسيحية »

(٢٨) انظر الملحق الثالث : « القضية الصهيونية والروح العربية »

ومع اعتزازي بالانتساب الى الدين الاسلامي الحنيف ، اني مؤمن بان هذه ارادة الله بان جعلني في خدمته على الصراط المستقيم ، فأوقفت حياتي لخدمة الاسلام والعروبة لذلك فان حبي للعرب ولوطني الثاني (وادي الرافـدين) معجون بدمي . فقد كان آخر كتاب قدمته للعـالم العربي الاسلامي كتابي « العرب واليهود في التاريخ » الذي تبنت وزارة الاعلام العراقية طبعـه سـنة ١٩٧٢ واعيد طبعه مرارا وهو الآن قيد الطبع في طبعته الخامسة . ولا شـك في ان وضع هذا الكتاب الذي يتطرق الى تاريخ الاديان وتاريخ العرب واليهود بالذات له دوافعه الخاصة التي ترجع جذورها الى عهـد الصبا . ثم الحقـت كتاب « العرب واليهود في التاريخ » بكتاب آخر عن حضارة العرب ومراحـل تطورها عبر العصور ، طبع سنة ١٩٧٩ ، وكتاب عن حضارة وادي الرافـدين صدر سنة ١٩٨٠ ، وفي يدي الآن بحث ضخم عن تاريخ حضارة وادي الرافدين ارجو ان يتم طبعه في آخر حياتي ان شاء الله .

واقف هنا لحظة لاثير نقطة حساسة تدور حول المذهب الذي اخذت به من مذاهب الاسلام الخمسة ، فكثيرا ما وجه الي السؤال : « انك أعلنـت اسلامك ولكنك لم تعلن المذهب الذي اخترته من مذاهب الاسلام فالى اي مذهب انتسبت ؟ » وهذا هو السؤال الذي يؤلف اهمية كبرى في وطننا . فجوابي عن هذا : ان الاسلام واحد وان تعددت المذاهب .. فالاسلام هو الجوهـر . وهذا ما دونته في كتابي « في طريقي الى الاسلام » (ص٧٥ج١) قبل أكثر من اربعين سنة حيث قلت : « ان جوهر الاسلام في الفرقان المحمدي هو ثابت لا يتغير ، فانه كلام الله وسنته ، فلا يضاف اليه ولا يحذف منه (ولـن تجد لسنة الله تبديلا) . فلم يكن في صدر الاسـلام مذاهب وفرق اذ كان الاسـلام صفوا من كل شائبة ، ان ظروفا سياسية ادت الى انقسام المسـلمين الى مذاهب ولكن هذا الانقسام لا يمس الجوهر بل قد يتناول بعض الفروع . فقد باعدت الفرق الاسلامية بين المسلمين وفرقت بينهم ، فوجد اعداء الاسـلام في هذه التفرقة امضى السبل لاثارة واستغلال النعرات الطائفية وبذلك اضعاف الاسلام . هذا في حين ان المسلمين هم اليوم باشد الحاجة من اي وقت مضى لتوحيد الصف والكلمة وتماسك الوحدة العربية الاسلامية . انا اجل جميـع الأئمة على أختلاف مذاهبهم اذ كافحوا وناضلوا وهدفهم السامي خدمة الاسلام والحفاظ على جوهره . ولحسن الحظ ان هناك عاملا قويا يجمع بينهم جميعا هو التمسك بالقرآن الكريم الذي لا يمكن ان يحرف ، ثم حب آل البيـت وتكريمهم ذلك الحب الذي يعد فرضا من مبادىء الدين الاسلامي ، وفي هـذا الحب وفي هذا التكريم نعمة غالية من نعم الله تجمع بين قلوب المسـلمين على اختلاف آرائهم ونحلهم ، نعمة يمكن ان تكون الاساس لفتح باب الاجتهـاد

والاتفاق على تكوين « اسلام بلا مذاهب » وهو العنوان الذي اتخذه الدكتور مصطفى الشمكة لكتابه الجديد ، وهو يقول فيه « ان باب الاجتهاد يغذي الحياة العقلية والفكرية وان الاسلام بجوهره وتقاليده الاولى يساير ركب التطور والتقدم ولا يجافيها او يصد عنها • » ويضيف الى ذلك قوله : « وباب الاجتهاد عند الاثنا عشرية لا يزال مفتوحا وللمجتهد ان يبدي رأيه وان يؤخذ به ما دام متفقا مع الكتاب والسنة متمشيا مع المعقول ، والا فلا قيمة له ان كان به ميل أو شطط • »(٣٩)

وفي موضوع اتحاد المسلمين يقول الامام المغفور له الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في الميثاق العربي الوطني : « ان اهم واجبات المسلمين اليوم الاتفاق والوحدة وان يصهروا الطائفيات والاقليميات بينهم حتى تذوب وتتلاشى ويكونوا سبيكة واحدة •• فالواجب الاكيد على جميع المسلمين ان يلتفوا حول راية الاسلام ويكونوا قلبا واحدا ويدا واحدة ولا يتركوا مجالا للحزازات الطائفية والخلافات المذهبية في نفوسهم » • ثم يضيف الى ذلك قوله : « ان من شهد على نفسه ، واعترف بان أحدا من البشر او غيرهم من الأئمة او غيرهم انه هو الاله او شريك مع الله في الربوبية ، او هو الخالق والرازق او أظهر البغض والعداء لأهل البيت والنصب لهم فهو كافر وان أظهر الاسلام ، فالاسلام بريء منه • والأهم من كل هذه العوالم انضمام الجميع تحت راية (لا اله الا الله محمد رسوله) والاعتصام بحبل الاسلام • »

ان الاسلام دين سمح يتميز عن بقية الاديان السماوية بسعة الصدر في تقبل البحث العلمي واختلاف الاجتهاد فيه ، فما دام رائد المجتهد خدمة الدين فله ان يتبع المدرسة الفكرية التي يرتضيها لنفسه ما دام غير خارج عن العقائد الاساسية للدين • لذلك فعلى علماء الدين تقع مسؤولية التقريب بين المذاهب الاسلامية للقضاء على ما بين ابناء المذاهب من تباعد ، فهناك جمعية في القاهرة تعمل على التقريب بين المذاهب ، ويا حبذا لو اتسع نطاق عملها بتاسيس فروع لها في الاقطار الاسلامية الاخرى للتعاون على العمل بقوله تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) (ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) • فالاسلام كما يقول احد كبار رجال الفكر الاسلامي « يحتاج الى علماء يدرسون الدين الاسلامي من منابعه الصافية وفي الوقت نفسه يعرفون التيارات الفكرية والاجتماعية الحديثة فيطبقون الدين الاسلامي على واقع الحياة الحديثة • »

---

(٣٩) انظر : ص١٨٧ ، ٤٧٧ .



التصوير رقم (١٨) ـ الامام المغفور له الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في الحلة يحيط به وجوه البلد (انظر الفقرة ٩) .

وما المؤتمر الاسلامي الذي اقامته طائفة البهرة في الهند في نيسان ١٩٧٥ الا دليلا على اهتمام المسلمين بهذه الناحية ، فقد ضم هذا المؤتمر علماء من جميع أنحاء العالم الذين يمثلون جميع الطوائف والمذاهب الدينية في مصر ، والكويت ، ودولة الامارات العربية ، وسورية ، ولبنان ، والعراق ، والاردن، واليمن ، وليبيا ، وتونس ، والمغرب ، والجزائر ، وايران ، وكينيا ، والمملكة المتحدة ، وباكستان ، وسيلان ، وتانزانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، وسائر انحاء جمهورية الهند يتقدمهم شيخ الجامع الازهر الدكتور عبدالحليم محمود ، وتحدث وفود المؤتمر في كثير من الامور التي تشغل العالم الاسلامي وفي مقدمتها قضية العرب الكبرى فلسطين والاحتلال الصهيوني للاراضي العربية . وكانت المحاضرات والمناقشات كلها تدور حول الوحدة التي تشمل العالم الاسلامي شرقه وغربه ، واتفقوا جميعا على تدعيم ونشر اللغة العربية في البلاد الاسلامية ووضع منهج للدعوة الاسلامية يتماشى مع التطور الاقتصادي .

ولنعد الآن الى الموضوع الذي نحن بصدده ، أي موضوع المذهب الذي

انتهيت اليه فاقول : لقد اعلنت اسلامي في مصر ولم يطلب الي سوى النطق بالشهادتين كما هو مدون في الاعلام الشرعي الصادر من محكمة مصر الابتدائية الشرعية . ولكن هناك ناحية مهمة لا يسعني اغفالها او تناسيها فانا ابن المحيط الذي نشأت فيه وقد عرفت فيه منذ الصبا المذهب الجعفري (الاثنا عشري) الذي يدين به ابناء بلدتي ، فاصبح هذا المذهب جزءا من تكويني العقلي والفكري ومن واجبي تقبله والاخذ به لما يتسم به هذا المذهب من حب آل البيت ، ذلك الحب الذي تتفق جميع المذاهب على التمسك به كفرض من فروض المبادىء الاسلامية ، فكنت اشعر حين اسلمت باني وارث للمذهب الجعفري من المجتمع الذي نشأت في وسطه شأني في ذلك شأن من يرث مذهبه عن آبائه واجداده . وهناك ناحية اخرى لا تقل اهمية وهي أن هذا المذهب يفتح باب الاجتهاد ويكمن في هذا المجال السبيل الوحيد الذي يمكن ان يؤدي او يساعد على تحقيق ما ورد في شعار الدكتور مصطفى الشكعة ، اي شعار « اسلام بلا مذاهب » فما اجله من شعار لو تحقق ..

والآن قبل ان اتطرق الى نشأتي ودراستي رأيت من المفيد ان اعرض موجزا لتاريخ اليهود في العراق القديم ، فهذه صفحة مظلمة من تاريخ العراق القديم قل من تناولها بالبحث العلمي الدقيق وكشف عن حقائقها ، لأن اليهود احتكروا لأنفسهم البحث في كل ما يتعلق بتاريخهم وتاريخ الاقوام الذين اتصلوا بهم عبر الزمن الطويل ودونوه بحسب ما حلا لهم هواهم وقد قبل العالم كل ما دونوه ونشروه من غير تمحيص او تدقيق ، وبذلك يكون هذا الموجز في تاريخ يهود العراق القديم قد جمع بين ترجمة الحياة وبين دراسة جانب مهم من تاريخ العراق القديم . واني أعتقد بان قد حان الأوان لينتبه المسلمون والعرب الى الاحداث التاريخية العلمية فيعملون على اظهارها على حقيقتها وتفنيد الاساطير التي اتخذها الصهيونيون حجة للمطالبة بحق موهوم في فلسطين العربية بعد ان قبل الباحثون هذه الاساطير على اختلاف نحلهم ومذاهبهم على علاتها دون تمحيص او تدقيق . ومن جملة هذه الاساطير الموروثة التي اظهرت الاكتشافات الاثرية الحديثة خطلها ادعاء اليهود بأن تاريخهم يرجع الى ما قبل اربعة آلاف سنة قبل الميلاد حين نزحوا من العراق الى فلسطين مع ابراهيم الخليل (ع). لذلك ارى أن من واجب الجامعة العربية او منظمة التحرير الفلسطينية أن تعقد مؤتمرا علميا يحضره كبار المؤرخين في العالم وكبار رجال الدين الاسلامي ولا بأس في دعوة علماء واختصاصيين في الآثار والتاريخ القديم من جميع العناصر للتوصل الى الحقائق التاريخية في هذا المجال ونشر ما يقررونه في هذا الصدد على العالم اجمع ، وبذلك يجري تصحيح المفاهيم المغلوطة التي كان ولا يزال الباحثون يرددونها باعتبارها حقائق تاريخية مما مكن الصهيونيين ان يخدعوا

بها الرأي العام العالمي ويستغلونها في تدعيم حق موهوم في ارض العرب .
فالى القسم الثاني الذي يتناول هذه الناحية التاريخية التي تتصـل اتصالا وثيقا بشطر مهم من حياتي الفكرية .



القسم الثاني

تأريخ يهود العراق القديم

« لقد مرّ تاريخ اليهود في العراق القديم بثلاث مراحل : تمثل المرحلة الاولى اقدم وجود لهم في شمالي العراق حين جاء الآشوريون بهم أسرى الى آشور وهذه ترجع الى اواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم تليها المرحلة الثانية حين جاء الكلدانيون بهم كاسرى أيضا الى بابل في اوائل القرن السادس قبل الميلاد . اما المرحلة الثالثة فهي ترجع الى صدر الاسلام حين نزحت قبائل العرب المتهودة من جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر (رض) الى العراق وسورية في القرن السابع للميلاد اي بعد ظهور المسبيين من العهد الآشوري والكلداني في العراق بحوالي الف واربعمائة سنة ، وقد جاؤا بصفتهم القبائلية العربية ومعهم مقتنياتهم ومواشيهم واستقروا في منطقة الفرات الاوسط حيث اندمجوا بالسكان العرب ، وهم عرب مثلهم ، فاعتنق اكثرهم الاسلام وبقي القليل منهم على يهوديته . »

١ ـ تمهيد . ٢ ـ اقدم وجود لليهود في شمالي العراق . ٣ ـ اليهـود في الاسر في آشـور . ٤ ـ امارة حدياب في آشـور . ٥ ـ بقايا يهود كردستان العراق وتهجيرهم الى (اسرائيل) . ٦ ـ اليهود في الاسر في بابل . ٧ ـ هجرة اليهود العرب من جزيرة العـرب الى الفرات الاوسط . ٨ ـ اليهودية في جزيرة العرب . ٩ ـ عروبة يهود الجزيرة . ١٠ ـ صلة يهود جزيرة العرب بفلسطين . ١١ ـ الخلاصة . ١٢ تهجير يهود العراق .

ان تاريخ يهود العراق القديم صفحة مظلمة من تاريخ الحضـــارة البشرية جمعاء ، افلح اليهود بطمس حقيقتها اكثر من الفين وخمسمائة عام ، اذ دونوا في الأسر في بابل تاريخا زائفا لأصل اليهود ونسبهم وصلتهم بالأقوام الاخرى وبالعالم القديم وفق اهوائهم ورغباتهم الدنيوية ونزعاتهم الدينية ، وقـد قبل العالم كله هذا الزيف وظل الباحثون والكتاب يرددونه وكأنه حقائق تاريخية، حتى ظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة فكشفت لنا زيف الادعاءات اليهودية كحقهم في ارض العرب وما الى ذلك من ادعاءات وهمية لا تستند الى أي سـند تاريخي . وهذه المدونات المكتشفة تسجل أحداثا بلغات الاقوام القديمة ، وقد عاصرت تلك الاحداث ذاتها ، كالسومريين والاكديين والكنعانيين ـ الفينيقيين والمصريين والحيثيين والبابليين والآشوريين والكلدانيين وذلك قبل تدوين التوراة بعدة قرون .

لقد ادعى اليهود فيما ادعوه بان تاريخهم يرجع الى عهد ابراهيم الخليل(ع) الى ما قبل اربعة آلاف عام قبل الميلاد وانهم هاجروا معه من العـراق الى فلسطين وكان عددهم اربعة آلاف نسمة(١) . وهكذا ربطوا نسبهم وأصـلهم بابراهيم الخليل (ع) وبالعراق على اعتبار أن العراق كان موطنهم الأصلي الذي هاجروا منه ، في حين أن المعلومات التي تركها لنا الأقدمون والقرائن التاريخية لا تقر هذه الادعاءات . فان آخر ما توصل اليه العلماء في ضوء المصادر المتوفرة لديهم ان ابراهيم الخليل (ع) ظهر على مسرح لاحداث في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وليس اربعة آلاف سنة قبل الميلاد (٢) . كما حدّد تاريخ ظهور اليهـود

---

(١) انظر كتاب سولوف بعنوان « كيف نما الشعب اليهودي » وعنوانه بالانكليزية :
Mordecai I. Soloff, "How the Jewish People Grew Up".

انظر ايضا : « تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لابنائهم » بقلم شريف يوسف ، مجلـة العربي الكويتية ، العدد ١٠٨ ، تشرين الثاني ، ١٩٦٧ ، ص١٠٥-١١١ .

(2) W. Keller, "The Bible as History", p. 69; R. de Vaux, "Les Patriarches Hebreux et L'Histoire", Revue Biblique, 72 (1965), pp. 5-28.

في العراق لاول مرة باواخر القرن الثامن واوائل القرن السابع قبل الميلاد ، وذلك حين جاء الآشوريون بهم اسرى الى بلاد آشور في شمال العراق ٠ وفضلا عن ذلك ان التوراة ذاتها تؤكد بكل وضوح ان ابراهيم الخليل(ع) هاجر من العراق بمفرده ولم يكن لليهود وجود في العراق في عصره ، وذلك بدلالة ما يأتي :

١ ـ ان دعوة الرب لابراهيم الخليل (ع) كانت موجهة اليه بمفرده وهي ان يهجر ارض العراق فذهب ومعه ساراي زوجه ولوط ابن اخيه(٣) ٠ فاين هم الاربعة آلاف يهودي الذين قادهم ابراهيم الخليل (ع) الى أرض كنعان؟٠

٢ ـ ان يعقوب حفيد ابراهيم الخليل(ع) الذي هو اسرائيل يصف نفسه وجده ابرام بالارامي التائه(٤) ٠ فكيف يكون ابراهيم واسحق ويعقوب آراميين ويهودا ؟٠ ثم لو كان ابراهيم (ع) قد قاد اليهود وعددهم اربعة آلاف نسمة كيف يكون آراميا تائها بحسب وصف حفيده يعقوب له ؟٠

٣ ـ لو كان هناك يهود قادهم ابراهيم (ع) الى ارض كنعان هلا كان بامكانه ان يزوج ابنه الوحيد من احدى بناتهم وتقر عينه بدلا من ارسال عبده الى آرام النهرين الى عشيرته ليأخذ زوجه له منها ؟ (٥) ٠ وكذلك فعل اسحق عندما أوصى ولده يعقوب بأن يذهب الى حاران ليأخذ له زوجة من هناك (٦)٠

ولم يكتف اليهود بان اعتبروا العراق وطنهم الاصلي بل ربطوا تاريخهم القديم بجزيرة العرب بدعوة ان اليهود هاجروا من فلسطين الى جزيرة العرب بعد تشريدهم على يد الرومان في القرن الاول للميلاد ٠ وعلى هذا الاساس اعتبروا شبه جزيرة العرب ارضا يهودية طوال التاريخ الى درجة انهم اعتبروا غور الاردن يفصل ارض اسرائيل الشرقية عن الغربية ٠ هذا ما يلقنونه لطلاب الجيل الجديد من عرب ويهود في كتبهم المدرسية في «اسرائيل»(٧) هل من احد رد على ذلك وأوضح ما تثبته المصادر التاريخية من ان يهود جزيرة العرب كانوا عربا تهودوا وهم في ديارهم وبقوا محافظين على قوميتهم ولغتهم العربية من غير ان تكون لهم اية صلة مع يهود فلسطين٠(٨)

---

(٣) تكوين ١٢ : ١ ، ٢٤ : ٤ـ٥ .

(٤) تثنية ٢٦ : ٥

(٥) انظر الاصحاح ٢٤ من سفر التكوين .

(٦) تكوين ٢٨ : ١ـ٢ .

(٧) بابوربش « اسرائيل معالم البلاد وجغرافيتها » للصف الثامن ، ص١٢٧ ؛ عزرا حداد والياس دانيال ، «التاريخ» للصف الخامس ، ص٢٠٠ .

(٨) انظر ما يلي في ذلك .

٢ ـ اقدم وجود لليهود في شمالي العراق

ان اقدم وجود لليهود في العراق يرجع الى عهد الامبراطورية الآشورية الاخيرة التي دامت حوالي ثلاثمائة عام ما بين سنة ٩١١ و٦٢٦ ق٠م٠ ، وقد كان لقيامها أثر في تغيير وجه الشرق ٠ فقد حكم في خلال هذه الفترة خمسة عشر ملكا بلغت الامبراطورية في عهد بعضهم اوج عظمتها واتساعها بحيث ضمت جميع اراضي الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر ٠ وقد لعبت دورا رئيسيا في القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا وتحطيم مملكة يهوذا وسبي السكان اليهود الى أماكن جبلية بعيدة في بلاد آشور (مناطق كردستان في العراق وايران وتركيا) واحلوا محلهم أقواما من مختلف أنحاء الامبراطورية الآشورية ٠ فقد تمكن شلمنصر الثالث (٨٥٩ـ٨٢٤ق٠م٠) من اخضاع الآراميين والفينيقيين واسرائيل ٠ ثم قام الملك تجلات بلاشر الثالث (٧٤٦ـ٧٢٧ق٠م٠) بحملة على مملكة اسرائيل واستولى على أراضيها ما عدا السامرة وضمها الى آشور وحمل سكانها اليهود الى الاماكن الجبلية النائية من المملكة واحل محلهم سكان من اقاليم أخرى ٠ كما جرد خلفه شلمنصر الخامس (٧٢٧ـ٧٢٢ق٠م٠) حملة تاديبية على اسرائيل فحاصر عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات وقبل أن يظفر بالنصر النهائي وافته المنية في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ق٠م٠ ولكن القائد الآشوري اتم مهمته باحتلال السامرة في نهاية العام على عهد سرجون الثاني (٧٢٢ـ٧٠٥ق٠م٠) ، وبذلك تم القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا ٠ وتبعا للخطة التي سار عليها تجلات بلاشر الثالث أجلى سرجون الثاني يهود السامرة البالغ عددهم ٢٧٢٩٠ نسمة الى المناطق الجبلية في مملكة آشور وقد احل محلهم أقواما من أقاليم أخرى(٩) ٠ وفي عهد سنحاريب (٧٠٥ـ٦٨١ق٠م٠) خلف سرجون قام هذا الملك سنة ٧٠١ق٠م٠ بحملة على مملكة يهوذا واستولى على ست واربعين مدينة من مدنها المحصنة وأخذ من اليهود مائتي الف نسمة الى أماكن جبلية بعيدة أيضا واحل محلهم اقواما أخرى٠(١٠) وقد ورد في الاخبار ان بعض هؤلاء الأسرى سيق الى ارمينية(١١) ٠ ومع أن أورشليم لم تسقط الا ان الجيش الآشوري ترك البلاد خرابا ولم يستطع ملك يهوذا الاحتفاظ بعرشه الا بعد دفع الجزية واعترافه بسيادة الآشوريين ٠

٣ ـ اليهود في الأسر في آشور

كانت سياسة الآشوريين أن يشتتوا السبايا في عدة اماكن نائية منعزلة لكي لا يتيسر لهم التجمع في مكان واحد والتكتل فيه على أمل العودة الى

---

(٩) ٢ ملوك ١٨ : ٩ـ١١ ، ١٧ : ٦ ٠

(١٠) ٢ ملوك ١٨ : ١٣ـ١٥ ، ١٧ ، ١٩ : ٣٥ـ٣٦ ٠

(11) J. Neusner, "A History of the Jews in Babylonia", III, p. 339.

المناطق التي اجلوا منها . وهكذا فقد ابعد الآشوريون سباياهم من اليهود من مملكتي اسرائيل ويهوذا الى المناطق الجبلية المنعزلة في كردستان العراق وتركيا وايران ضمن حدود الامبراطورية الآشورية واحلوا محلهم اقواما اخرى من انحاء الامبراطورية حتى اختفت اخبار هؤلاء الماسورين ، فسماهم الباحثون الاسباط المفقودة (The Lost Tribes) ، وصار يعتقد الربيون اليهود في بابل فيما بعد انهم اندمجوا بمحيطهم الوثني واخذوا بالوثنية ديانة اهل المنطقة التي حلوا بها. والمعروف في التقاليد اليهودية ان هذه الاسباط المفقودة هم الاسباط اليهودية العشرة من مجموع الاثني عشر سبطا .

اما الاماكن التي نقل الآشوريون اليهود المسبيين اليها ، فهي منطقة كردستان الواسعة وهي تقع اليوم ضمن حدود العراق وتركيا وايران . وقد تعمد الآشوريون توزيعهم على هذه المناطق الجبلية النائية للحيلولة دون تكتلهم في مكان واحد ومحاولة رجوعهم الى مناطقهم التي اجلوا عنها ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك . فقد ذكرت التوراة المناطق التي نقل اليهود اليها في زمن كل من تجلات بلاشر الثالث وسرجون الثاني وهي : « حلح » و « خابور نهر جوزان » و« هارا » ومدن مادي الايرانية(١٢) . وتقع المواضع الثلاثة الاولى في منطقة حوضي الخابور والبليخ عند منابعهما ، فحلح كلمة آشورية على الارجح لا يعرف معناها وهي اسم لمقاطعة في آشور قرب « تل حلف »(١٣) في حوض نهر الخابور . أما « جوزان » فهي « جوزانا » عاصمة امارة بحياني الآرامية وتقع عند « تل حلف » وقد كشف في هذا الموضع عن آثار قصر فخم لاحد الملوك الآراميين كان يدعى «كپارا» (Kapara) يرجع الى اوائل القرن التاسع قبل الميلاد(١٤) . وأما خابور فهو اسم اكدي ولفظه في العبرية « كبار » ، وهو النهر الذي أطلق عليه اليونان « خابوراس » ويجري على مقربة من نصيبين في اعالي بلاد ما بين النهرين ويصب في نهر الفرات ، وقد سمته التوراة « خابور نهر جوزان » لتمييزه عن نهر خابور آخر في منطقة بابل . وأما « هارا » فهي « حاران » (حران حاليا)(١٥) . ويرى البعض ان المدن

---

(١٢) ١ أخبار ٥ : ٢٦ ؛ ٢ ملوك ١٧ : ٦ ، ١٨ : ١١ ، ١٩ : ١٢

(١٣) تل حلف تل اثري يقع في شمال سورية على بعد خمسة كيلومترات جنوب غربي راس العين قرب منبع الخابور ، يرجع تاريخه الى الحقبة الممتدة من حوالي سنة ٤٨٠٠ الى سنة ٤٢٠٠ ق.م. وتمثل آثار تل حلف عصرا من العصور الثقافية التاريخية يتميز بها . وقد سماه علماء الآثار عصر حلف وهو اول ادوار العصر الحجري المعدني لتمييزه عن بقية الادوار التاريخية . وقد اصبحت منطقة تل حلف في منتصف الالف الثانية قبل الميلاد ضمن دولة ميتاني الحورية ، ثم اخذ الاراميون موضع هذا التل في القرن العاشر قبل الميلاد لبناء عاصمة لاحدى ممالكهم المسماة بيت بحياني عليه كانت تسمى «جوزانا» .

(14) G. Roux, "Ancient Iraq", p. 249.

المادية التي نقل اليهود اليها هي منطقة همدان وما جاورها من القرى ، بينما يرى البعض الآخر انها منطقة نهاوند وما جاورها من القرى(١٦) • وتفيد المصادر التاريخية ان الآشوريين نقلوا البعض من اليهود المسبيين الى ارمينية او الى حدود ارمينية(١٧) •

وقد كوّن اليهود المسبيون في جبال كردستان لهم قرى بين السكان الاكراد في المنطقة وبقوا منعزلين عن يهود فلسطين واليهود في البلاد الاخرى الذين كانوا يعتقدون بأنهم اندمجوا مع السكان الوثنيين وصباوا الى الوثنية ، فقلدوا الاكراد في نمط معيشتهم حيث صاروا يمارسون الاعمال الحقلية الزراعية وتربية المواشي تحت حماية رؤساء القبائل الكردية ويؤدون الجزية لهم •

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان هذه الجماعات من اليهود المسبيين في شمالي العراق ، على الرغم من مرور ٢٨٠٠ سنة على دخولهم العراق ، كانوا على اثر هجرتهم الى «اسرائيل» مؤخرا في حوادث فلسطين الاخيرة لا يزالون يتكلمون بلغتهم الأصلية ، هي اللهجة الآرامية القديمة التي كانوا يتكلمون بها عند سبيهم الى هذه المناطق الكردية وهي نفس اللهجة التي كان يتكلم بها السيد المسيح • وكانت تعرف هذه اللهجة ب «الترجوم» وقد سميت كذلك لان الأحبار اليهود ترجموا العهد القديم من العبرية الى هذه اللهجة فسميت بالترجوم ، ويقصد بها الفرع الغربي من مجموعة اللغة الآرامية الذي كان يستعمل في منطقة فلسطين واليها •

وتدل القرائن التاريخية المدعومة من الباحثين على ان الاكثرية الساحقة من هؤلاء اليهود المسبيين صبئوا الى النصرانية بعد ظهور الديانة المسيحية على يد المبشرين المسيحيين واليهود المتنصرين ثم أخذوا بالمذهب النسطوري وحافظوا على تعاليم هذا المذهب وطقوسه الكنسية بنفس اللغة التي كانت تمارس فيه هذه الطقوس قبل أكثر من الف وخمسمائة عام ، وهي اللغة المعروفة اليوم

---

(١٥) «حاران» مدينة قديمة لا تزال تعرف باسمها القديم «حران» وموقعها في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود التركية داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ، أحد روافد الفرات الاوسط ، تبعد حوالي اربعين كيلومترا من مصب البليخ في نهر الفرات . كانت مركزا لاحدى الدويلات الارامية ، كما كانت مركزا هاما على الطرق التجارية الرئيسية بين العراق وسورية وفلسطين ، وهي المدينة التي توجه اليها ابراهيم الخليل(ع) بعد خروجه من اور الكلدانيين في طريقه الى كنعان وقد ورد ذكرها في التوراة باسم (حاران) و(هاران) .

(16) Neusner, op. cit., II, p. 241.

(•7) Ibid., III, p. 339.

بالسريانية ، وقد ساعدهم على ذلك انزواؤهم في جبال كردستان المنيعة(١٨) .
اما الباقون على اليهودية وهم قلة فبقوا في اماكنهم الى جانب المتنصرين من اخوانهم محافظين على لغتهم القديمة(١٩) ، وهي نفس اللغة التي يتكلم بها النساطرة مما يدل على أن كليهما يرجع الى اصل واحد .

هذا هو الوجود الاول لليهود في العراق ويرجع الى القرن الثامن قبل الميلاد كما سبقت الاشارة الى ذلك . ويؤيد الباحثون نقلا عن اليهود الاكراد انفسهم بانهم أحفاد اليهود الذين سباهم الآشوريون (تجلات بلاشر الثالث سنة ٧٣٢ ق.م. ، وسرجون الثاني سنة ٧٢٢ ق.م. وسنحاريب سنة ٧٠١ ق.م.)(٢٠) . وقد أيد ذلك بنيامين التطيلي الذي زار منطقة كردستان في القرن الثاني عشر للميلاد ، فقال في كلامه على يهود العمادية في المنطقة الجبلية من شمال العراق : « يقيم بها نحو خمسة وعشرين الف يهودي وهم جماعات منتشرة في أكثر من مائة موقع من جبال خفتيان عند تخوم بلاد مادي (ايران). ويهودها من بقايا الجالية الاولى التي أسرها شلمنصر ملك آشور(٢١) ويتفاهمون بلسان الترجوم وبينهم عدد من كبار العلماء . والعمادية على مسيرة يوم من تخوم بلاد العجم يؤدي يهودها الجزية للمسلمين شانهم شان سائر اليهود

---

(١٨) ان مذهب النساطرة فرع من المسيحية ظهر اثر حدوث انشقاق مذهبي واسع في الكنيسة المسيحية في الشرق سنة ٤٣١م . ولم يقتصر هذا الانشقاق على النسطورية بل شمل فرعا آخر وقع سنة ٤٤٨م هو اليعقوبية المناوئة للنسطورية . والنسطورية نسبة الى معتنقها نسطوريوس بطريرك القسطنطينية الذي تدعو تعاليمه الى ان للسيد المسيح شخصيتين منفصلتين (اقنومين) : اقنوم الانسان يسوع واقنوم الله ، ولا يجوز ان تسمى مريم العذراء أم الله بل هي بشر ولدت المسيح بالشخصية البشرية وان المسيح مات على الصليب كانسان . وقد انتشر هذا المذهب على عهد الامبراطورية الساسانية في العراق وفي الجزيرة العربية وفي ايران ، وقد امتدت تعاليمه الى كردستان والهند والصين . اما اليعقوبية نسبة الى معتنقها يعقوب البرادعي مطران الرها ، فتضم الجماعة الذين لا يقرون بغير طبيعة واحدة في شخص السيد المسيح وهم يمارسون طقوسهم الدينية بنفس اللغة السريانية التي يستعملها النساطرة في طقوسهم . وقد انتشر هذا المذهب بين الاقباط والاحباش والارمن .

(١٩) انظر :
A. Grant, "The Nestorians or the Lost Tribes", N.Y., 1841; J. Neusner, op. cit., III, pp. 15-16.

(20) Neusner, op. cit., I, p. 59, n. 1, p. 62, n. 1.

(٢١) الظاهر ان المقصود هنا هو شلمنصر الخامس الذي حكم آشور بين سنة ٧٢٧ و٧٢٢ ق.م، وهو الذي قام بحملة على اسرائيل .

المقيمين في الديار الاسلامية وقدرها دينار اميري ذهبا ٠ » (٢٢)

٤ ـ امارة حدياب في آشــور

ومما يذكر في هذا الصدد ان هناك امارة واسعة في منطقة آشور القديمة ازدهرت في القرن الاول بعد الميلاد وهي نفس المنطقة التي نقل اليها اليهـود المسبيون (الاسباط العشرة) من زمن الآشوريين ، تدعى « امارة حـدياب » (Adiabene) في المصادر الكلاسيكية وبالعربية « حزة » ٠ وكانت هذه الامارة في أول الامر محصورة بين الـزابين الاعلى والاسفل عندما ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد ، ثم استمرت في النمو والازدهـار حتى بلغت اوج اتساعها وتمام استقلالها في القرن الاول الميلادي فاتسع نفوذها وبسطت سلطتها على منطقة نصيبين وحران وماردين وشملت جزءاً من بـلاد ارمينية ، كما ان من المرجح عند الباحثين ان نفوذها شمل مدينة الحضـر العربية ايضا ٠ أما عاصمة الامارة فكانت مدينة اربيل ٠ وكانت هذه الامـارة تابعة للامبراطورية الفرثية (٢٤٧ ق٠م٠ ـ ٢٢٦ ب٠م٠) الواسعة ٠ ولما كانت هذه الامبراطورية تتالف من أقاليم او امارات شبه مستقلة مع ارتباط تبعيتها بالملك الفرثي في عاصمته طيفسون فكانت امارة حدياب من بين الامارات المهمة التي تمتعت بقسط وافر من الحكم الذاتي وخاصة في عهـد افراهاط الثاني (٦٩ـ٥٧ق٠م٠) وابنه درود الثاني (٥٧ـ٣١ ق٠م٠) ، حيث كانت المنازعـات بين ملوك السلالة الفرثية فيما بينهم من جهة وحروبهم مع الرومان وملـوك ارمينية من الجهة الاخرى قد مهدت السبيل للاقاليم التابعة للامبراطورية الفرثية ان تزداد نفوذا واستقلالا فحققت مملكة حدياب في القرن الاول الميلادي استقلالا تاما تقريبا في عهد ملكها « ايزاط » ٠ وكان « أيزاط » معاصرا للملك الفرثي ارطبان الثالث (١٢ـ٣٨م) وأكثر الملوك شهرة فكان مقربا للملك الفرثي ونال عنده حظوة كبيرة لأنه ساعده في استعادة عرشه من الامراء الفرثيين المتنازعـين فوهبه مقابل ذلك منطقة نصيبين وجزءاً من مملكة ارمينية ٠ وتفيد الاخبـار ان جذور المسيحية قد تمركزت في اقليم حدياب منذ أوائل القرن الثاني للميلاد اثر غزو تراجان للمملكة الفرثية سنة ١١٥ أو ١١٦م وذلك كما يؤكده التقويم الاربللي (٢٣)٠

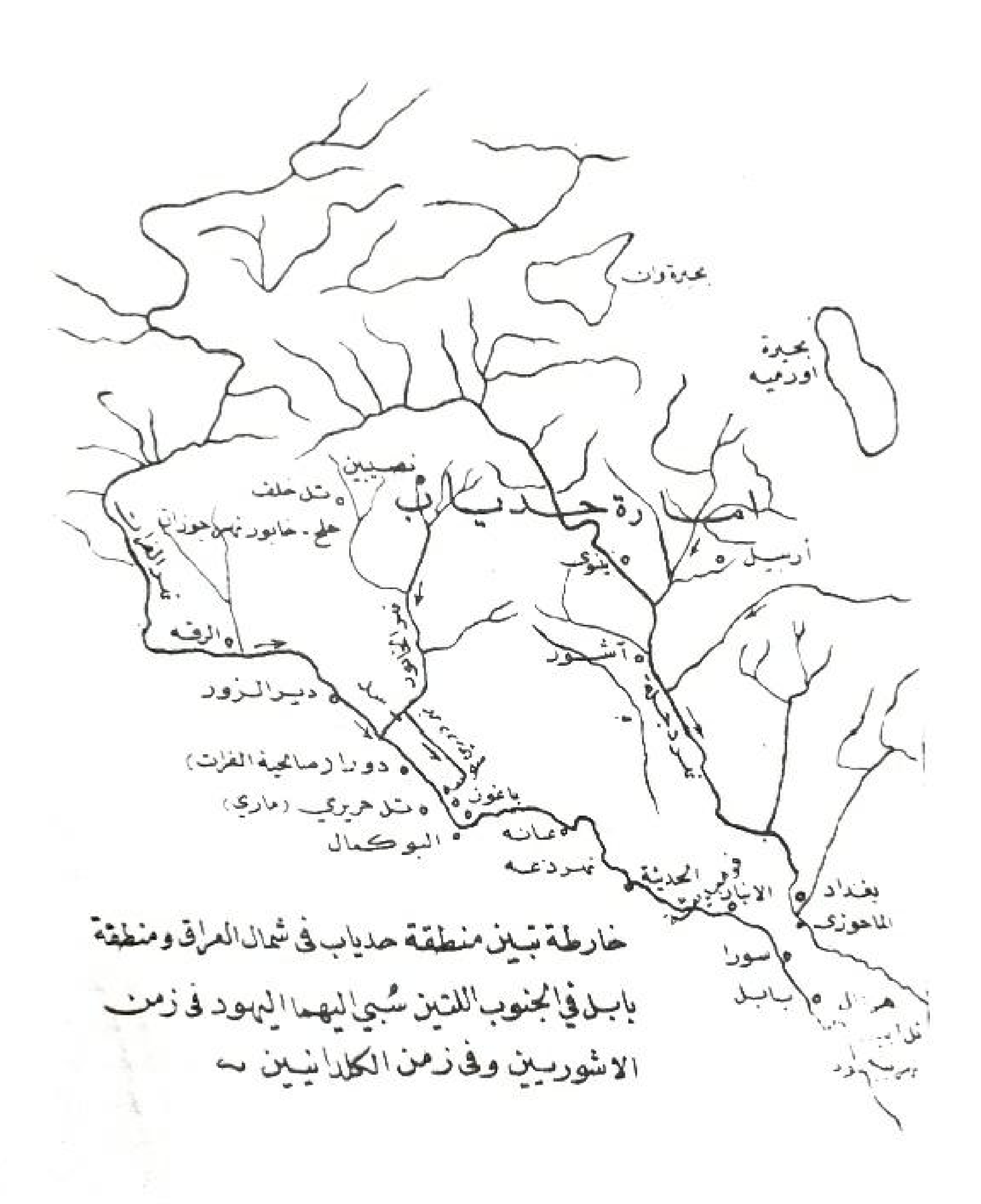
٥ ـ بقايا يهود كردستان العراق وتهجيرهم الى « اسرائيل »

لقد كان بقايا يهود كردستان العراق قبل تهجيرهم الى «اسرائيل» اثر حوادث فلسطين الاخيرة منتشرين في العمادية والعقر ودهوك وزاخو والزيبـار وبرواري العليا والسفلى والمزوري والدوسكي ، وكانت لهم قريتان مختصتان

---

(٢٢) رحلة بنيامين ، ص١٥٤

(23) Neusner, op. cit., III, p. 354.



مرسم رقم (٢) ـ خارطة تبين منطقة حدياب في شمال العراق ومنطقة بابل اللتين سبي اليهما اليهود في زمن الاشوريين والكلدانيين (الفقرة ٤)

بهم وهما « صندور » في منطقة دهـوك(٢٤) و« بيت النور » (بي تنور) في بروراي العليا وكثير منهم في قرية براش ويمتهنون الفلاحة والبستنة وتربية المواشي ، ومنهم من يعمل بالصياغة والتجارة والصناعة والحياكة . وكان لهم كنيسان في العمادية فوق القلعة واخرى في صندور ورابعة في بيت النور ، ولهم مزار يدعى « ابن حران » داود بن يوسف بن افرايم المتوفى حوالي سـنة ١٠٣٠هـ (١٦٢٠م) والى جانبه ضريح زوجته « الست نجاد » قرب الكنيس في العمادية ويدعون انه من اوليائهم . وفي سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) كان عدد اليهود في شمال العراق حوالي ثلاثة عشر الف نسمة اسقطوا جنسيتهم العراقية وهاجروا الى «اسرائيل»(٢٥) . (انظر التصوير رقم ١٩)



التصوير رقم (١٩) ـ احد الرعـاة اليهود في شـمالي العراق قبل تهجيرهم الى «اسرائيل» وهم من بقايا السبي الاشوري

---

(٢٤) يقول الدكتور هنري فيلد الذي قام بدراسة انثروبولوجية ليهود شمال العراق ان شيوخ بلدة صندور اليهودية قد اكدوا له ما تناقلوه عن اجـدادهم من ان اصلهم من يهـود فلسطين الذين نفاهم الاشوريون في زمن سنحاريب ملك اشور الى جبال كردستان العراق وايران ، وهم سـاكنون في قريتهم منذ ذلك الوقت لم يتركوها الا في مناسبتين حين اجبرتهم بعض القبائل الكردية على مغادرتها بصورة وقتية . ويذكر الدكتور فيلد ان يهود هذه القرية يحفظون صلواتهم على ظهر قلب بالعبرية من غير ان يفهموا معناها ، ولـم يتزاوجوا طيلة مدة سكناهم في هذه المنطقة الا من بين طائفتهم اليهودية الكردية وهـم لا ياكلون اللحم الذي لا تتوفر فيه الصفات التي تمليها عليهم ديانتهم . انظر:
H. Field, "The Anthropology of Iraq", Part II, No. 2, Kurdistan, Vol XLVI, 1952, pp. 71-72.

(٢٥) محفوظ محمد عمـر العباسي ، « امارة بهـدينان العباسية » ، الموصل ، ١٩٦٩ ،

وكان الصهيونيون يحرصون كل الحرص على تهجير هؤلاء اليهود الى «اسرائيل» من دون بقية اليهود في العراق ، وذلك لكونهم أصحاء الجسم يمتهنون الزراعة والبستنة وتربية المواشي ، فهم يصلحون أكثر من اليهود الآخرين كأياد عاملة في الحقل . وفضلا عن ذلك فهم لا يزالون متمسكين بديانتهم الاصلية ولا يخشى منهم مشاركة العرب في شعورهم القومي نحو القضية الفلسطينية لأن لغتهم الثانية بعد اللغة الآرامية الأم هي الكردية . وقد افلح الصهيونيون في تهجيرهم كلهم الى «اسرائيل» بالاتفاق مع الحكومة العراقية القائمة آنئذ تحت ضغط وتهديد متعمدين ومصطنعين ، وذلك استنادا الى القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء في ١٩٥٠/٣/٩ والذي ينص على اسقاط الجنسية العراقية عن اليهودي العراقي الذي يرغب في ترك العراق نهائيا . وترجع فكرة تهجير يهود كردستان الى فلسطين الى ما قبل الحرب العالمية الاولى ، فقد استخدمت الدعوة الصهيونية كل وسائل الاغراء والعطف الديني لحثهم على الهجرة الى فلسطين لاستخدامهم في الاعمال الزراعية ، « وجرت محاولة لتوطينهم في مستعمرات الجليل وعمل بعضهم مع الهاشومير الاوائل . وظلت الهجرة الى فلسطين من البلاد العربية – رغم الدعايات الصهيونية – محدودة ، اذ لم يهاجر بين عام ١٩١٩ و١٩٤٨ الا ٧٩٨٨ معظمهم من كردستان . »(٢٦)

٦ – اليهود في الأسر في بابل

لقد قدمنا فيما تقدم عرضا مجملا للاحداث التي مرت في الفترة التي وجد فيها اليهود المسبيون في شمالي العراق لاول مرة ، وهي الفترة التي شهدت وقائع خطيرة ترجع حوادثها الى ما قبل أكثر من ٢٥٠٠ سنة . ونأتي الآن على الدور الثاني الذي وجد فيه اليهود في العراق ، وقد كان هذه المرة على مسرح منطقة جنوب العراق وقعت حوادثه في منطقة بابل الغنية بمياهها وبخصوبة سهولها الزراعية .

لقد انقرضت الدولة الآشورية وبانقراضها طوى الزمن اخبار دور اليهود المسبيين في شمال العراق . فسقطت نينوى عاصمة دولة الآشوريين سنة ٦١٢ق.م. وبسقوطها انتهى دور الامبراطورية الآشورية ، فاقتسم الماذيون والكلدانيون ممتلكاتها وقد وقعت حصة الكلدانيين في سورية والعراق ، وقد تأسست اثر ذلك الدولة البابلية الكلدانية التي دام حكمها ٧٣ سنة بين سنة ٦١٢ و٥٣٩ قبل الميلاد . والذي يهمنا من حكم هذه الدولة هو قضاؤها على

---

(٢٦) الدكتور علي ابراهيم عبدة وخيرية قاسمية ، «يهود البلاد العربية» ، دراسات فلسطينية، ٨٢ (١٩٧١) ، ص٦٩–٧٠ .

مملكة يهوذا الهزيله وسبي يهودها الى بلاد بابل ، وقد انجزت هذه العملية على عهد نبوخذنصر الثاني ، وهو أعظم ملوك هذه الدولة ، حكم البلاد ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ وسنة ٥٦٢ ق٠م٠ وذلك في حملتين ، الاولى في سنة ٥٩٧ ق٠م٠ والثانية في سنة ٥٨٦ ق٠م٠ ففي الحملة الاولى سبى نبوخذنصر « كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف صبي وجميع الصناع والاقيان ولم يبق أحد الا مساكين شعب الارض » ، كما سبى « يهوياكين » (ملك يهوذا) وامه ونساءه ورجاله من اورشليم الى بابل ٠

وفي الحملة الثانية قضي على مملكة يهوذا نهائيا فخربت أورشليم ودمرت تدميرا كاملا فأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء وسلبت الخزائن ونقلت الى بابل ، وقد خمّن عدد الاسرى الذين سيقوا الى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الاول بحوالي ٥٠٫٠٠٠ شخص ، وهؤلاء كالذين سباهم الآشوريون الى بلاد آشور كانوا يتكلمون فيما بينهم باللهجة الآرامية الخاصة بهم (الترجوم) ، ويرجع تاريخ دخولهم الى العراق الى الربع الاول من القرن السادس قبل الميلاد ٠

ومن المهم ملاحظته هنا أن الكلدانيين ، خلافا لما قام به الآشوريون من تشتيت الاسرى وابعادهم الى مناطق جبلية نائية منعزلة ، جاؤا بسباياهم من الاسرى اليهود الى مركز الدولة (بابل) وأسكنوهم في جوار مدنهم وقراهم مما مكنهم من التجمع في المنفى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وطقوسهم الدينية وتكوين مجتمعهم الخاص بهم ٠ وقد اقتبسوا لغة الكلدان ثم اللغة العربية التي حلت محل اللغة الآرامية التي كانوا يتكلمون بها في الاصل ٠ لذلك قد يصح أن نطلق على هؤلاء اليهود الذين بقوا في هذه المنطقة اسم اليهود المستعربين على أساس أخذهم باللغة العربية مع مرور الزمن ٠

ويظن أكثر الباحثين أن اليهود المسبيين الى بابل كانوا يحيون في الاسر حياة ضيق وتعاسة تحت كابوس مظالم الكلدانيين وتعسفهم ، ومصدر هذه المزاعم هو بعض الكتابات اليهودية التي كانت ترمي من وراء بث هذه المزاعم استدرار العطف على اليهود المسبيين الذين أبعدوا عن ديارهم ٠ وهذه المزاعم لا تستند الى البراهين والأدلة ، لأن أكثر المصادر التاريخية الموثوقة ومن ضمنها مصادر يهودية تعترف بما روته المصادر الكلدانية ، وهو أن نبوخذنصر سمح للاسرى أن يصحبوا عائلاتهم وينقلوا معهم اموالهم المنقولة ومواشيهم ٠ وتؤكد هذه المصادر أن نبوخذنصر وهب اليهود بعد نقلهم الى بابل اخصب مقاطعاته وأسكنهم فيها مثل منطقة « نفر » (نيبور) التي كانت تعد من اغنى مقاطعات

بابل.[٢٧] ومنحهم كذلك اوسع الحريات في العمل وممارسة طقوسهم الدينية، وكانت السلطات الحاكمة تعاملهم على احسن وجه .

وتعترف المصادر اليهودية بان اليهود في بابل اصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى اهل بابل ، فبعضهم امتلك الاراضي الزراعية والبعض الآخر كان يزرع بالفعل على الاراضي التي اقطعت لهم ، وقد حفروا شبكة من جداول الري والقنوات لايصال المياه السيحية الى مزارعهم ، وانشأوا الحقول والبساتين ووجهوا عنايتهم لوقايتها من الغرق باقامة السدود وتنظيم اعمال الري على احسن وجه وقد اعتنوا عناية خاصة بتطهير الجداول والمبازل من الراسبات الغرينية بحيث تحولت هذه المنطقة الى حقول مثمرة . وكان يعمل بعضهم في حقل التجارة . لذلك ، لما احتل كورش الاخميني بابل سنة ٥٣٩/٥٣٨ ق.م. وسمح لمن اراد من الاسرى اليهود الرجوع الى فلسطين لم يستجب الى هذا السماح الا نفر قليل انحصر في اولئك الذين لم يفلحوا كثيرا في الارض الجديدة والمتعصبين الراغبين في اعادة بناء الهيكل ، والاكثرية الساحقة من الأسرى اختاروا البقاء في بابل يرتعون في خيرات البلاد ويدابون في زيادة ثروتهم وانمائها .

وقد اشتهرت عدة مدن في بابل بعد السبي البابلي باكاديمياتها الفق[illegible] اليهودية واهم هذه المدن التي كان اكثرية سكانها من اليهود المسبيين هـ[illegible] نهر دعة وفومبديثة وسورا وماحوزى .

كانت نهر دعة مدينة قديمة على نهر الفرات تقع في جوار عانة وقد اطلق اسمها ايضا على كل المنطقة الواقعة في الفرات بين عانة والانبار . اما فومبديثة فهي الاسم الذي أطلقه اليهود على الانبار حيث تجمع اليهود بعد السبي البابلي ، ولفظة فومبديثة تعني فم البداة ، والبداة ذكرها ياقوت ووصفها هي والجبة انهما طسوجان من سواد الكوفة[٢٨] . أما الانبار فتقع اطلالها اليوم على ضفة نهر الفرات اليسرى على بعد حوالي ثمانية كيلومترات الى الشمال من مدينة الفلوجة . يقول المستوفى في « نزهة القلوب » ان

---

(٢٧) «نفر» (نيبور) هي من المدن البابلية الشهيرة ، تقع بالقرب من بلدة عفك الحالية على بعد حوالي ٢٥ كيلومترا من شمال شرقي الديوانية على الضفة اليمنى من عقيق الفرات القديم ، ويرجع تاريخها الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، وكانت مركزا دينيا مهما في العهد السومري ، اذ كانت مقر الاله « اين ليل » اله الارضين وهيكله المشهور «اي‌كور» وزقورته . اكتشف في خزانة الهيكل على ما يقرب من ٢٢ الف لوح يعود تاريخها الى الفترة بين سنة ٢٧٠٠ وسنة ٢١٠٠ قبل الميلاد .

(٢٨) معجم البلدان ١ : ٧٧٠ ، ٢ : ٣١ .

مؤسس الانبار الملك مهراب قايانيان ، جعلها معتقلا للاسرى اليهود الذين سباهم نبوخذنصر ثم جدد بناءها سابور الثاني وجعلها السفاح كرسي مملكته. وكانت سورا تقع بجوار الحلة على شط النيل المتفرع من الفرات وكان يعرف قديما بنهر سورا كانت مركزا رئيسا مهما من المراكز التي تجمع فيها اليهود بعد السبي البابلي . اما الماحوزى فمدينة قديمة متاخمة لسلوقية (المدائن) ولما غزا كسرى الاول (انوشروان) (٥٣١-٥٧٩م) انطاكية نقل اهلها الى مدينة جديدة قرب ماحوزى فسميت الماحوزى الجديدة .

٧ ـ هجرة اليهود العرب من جزيرة العرب الى الفرات الاوسط

لقد عرضنا فيما تقدم نبذة عن الدور الاول الذي وجد اليهود فيه في شمال العراق لاول مرة(٢٩) ، ثم عرضنا نبذة عن الدور الثاني الذي وجد فيه اليهود في جنوب العراق(٣٠) ، ونأتي الآن على الدور الثالث الذي دخلت فيه الى العراق جماعة من قبائل العرب المتهودة وقد أخرجت من جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر (رض)(٣١) . وهؤلاء عرب في لغتهم وقوميتهم ووطنهم وقد اختلطوا بعد مجيئهم للعراق بالمزارعين العرب الذين يرتبطون معهم بوشائج الدم والقومية ، وان هذا الارتباط كان عاملا قويا في حمل اكثر هؤلاء العرب المتهودين على اعتناق الاسلام والاندماج بالبيئة العربية الاسلامية كليا ، وقد بقي القليل جدا على يهوديته . وقد كان مجيء هؤلاء الى العراق وسورية في القرن السابع للميلاد ، اي بعد ظهور اليهود المسبيين من العهد الآشوري والكلداني في العراق بحوالي الف واربعمائة عام ، وقد جاؤا بصفتهم القبائلية العربية ومعهم مقتنياتهم ومواشيهم من اغنام وجمال بعد ان عوضهم الخليفة عمر (رض) عن ممتلكاتهم غير المنقولة واستقر أكثرهم في منطقة الفرات الاوسط حيث وفرة فرص الحياة الزراعية ، وقد بقي هؤلاء محافظين على لغتهم وقوميتهم العربية .

٨ ـ اليهودية في جزيرة العرب

وقبل البحث في هذا الموضوع المتعلق بكيفية انتشار اليهودية في جزيرة العرب ، لا بد من اثارة نقطة مهمة ، وهي ان الكثير من الباحثين يظن ان باب التبشير باليهودية كان مغلوقا منذ القديم وان اليهود الذين ظهروا في مختلف الاقطار ومنها الجزيرة العربية هم من اليهود الذين هاجروا من فلسطين. وهذا يخالف الواقع ، لأن كل الدلائل تثبت أن رجال الدين من اليهود كانوا يتحمسون ويحرصون كل الحرص لحمل أكثر ما يمكن من الناس من مختلف الاقوام على اعتناق اليهودية والتبشير بها منذ اقدم العصور . وبعد ظهور

---

(٢٩) انظر ما تقدم في الفقرة ٢ من هذا القسم

(٣٠) انظر ما تقدم في الفقرة ٦ من هذا القسم

(٣١) انظر ما تقدم في الفقرة ١ من القسم الاول

المسيحية صاروا اشد حماسا في التبشير بدينهم نتيجة للمنافسة بينهم وبين المبشرين المسيحيين مما اثار العداء الشديد الدامي بينهما واستمرت هذه المنافسة تلعب دورها الف وثلاثمائة سنة حتى اغلق باب التبشير باليهودية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد(٣٢) ، في حين ان التبشير بالمسيحية استمر ولا يزال مستمرا حتى هذا اليوم ٠

ان اليهودية كدين لم تكن مقتصرة على قوم موسى ، فقد انتشر الدين اليهودي بين مختلف الامم والاجناس ، وهذه الامم اعتنقت الدين اليهودي وهي تعيش في ديارها وأوطانها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئاتها ، اذ بدأ التبشير بالدين اليهودي منذ تكوين الديانة اليهودية بعد كتابة التوراة في الأسر في بابل ، واستمر الى العصور الوسطى حيث اغلق باب التبشير في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كما تقدم ٠ فقد قضى اليهود حوالى عشرين قرنا يعملون بجد ونشاط لنشر ديانتهم بين شعوب وامم لا تمت الى قوم موسى (ع) بأدنى صلة وليست لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين من اليهود لا من بعيد ولا من قريب ٠ وهؤلاء الدعاة الى الدين اليهودي لم يكونوا دائما من فلسطين ، بل ممن اعتنقوا الدين اليهودي من مختلف العناصر فتحمسوا له ، كما أن المسيحية لم تنتشر بوساطة سكان فلسطين وحدهم ، بل بوساطة من اعتنقها من مختلف الاجناس والشعوب٠(٣٣) وهكذا « ظلت اليهودية زمنا طويلا فاتحة ذراعيها مرحبة بمقدم كل من ينضوي مخلصا تحت لوائها من أبناء الشعوب الاخرى »٠(٣٤) فقد اعتنقت شعوب عديدة الدين اليهودي وهم في ديارهم وأوطانهم ولم يكونوا في وقت من الاوقات من سكان فلسطين ، فانتشر هذا الدين في القارات الثلاث واعتنقته أمم متباعدة الاوطان مثل سكان اليمن والحبشة والجزيرة العربية وبلاد القفقاز (الخزر) واواسط اوروبا وبلاد المغرب وشعوب مختلفة في الدولة الرومانية وفي الاقطار المجاورة لها ، هذا الى جانب العناصر التي دخلت في اليهودية بطريق الزواج ٠ وقد اعتنق اليهودية كثير من الجماعات التي جاء بها الآشوريون من مختلف انحاء الامبراطورية الآشورية الى فلسطين ليحلوا محل اليهود الذين ابعدوا الى كردستان والى بلاد مادى واندمج بعضهم باليهودية ٠ وربما كان خير من يمثلهم اليوم اليهود السامريون الذين يعيشون وسط العرب وفي رعايتهم في مدينة نابلس٠(٣٥)

---

(٣٢) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » ، ص٢٠ ٠

(٣٣) الدكتور محمد عوض محمد ، الهلال (يوليو) ١٩٤٧ ، ص٢٢-٢٩ ٠

(٣٤) ويلز ، « معالم تاريخ الانسانية » الترجمة العربية ، الكتاب الرابع ، ص٢٩٢-٢٩٣ ٠

(35) P. Hitti, "History of Syria", p. 197.

ان اليهودية والمسيحية ظهرتا في الجزيرة العربية قبل الاسلام في ظروف متشابهة وسط عالم يدين بالوثنية ، والاثنتان انتشرتا في العالم عن طريق التبشير وبخاصة عن طريق اعتناق رؤساء مجتمعات تلك العصور ، واحسن مثال نورده في هذا الباب اعتناق الامبراطور الروماني قسطنطين الاول المسيحية في اوائل القرن الرابع الميلادي واعتناق ابي كرب ملك اليمن اليهودية في القرن الخامس الميلادي ، فاجبر الاول شعبه على اعتناق المسيحية والثاني اجبر شعبه على اعتناق اليهودية ، وقد تم ذلك في زمن متقارب تقريبا بحيث قد يصح اعتبار وقوع الحدثين في عصر واحد . وبنفس هذه الطريقة انتشرت اليهودية في الخزر وفي شرقي اوروبا ثم المسيحية في كل العالم . ففي تعليق على التبشير القديم باليهودية يقول المؤرخ پاركس في كتابه «تاريخ الشعب اليهودي» « انه لمن الخطأ الاعتقاد بان اليهود لم يقصدوا التبشير باليهودية او لم يقبلوا التمذهب بالدين اليهودي . »(٣٦) وفي انتشار اليهودية في بلاد الرومان يقول كاوتسكي (Kautsky) : « ففي بداية العصر المسيحي تعاظمت اهمية الارتداد نحو اليهودية ، اذ كان من المغري بالنسبة للكثيرين ان ينضموا الى المجموعة التجارية ، المزدهرة الواسعة ، ومنذ عام ١٣٩ قبل الميلاد طرد اليهود من روما لتهويدهم بعض الرومان ، وفي انطاكية كان المتهودون يشكلون القسم الاكبر من الطائفة اليهودية.(٣٧) وقد عمل اليهود على التبشير باليهودية بين الناس في روما بحيث صار اعتناق اليهودية خاصة في النصف الاول من القرن الاول الميلادي مودة العصر وكثر اعتناق اليهودية الى الحد الذي أجبر الامبراطور نيرون أن يصدر أمرا بمنع اليهود من التبشير بدينهم او اعتناق اليهودية وآمنت باليهودية الرعية حتى زوجة نيرون نفسه .(٣٨)

عاش اليهود في جزيرة العرب معيشة اهلها فلبسوا لباسهم وتكلموا لغتهم وتصاهروا معهم ، فتزوج اليهود عربيات ، وتزوج العرب يهوديات ، واسترضع العرب في القبائل العربية المتهودة ، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود في الجزيرة هو الاختلاف في الدين . وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في اي بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد.(٣٩) ذلك

---

(36) "History of the Jewish People", p. 7.

(٣٧) ابراهام ليون : « المفهوم المادي للمسالة اليهودية » ترجمة عادلة نويهض ، ص٣١.

(٣٨) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » ، ص٣٠ نقلا عن البرت تريفر :
Albert Trever, "History of Ancient Civilization", N.Y., 1939, II, p. 466.

(٣٩) الدكتور جواد علي « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٦ : ٢١ نقلا عن
Graetz, "History of the Jews", III, p. 58, f., 60.

كله ما يؤيد كون اليهود في الجزيرة العربية عرب متهودون لا يهود مهاجرون ، اعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير ، لأن العصبية العربية تقيم حاجزا يحول دون زواج اليهود بالعربيات كما هو معروف · وفي ذلك يقول الدكتور جواد علي : « ولعل كون اليهود في الجزيرة من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس · »(٤٠)

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد ان اليهودية التي اعتنقها عرب الجزيرة كانت أشبه بحزب قبلي منها دين له أصوله وابعاده كدين يهود فلسطين ، اذ كان مجرد اعتناق احد رؤساء القبائل او البطون أو الافخاذ يؤدي تلقائيا الى تهود اتباع ذلك الرئيس او الزعيم · فقد كانت هذه القبائل المتهودة تعقد الأحلاف مع بقية القبائل العربية على الطريقة المتبعة منذ القديم بين القبائل العربية في الجزيرة ، محافظة على نفس عاداتها وتقاليدها واعرافها وثقافتها وقوميتها العربية ، ولم يعرف هؤلاء العرب المتهودون من اليهودية غير عقيدة التوحيد وبعض عبارات عبرية يحفظونها على ظهر قلب ويرددونها دون أن يفهموا معناها عند الصلاة · ولم يكن لهم أية صلة تربطهم بيهود فلسطين غير الاتصال التجاري الذي كان يمارسه اليهود في أكثر بلاد العالم وزيارة بعض أحبار يهود فلسطين ممن كانوا يحسنون اللغة العربية لأن يهود فلسطين كانوا يتكلمون ما بينهم باللغة الآرامية في ذلك الزمن ·

وتدل المدونات التاريخيه المتوافرة ان اليهودية كانت في العصر الجاهلي منتشرة بين القبائل العربية بوجه عام (في الحجاز وفي اليمن وفي نجد وفي الحيرة وفي البحرين وغيرها) · ويفهم من روايات الاخباريين أن يهود الحجاز وبخاصة يهود مدينة يثرب كانوا قبائل وعشائر وبطونا منهم : بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وبنو عكرمة ، وبنو محمر ، وبنو زعورا ، وبنو زيد ، وبنو الشطية ، وبنو جشم ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو القصيص (العصيص) وبنو ماسلة وبنو ثعلبة ·(٤١) وكان يسكن مع يهود يثرب من غير اليهود بطون من العرب منهم : بنو الحرمان حي من اليمن ، وبنو مرثد حي من بلي ، وبنو نيف وهم من بلي أيضا ، وبنو معاوية حي من بني سُلَيم ثم من بني الحرث بن بهثة ، وبنو الشطية حي من غسان · وظل اليهود اصحاب يثرب حتى جاء الأوس والخزرج فنزلوها ، وورد في الاخبار انهم جاؤا بعد حادث سيل العرم التماسا لوطن صالح جديد ، وانهم حينما نزلوها لم يكن لهم حول ولا قوة استغلوا الخلافات بين اليهود فتغلبوا عليهم وسيطروا

---

(٤٠) المرجع السابق : ٦ : ٢١ .

(٤١) الدكتور جواد علي، « المفصل في تاريخ العرب » ٦ : ٥٢٢ نقلا من الاغاني ١٩ : ٩٥ وسيرة ابن هشام ٢ : ١٤٧

على المدينة وقسموها فيما بينهم ، فلم يبق يومئذ لليهود عليها سلطان ٠(٤٢)
وقد ذكر اليعقوبي ان بعض منتسبي الأوس والخزرج قد تهودوا بعد نزوحهم من مواطنهم الى يثرب قال : « وتهوّد قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير ٠ »(٤٣)

ويلاحظ مما تقدم انه كان بين قبيلة بني الشطية وقبائل الأوس والخزرج ممن تهودوا ، كما ان هناك ما يدل على أن بعض قبيلة بلّي من بطون قضاعة قد تهود ايضا ٠ (٤٤)

٩ ـ عروبة يهود الجزيرة العربية

لقد ذهب اغلب الباحثين ، استنادا الى دراسة أسماء يهود الحجاز منذ ظهور الاسلام ، الى ان اولئك اليهود لم يكونوا يهودا حقا ، بل كانوا عربا متهودين تهودوا بتاثير الدعاة اليهود ٠(٤٥) ويرى نولدكه انه ليس بين أسماء البطون اليهودية الاحد عشر التي كانت في الحجاز في ايام ظهور الاسلام اسم يظهر عليه الملامح اليهودية غير اسم واحد وهو زعورا ٠(٤٦)

ويؤكد اليعقوبي ان القبائل اليهودية في جزيرة العرب كانوا من أصل عربي، اذ يقول في وقعة بني النضير ان بني النضير فخذ من جذام الا انهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به ، وفي وقعة بني قريظة يقول بأن بني قريظة فخذ من جذام ايضا أخوة النضير ، ويروي ان تهودهم كان في ايام عادياء بن السموال ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه ٠(٤٧) ويؤيد ذلك ياقوت الحموي في معجمه ، فيقول ان يهود بني قريظة وبني النضير كانوا من القبائل العربية في الجزيرة وقد اعتنقوا اليهودية وكان لهم ملوك حتى اخرجهم الأوس والخزرج من الانصار من المدينة ٠(٤٨)

ومن قبائل جزيرة العرب المتهودة التي ذكرها القاضي صاعد الاندلسي ، قبائل

---

(٤٢) الدكتور جواد علي ، « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٦ : ١١ ٠

(٤٣) تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ، ١ : ٢٢٦ ٠

(٤٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ١ : ٢٩ ٠

(٤٥) الدكتور جواد علي « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ٦ : ١٩ نقلا عن :
Margoliouth, "The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam, 61 ff.
والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٣ نقلا عن :
W. Caskel, Das attarabische Komingreich Lilhian, S. 19.

(٤٦) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب ٦ : ٢١ نقلا عن ماركوليوث ونللينو وهرشفلد ٠

(٤٧) تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ، ١ : ٤٠ ، ٤٢ ٠

(٤٨) « معجم البلدان » ٤ : ٢٨٥ ، ٤٦٠

بني حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة(٤٩) كما يذكر اليعقوبي ان قوما من بني الحارث بن كعب وقوما من غسان وقوما من جذام قد تهودوا ٠(٥٠) وقد ورد عن المستطرف قوله ان الدين اليهودي انتشر في قبائل العرب في نمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة ٠(٥١)

وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد انهم كانوا ينكرون وجود يهود في الجزيرة العربية (والمقصود بذلك يهود من فلسطين) ويقولون ان الذين يعتبرون انفسهم من اليهود في جهات خيبر ليسوا يهودا حقا اذ لم يحافظوا على الديانة الالهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود ٠(٥٢) ويعتقد العلامة شير ان اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة ، كانت يهودية في اساسها ولكنها غير خاضعة لكل ما يعرف بالقانون التلمودي ٠(٥٣)

ويؤيد المؤرخون اليهود ان يهود حزيرة العرب كانوا في معزل وانفصال تام عن بقية ابناء دينهم خارج الجزيرة ، لذلك لم يرد عن يهود جزيرة العرب شيء في اخبار المؤلفين اليهود القدامى • وهذا ان دل على شيء انما يدل على انعدام الصلة القومية بينهم وبين يهود فلسطين ٠ ففي ذلك يقول الدكتور ولفنسون : « ان ثمة مراجع عبرية غير قليلة عن حياة اليهود في بلاد العراق والفرس ومصر واليونان والرومان ، اما يهود الجزيرة العربية فلا تكاد نجد مؤلفات عبرية عنهم الا شيئا ضئيلا جدا لا يتجاوز بضعة نصوص اندمجت في بعض الكتب اندماجا عرضيا غير مقصود ، ولكننا نستطيع أن نستنتج من هذه الناحية نفسها نتيجة ذات شأن ، وهي ان سكوت المراجع الاسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في الجزيرة العربية يدل دلالة قاطعة على ان اليهود في بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية ابناء جنسهم (والاصح ان يقال اخوانهم في الدين) في جهات العالم ولم تكن لهم بهم اية صلة ٠ »(٥٤)

« ويلاحظ ان يهود الجاهلية لم يحافظوا على يهوديتهم وعلى خصائصهم التي يمتازون بها ويحافظون عليها محافظة شديدة ، كما حافظوا عليها في الاقطار الاخرى ٠ فاكثر اسماء القبائل والبطون والاشخاص هي اسماء عربية ، والشعر

---

(٤٩) « طبقات الامم » ، بيروت ١٩١٢ ، ص٤٣ ؛ ابن قتيبة ، «المعارف» ١٩٦٠ ، ص٦٢١ .

(٥٠) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٧ .

(٥١) يوسف غنيمة « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق » ص٩٩ عن المستطرف للابشيهي ٢ : ١١٤ .

(52) Graetz, op. cit., III, p. 75.

(٥٣) المرجع السابق ، ص٥١ .

(٥٤) ولفنسون ، « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، ص١١-١٢ .

المنسوب الى شعراء منهم ، يحمل الطابع العربي ، والفكر العربي . وفي حياتهم الاجتماعية والسياسية ، لم يكونوا يختلفون عن العرب ، فهم في أكثر أمورهم كالعرب فيما سوى الدين ...(٥٥) وهذا الشعر المنسوب الى اليهود ، لا يختلف في طريقة نظمه وفي تراكيبه ونسقه عن شعر الشعراء الجاهليين الوثنيين ، ولا تكاد تلمس فيه أثر لليهودية ، فالفاظه عربية صافية نقية مثل الفاظ أهل الجاهلية ، وأفكاره على نمط أفكار الجاهليين . ويصعب أن نجد فيه أثرا للتوراة والتلمود . »(٥٦)

١٠ ـ صلة يهود جزيرة العرب بفلسطين

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان البطون العربية المتهودة لما أجليت من جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر (رض) لم يعرف ان احدا من هؤلاء نزح الى فلسطين ليكونوا بالقرب من هيكل سليمان مندفعين بالحماس الديني ، فيقول الدكتور جواد علي في ذلك : « يلاحظ أن اليهود فضلوا الذهاب الى اذرعات والى أماكن أخرى على الذهاب الى القدس أو طبريه او قيصرية او غيرها من بلاد فلسطين ، مما يدل على انهم لم يكونوا يفكروا قط في الاقامة في تلك الاماكن ، وان قلوبهم لم تكن متعلقة بها ، والا اختاروا الذهاب اليها ، بل كانت أفئدتهم متعلقة بمواطنهم هذه التي كانوا يقيمون بها بالحجاز ، وان اليهود كانوا يفضلون السكنى في المواطن التي نشأوا فيها على الذهاب الى فلسطين . »(٥٧)

وهذا كله لا يتفق أو يلتئم مع ما ذهب اليه بعض الباحثين من ان يهود الجزيرة قد جاءوا من فلسطين اثر اجلائهم منها في عهد الرومان . ولا شك انهم مستندون في ذلك الى الاقوال التي انفردت بها التوراة ثم أيدها التلمود والتي تقول ان أصل يهود الجزيرة العربية هو فلسطين بغية تأكيد صلة القربى بين العرب واليهود ، ولكن ذلك لا ينسجم وسنة الطبيعة ، فالهجرة لا تتم من البيئة المتمدنة المستقرة الى البيئة الصحراوية مثل جزيرة العرب ، بل العكس هو الصحيح والطبيعي . وللمستشرق وينكلر راي في هذا الموضوع وهو ان أولئك اليهود لو كانوا يهودا حقا هاجروا من فلسطين الى الجزيرة العربية ، لكانت حالتهم واوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كان عليه يهود الجزيرة العربية ، اذ كانت حالة يهود فلسطين أرقى وارفع من الحالة التي كان عليها هؤلاء اليهود ، فلا يعقل ، على رايه ، بلوغ جماعة الى ذلك المستوى الاجتماعي الذي كان عليه يهود جزيرة العرب لو كانوا من بلاد

---

(٥٥) الدكتور جواد علي « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٦ : ٢٠ نقلا عن نولدكه.

(٥٦) المرجع السابق ٦ : ٢٤-٢٥ .

(٥٧) الدكتور جواد علي ، « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٦ : ١٦١.

مستواها الثقافي والمدني ارقى من مستوى من هو دونهم كثيرا في شؤون الحياة ، ومستوى الحياة في جميع نواحيها ، في فلسطين ، ارقى وارفع من مستواها في الاماكن التي وجد فيها اليهود من بلاد العرب ، لذلك فهم على رأيه عرب متهودون لا يهود مهاجرون ٠(٥٨)

والحقيقة هي ان اليهودية والمسيحية كانتا تتزاحمان بينهما على تهويد او تنصير القبائل العربية في الجزيرة قبل الاسلام ، فتوجه المبشرون من اليهود والمسيحيين نحو جزيرة العرب ، حيث وجدوا القبائل العربية في الجزيرة قبل الاسلام متهيأة نفسيا لتقبل دين التوحيد ، كما وجدوا الحرية المطلقة للعمل في صحراوات الجزيرة الواسعة ٠ لذا كان نشاط التبشير بين عرب الجزيرة على اشده بحيث تمكن أحبار اليهود من تهويد بعض القبائل العربية كما استطاع المبشرون المسيحيون بعدهم تنصير البعض الآخر ٠

ويرى بعض الباحثين ان اليهود تعمدوا نشر قصص التوراة القائلة بوجود وشائج قربى بين العرب واليهود في شبه جزيرة العرب لدعوة أهلها لاعتناق الدين اليهودي بحجة انهم والعرب من اصل واحد ، أي احفاد سام بن نوح ، فكانوا يروجون مثل هذه الادعاءات ليربطوا صلتهم بالجزيرة العربية وبالعرب على اعتبار أنهم ابناء عمومة مع العرب وأن جدهم وجد العرب واحد هو ابراهيم الخليل عليه السلام ٠ « وظلوا منذ ذلك العهد الى ظهور الاسلام وهم يبذلون جهدهم في اشراب العرب عقيدة أنهم جميعا ذرية أب واحد حتى نجحت فيهم الاكذوبة التي كان العرب أجهل من ان يتبينوا ما فيها من كذب وتلفيق ٠»(٥٩)

لذلك ان النظرية القائلة بأن اليهود هاجروا الى الجزيرة العربية عندما اخرجهم الرومان من فلسطين فهي نظرية عقيمة لا تستند الى أي دليل ، ولا يمكن أن يقبلها المنطق والعقل السليم لما سبق شرحه من الاسباب ، فالملجأ الطبيعي الذي كان يمكن ليهود فلسطين أن يلجأوا اليه بعد اضطهاد الرومان لهم هو العراق وليس الجزيرة العربية ، اذ كان في العراق آنئذ عدد كبير من بقايا اليهود المسبيين في منطقة بابل كانوا يتمتعون بحكم ذاتي وأصبح الكثير منهم أصحاب ثراء ونفوذ وكانوا هم والفرس على وفاق ووئام ضد الرومان في أكثر الاحوال باعتبار الرومان عدوا مشتركا ٠ والثابت أن العديد من رجال الدين من اليهود انتقلوا بعد اضطهاد الرومان لليهود من فلسطين الى العراق حيث اسسوا المدارس الدينية الكبرى التي وضعت التلمود البابلي ٠

ان بدوي الصحراء الرقيق الاحساس ، المجبول على الفطرة والتعلق الروحي،

---

(٥٨) المرجع السابق نقلا عن :

Winckler, Mett. Vor. Asai Ges. VI, S. 222.

(٥٩) ولفنسون : « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ص٧٥ .

لم تعد نفسيته تتقبل عبادة الاصنام ، لذا فقد كان عرب الجزيرة قبل الاسلام في حالة صراع نفسي ديني شديد المحك بين الوثنية من جهة وبين اليهودية والمسيحية اللتين تدعوان الى التوحيد من جهة اخرى ، وقد كان دين ابراهيم الخليل(ع) الذي يدعو الى التوحيد معروفا في الجزيرة العربية عند الحنفاء كما ينبئنا القرآن الكريم ، فاستمر هذا الصراع حتى نزل الوحي على النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم ، حامل رسالة الاسلام اتماما وامتدادا لرسالة ابراهيم عليه السلام ، فتقبلها المجموع ببالغ الحماس وعميق الايمان فدخلوا فيه افواجا ، وان الانبياء والرسل يظهرون عادة بوحي من الله في مثل هذه الظروف القلقة التي كانت سائدة في ارض جزيرة العرب وهي في وضع كانت باشد الحاجة فيه الى من يوجه الناس الى الصراط المستقيم ٠

١١ - الخلاصة

يتضح مما تقدم ان عرب الجزيرة المتهودين لم تربطهم بفلسطين اية رابطة لغوية او قومية ، اذ كان يهود فلسطين وهم من عناصر مختلطة يتكلمون ما بينهم باللغة الآرامية ، في حين ان لغة عرب الجزيرة هي اللغة العربية ٠ لذلك ان اعراب الجزيرة العربية المتهودين لم يختلفوا من حيث قوميتهم ولغتهم وعاداتهم عن اخوانهم عرب الجزيرة بغير الدين الذي اعتنقوه عن طريق التبشير ، وهم في ذلك مثل جماعة الخزر المتهودة التي حافظت على لغتها وقوميتها وعاداتها ، ومثل قبائل البربر التي اخذت باليهودية وقد حافظت على لغتها وتقاليدها وغيرها من مختلف العناصر الذين صبئوا الى اليهودية ٠

وهكذا فتكون اسرتنا آل سوسه ، وهي من اسر القبائل العربية المتهودة التي استقرت على ساحل الفرات الاوسط ، عربية الاصل في الوطن ، وفي العرق ، وفي القومية واللسان ٠ وقد امتهنت الاسرة الزراعة ومارستها في سواد العراق واستمرت تعمل في هذا الميدان منذ ان وطات اقدامها ارض العراق لفترة حوالي الف وثلاثمائة سنة ٠ وقد سبقت الاشارة الى ذلك ٠

١٢ - تهجير يهود العراق

لقد تم تهجير يهود العراق اثر حوادث فلسطين الاخيرة استنادا الى القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء في ١٩٥٠/٣/٩ وهو يخول الحكومة حق اسقاط الجنسية العراقية عن اليهودي العراقي الذي يرغب في اختيار ترك العراق نهائيا ، وعملا بهذا القرار انذر اليهود الذين سبق لهم ان غادروا العراق بصورة غير شرعية قبل صدور القرار المذكور بالعودة الى العراق خلال فترة شهرين والا تسقط عنهم الجنسية العراقية ٠ وقد قدر عدد اليهود الذين غادروا العراق منذ صدور القرار المذكور وحتى كانون الاول ١١٣ر٥٤٥ ، ولم يبق الا بضعة

آلاف من اليهود تدروا سنة ١٩٥٥ بخمسة آلاف نسمة يتمركزون بصورة رئيسية في بغداد (٦٠)

ويؤكد الخبراء الواقفون على مجرى الامور ان تهجير اليهود من البلاد العربية تم تحت وطأة حملة اضطهاد متعمدة ومصطنعة بالتواطؤ بين بعض الحكام العرب وزعماء الصهيونية . يؤكد ذلك ابو مازن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في مقال نشره في مجلة « بيروت المساء »(٦١) بقوله : « ومن المعروف ان بلادنا العربية لم تشهد في أية فترة من الفترات نشاطا صهيونيا حقيقيا اي ما يسمى بالدافع العقائدي للهجرة لم يكن متوفرا لدى العرب اليهود . ويتبين ان قسما كبيرا من المهاجرين اليهود من البلدان العربية قد جاء الى فلسطين المحتلة نتيجة اتفاق تآمري بين بعض الحكام العرب وقيادة الحركة الصهيونية يقضي بشحن اليهود العرب بكاملهم من اوطانهم الى فلسطين المحتلة بغض النظر عن رغبتهم بالهجرة الى فلسطين ، في حالة رغبتهم في الهجرة ، او الى بلدان اخرى . وينطبق هذا بصورة خاصة على اليهود العرب في اليمن والعراق .

« ان الفترة التي سبقت قيام «اسرائيل» لم تشهد هجرة يهودية تذكر من البلاد العربية بالرغم من قرب فلسطين من هؤلاء ، وكان باستطاعة يهود العراق ومصر وسورية ولبنان ان يدخلوا الى فلسطين بسهولة ويسر لو ارادوا ذلك ، ولكنهم لم يفكروا بالهجرة ، فكانت حملات التهجير الجماعية والتي تمت بالتواطؤ والتآمر بين بعض الحكام العرب وزعماء الصهيونية .فنجد مثلا ان ١٢٠ الفا من يهود العراق وخمسين الفا من يهود اليمن قد قدموا الى فلسطين خلال السنوات ١٩٤٩-١٩٥١ وبعمليات نقل جماعية (٦٢) . كما تشير المراجع الصهيونية الى ان الهجرة من اليمن تمت تحت ضغط التهديد بالطرد من اليمن بل تذكر هذه المراجع ان عددا من اليهود في اليمن اعتنق الاسلام ليتمكن من البقاء في بلده . » وبالنسبة للعراق يقول ابو مازن : « اما في العراق فالأمر اكثر وضوحا والمأساة اكثر عمقا وحزنا لما لاقاه اليهود العرب في العراق من صنوف الآلام والتعذيب والارهاب والضغط لاقتلاعهم

---

(٦٠) الدكتور علي ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ، « يهود البلاد العربية » ، دراسات فلسطينية (٨٢) ، ص٧٢-٧٤ .

(٦١) العدد ١.١ (٦-١٢ كانون الثاني - يناير - ١٩٧٦) ص ٤٩-٥١

(٦٢) ان عملية النقل الجماعية من العراق اعطى لها سنة ١٩٥٠ اسم اسطوري هو (عملية علي بابا) وقد اتخذت الوكالة اليهودية ترتيباتها مع شركة امريكية للخطوط الجوية من اجل نقل المهاجرين بطائرات السكاي ماستر من بغداد الى «اسرائيل» من طريق نيقوسية ثم فيما بعد اخذت الطائرات تتجه الى اللد مباشرة («يهود البلاد العربية» المرجع المشار اليه من قبل ، ص٧٣) .

من جذورهم ونقلهم الى المسلخ الصهيوني مشلولي الارادة معدومي الرغبـــة ، لا حول لهم ولا قوة ·· لم تكن هجرتهم الجماعية من العراق امرا طبيعيـا او منطقيا ، فليس صحيحا انهم هاجـــروا لانهم كانوا صهاينة او لانهم راوا في «اسرائيل» تجسيدا لأمانيهم وهذه مسالة تجمع على الاقرار بها كافة المصـادر الصهيونية الرسمية وغير الرسمية ، ولا حاجـــة لاثبات صحتها باستعراض المراجع والشواهد ·· فقد نشط المبعوثون الصهاينة ونجحوا في ادخال كميـات كبيرة من السلاح الى بغداد بمساعدة الجيش البريطاني · وتوجت الســلطات العراقية الرجعية آنذاك اجراءاتها القمعية والتآمرية مع الصهيونية باصـــدار قانون اسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين بعد التمهيد له بحملـة واســـعة ضد اليهود ، ومع ذلك كانت نسبة الاستجابة له ضئيلة جدا ، فقامت منظمـة (هشـــوراه) الصهيونية بالقاء القنابل على اليهود بدءا بيوم ١٩٥٠/٤/٨ وانتهاء بيوم ١٩٥١/٦/٥ ، وبالنسبة للقانون المذكور يقول أبو مازن : « اما بالنسبة للقانون (المؤامرة) فقد تم الاتفاق على اصداره في اجتماع سري عقد في فيينـا سنة ١٩٤٩ وحضره نوري السعيد وبن غوريون ومبعوث بريطاني وبعد عـودة نوري الســعيد الى العراق قدم استقالة حكومته ليفسح في المجال لمجيء حكومة انتقالية ، وكلف السويدي بتاليف الوزارة الجديدة في ١٩٥٠/٢/٥ · وتقدمت الحكومة فورا بلائحة قانون اسقاط الجنسية وطالبت باقراره على الفور فوافق المجلس النيابي عليه وكذلك مجلس الاعيان · » وينتهي أبو مازن الى القـول بان « هذه باختصار قصة اليهود في العراق ، ومما لا شك فيه انها القصـــة النموذج لباقي يهود البلاد العربية ، ففي كل بلد لهم قصة شبيهة بقصـتهم في العراق وان اختلفت في التفاصيل الا ان الهدف واحد والمحرك الاســـــاسي وراء هذه القصص واحد أيضا ·»



القسم الثالث

حياتي المدرسية

« مرت حياتي المدرسية بثلاثة ادوار :
الدور الاول ، نشأتي ودراستي الابتدائية في
الوطن ، والدور الثاني ، دراستي في الجامعة
الامريكية في بيروت بين سنة ١٩٢٢ و١٩٢٥
والدور الثالث ، دراستي في امريكا بين سنة
١٩٢٥ و١٩٣٠ دخلت في خلالها سبع جامعات
وكليات في مختلف انحاء امريكا . »

الباب الاول – نشاتي الاولى ودراستي الابتدائية

١ – نشاتي الاولى . ٢ – اسعد الايام . ٣ – دراستي الابتدائية . ٤ – النظام الاقطاعي . ٥ – مشروع سدة الهندية . ٦ – افتتاح مشروع سدة الهندية . ٧ – ايام الرعب . ٨ – في عالم الذكريات . ٩ – السيارات تحل محل الجمال في نقل الغلات الزراعية. ١٠ – الاحتلال البريطاني وثورة العشرين . ١١ – فترة قلقة

١ – نشاتي الاولى

في ذلك العهد الحالك ، عهد الحكم العثماني المظلم ، في تمام السنة الاخيرة من القرن المنصرم شاءت الأقدار ان تقذفني في احضان هذا العالم الفاني ، فكان لي من الحظ الوفير ان خلقت في وسط اسرة لا باس في رفاهيتها ، فرايت النور لأول مرة في دار بسيطة في أحد الشوارع الضيقة في بلدة الحلة الفيحاء .

وكانت هذه البلدة مذخر العراق وانبار البلاد تجهز الحبوب للاستهلاك والتصدير ، فكان معظم أسرها يتعاطون الزراعة وتجارة الحبوب ، اذ كانت هذه الحبوب مصدر معظم المعاملات التجارية ، فلارتفاع اسعارها او هبوطها الشان المبين في تكييف حياة أكثرية سكان البلدة كل بنسبته .

وتقع الحلة قرب بابل في محيط الفرات الاسفل ، في وسط محيط ريفي زراعي ، فكانت بحكم موقعها هذا منزوية عن العالم الخارجي محافظة على العادات والتقاليد الموروثة ، وكان يتجلى فيها مظهر البساطة والسكون باجلى بيان – وفي كل وقت ومكان – ذلك المظهر الذي يجمع بين البداوة والمدنية ، فيكوّن من امتزاج العنصرين واحتكاكهما حياة تعاون وتآزر تنطوي على تبادل في الآراء والافكار واشتراك في العواطف ، والميول ، واذا ما خرج المرء من داره في الصباح وسار في ازقة المدينة واجال نظره فيها فكانه يشاهد مسرحا اجتمع عليه الافندي بطربوشه ، والفلاح بعقاله ، والشيخ والبدوي ، والحضرية المحجبة والبدوية السافرة ، والفارس على ظهر فرسه ، والراجل المتأمل ، والتاجر والعامل ، الكل في حركة فطرية لا يشوبها اصطناع ولا زخرف ، واهم ما يسترعي النظر قوافل الجمال ترى فيها الابل تتهادى في مشيتها في الازقة والشوارع بين هذه الجموع دائبة في نقل الاطعمة الى الأمراء ، فلا يعيقها نهار قائض ولا يروعها ليل دامس ، حركة اجتمع فيها العمل والهدوء والسكينة في آن واحد ، فكان فيها من آيات القناعة والاطمئنان ما جعل الجميع يحمدون ربهم على نعمه وخيراته .

كان والدي رجلا صالحاً مستقيماً في معاملاته صادقاً في مخالطاته صريحا في كلامه مما جعله محبوبا لدى عارفيه ، وكانت له منزلة ذات شان في المجتمع حتى عين عضوا في مجلس ادارة اللواء . ولا ازال اذكر وانا صبي أن والدي

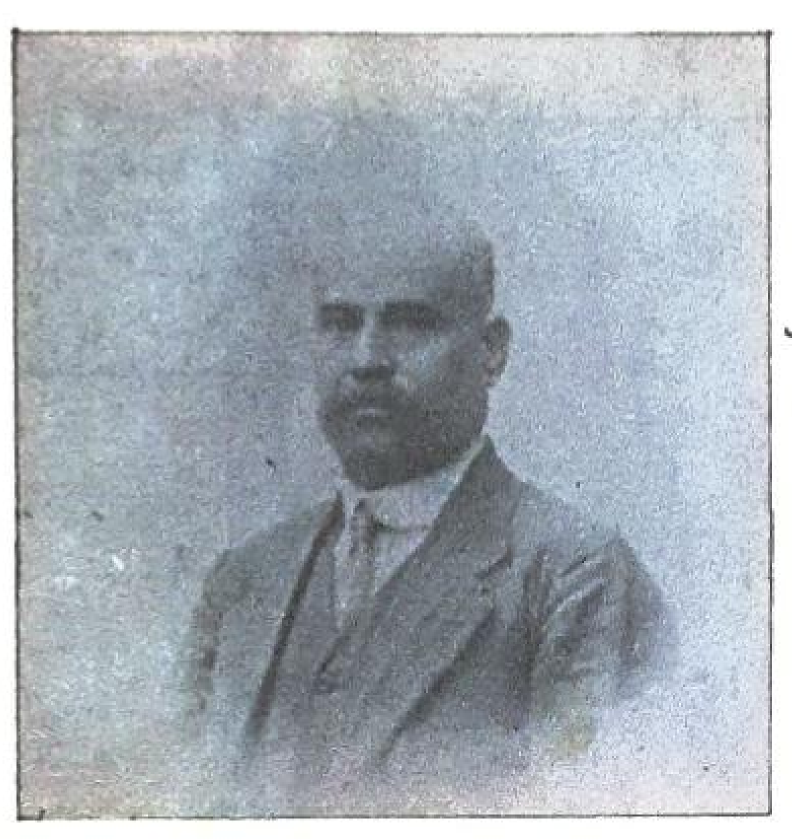
كان بحكم عضويته هذه يقوم بسفرة كل سنة الى الديوانية لاجراء الانتخابات في مركز اللواء ، فكانت الاستعدادات لهذه السفرة أشبه بالاستعدادات للسفر الى القمر في تلك الأيـام ، فكانت تعد الامتعـة وما تتطلبه القافلـة من الاستحضارات ، اذ كانت تستغرق هذه السفرة عدة أيام في الذهاب وعدة أيام في العودة • وكان لا بد من ان يرافق القافلة عدد من (الجندرمة) للمحافظة، هذا مع العلم ان الحلة كانت مركزا للمتصرفية التي كانت تشمل الديوانيـة والدغارة ثم انتقل مركز المتصرفية الى الديوانية وبقيت الحلة مركزا للقيـادة العسكرية • وقد كانت اشغال والدي تتطلب انجاز مختلف المعاملات الزراعية بما في ذلك من اشتباك العلاقات بالمحيط الزراعي الريفي ، اذ كان موكلا بادارة شؤون المزارع والاشراف على كل ما يتصل بذلك من معاملات مع الـــزراع والوكلاء والسراكيل والملاكين ومع رجال الحكومة • وعليه فقد نشأت والاتصال المباشر بكل ما يمت بصلة بالمزارعين من القبائل والرؤساء مستمر دون انقطاع فرسمت عاداتهم واخلاقهم وطريقة معيشتهم الفطرية في نفسي طابع الحياة العربية الاصيلة بما في ذلك المبادىء الاسلامية السامية •



التصوير رقم (٢٠) ـ بلدة الحلة كما كانت عليه سنة ١٩١٩ (انظر الفقرة ١)

٢ ـ اسـعد الأيـام

ها هو الوسط الذي عشته وترعرعت في احضانه بين المدينة والريـف ، فقضيت فيه اسعد أيام حياة الصبا ، مترعرعا بين احضان الطبيعة ، متزملا برداء البساطة والفطرة ، محبا للانسانية ، ذلك ما جعلني أحب ما احبه العرب وأميل الى حيث اتجهت ميولهم ورغباتهم وامانيهـم في الحياة حتى أصبحـت



التصوير رقم (٢١) – والد المؤلف وكان عضوا في مجلس ادارة لواء الحلة (انظر الفقرة ١)

شغفا بركوب الخيل العربية ، متعشقا ذات الارومـــة والسبوق منها(١) ، فاقتنيت اأصل الافراس العربية ، فكان ذلك اعز شيء لدي في الحياة حتى قلما كان يمضي يوم الا واقضي ساعتين او ثلاثا او اكثر على ظهر فرسي بين باحات المزارع وفسحات المتارع • وكنت قد اخترت لباس العــرب بعقاله وعباءتـه واقتنيت البندقية (الكچوك) وما الى ذلك من ضروب الاسلحة التي يعتز بها كل عربي • وفي الاجمال لقد كانت كل اسباب لهوي حاصلة وفق رغبـــاتي وميولي •

٣ – دراستي الابتدائية

وكان والدي يحسن اللغة الفرنسية عدا العربية (اللغة الام) فاخـــذ على عاتقه تعليمي القراءة والكتابة بنفسه وذلك في اللغتين العربيــة والفرنسية ، وكنت اكره هذه الدروس وامقتها الا اني كنت اسعى في اتقانها لارضاء والدي كي استغل رضاه واحصل على موافقته على بعض اســباب لهوي التي كانت تهواها نفسي • ولم يكتف والـــدي بذلك بل خصص لي معلما لتدريسي اللغة التركية بالنظر لما كان في ذلك الزمن من النفوذ لهذه اللغة في البلاد الامر الذي زاد في تنمري • وما مضى زمن طويل على ذلك حتى انشئت في الحلة مدرسة اهلية تقوم بادارة شؤونها الجمعية الاسرائيلية الفرنسية تعرف باسم (مدرسة

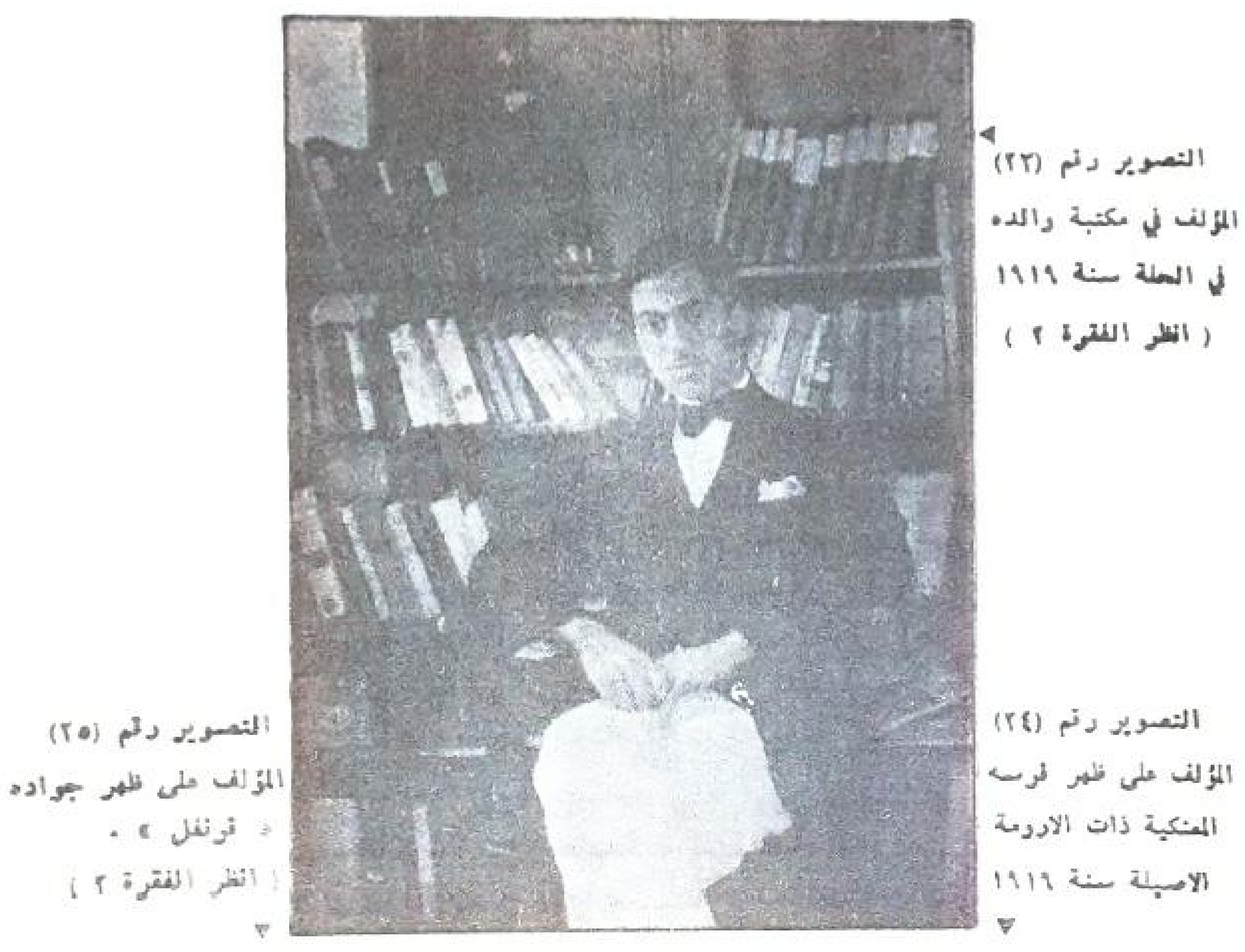
---

(١) السبوق اصطلاح عند العرب يعني الفرس التي لا تُسبق .

الاليانس) فكانت تدرّس فيها الفرنسية والعبرية والتوراة للطلاب اليهود ، والفرنسية هي اللغة الاساسية للتدريس وقليل من العربية والتركية . وما كان من والدي الا ان ارسلني الى هذه المدرسة وهناك التقيت للمرة الاولى بالطلاب الاسرائيليين مع العلم انه كان عدد قليل من الطلاب المسلمين في المدرسة كان ميلي الى مخالطتهم امرا طبيعيا . وقد افتتحت هذه المدرسة عام ١٩٠٧ وكان عدد طلابها سنة ١٩١٠ (١٧٥) طالبا .



التصوير رقم (٢٢) المؤلف بالزي العربي سنة ١٩١٩ .
(انظر الفقرة ٢)



التصوير رقم (٢٣)
المؤلف في مكتبة والده
في الحلة سنة ١٩١٩
(انظر الفقرة ٢)

التصوير رقم (٢٤)
المؤلف على ظهر فرسه
المنكية ذات الارومة
الاصيلة سنة ١٩١٩



التصوير رقم (٢٥)
المؤلف على ظهر جواده
« قرنفل » .
(انظر الفقرة ٢)

٤ - النظام الاقطاعي

ولا يخفى ان النظام الاقطاعي كان سائدا حينذاك وكان الملاك أو وكيله يتخذ الاجراءات التنفيذية اللازمة مباشرة من غير تدخل من الحكومة وذلك لتسيير الأمور حسب العرف المعمول به . وعليه ان السلطة المحلية كانت تزوّد كبار الملاكين بافراد من شرطتها كان يطلق عليهم كنية (جندرمة) فيصبح هؤلاء تابعين لأوامر الملاك الذي يكون مسؤولا عن اعاشتهم وتجهيز الجياد أو البغال لهم . وكانت السلطة تجهز هؤلاء (الجندرمة) بالبندقية والعتاد ليحملها معه عند قيامه بواجباته . وكان في المزرعة سجن خاص لسجن الخارجين على العرف والنظام . واقول مع مزيد الاسف ان هؤلاء (الجندرمة) كانوا قساة الى اقصى حد في معاملة الفلاحين ، وكان مجرد حلول أحدهم في احد بيوت الفلاحين يحدث الرعشة في قلوب افراد الاسرة لخوفهم وروعهم مما قد يقابلونه من ضيفهم الثقيل ، فيسعون لتقديم خير ما لديهم من المأكول ويغالون في ضيافته ويبذلون كل ما في وسعهم لارضائه . ولا ازال اتذكر احد هؤلاء (الجندرمة) اسمه يونس كان ملازما في المركز ينتظر الاوامر لتنفيذ ما يعهد اليه من مهام في مختلف المزارع ، وهو ضخم الجثة كانت له بغلة كبيرة شرسة لا يستطيع احد التقرب منها الاّ هو .

وكانت حصة الحكومة من الحاصلات الزراعية تقدر من قبل هيئات خاصة تجول في المزارع لهذه الغاية في كل سنة بعد انتهاء موسم الزرع . وكان الملاكون يبذلون جهودهم للاتفاق مع هذه الهيئات فيما يخص تخمين كميات الغلال في البيادر فيتعهدون بتسليم حصة الحكومة منها حسب التخمين الذي يتفق عليه ، وذلك للتخلص من تدخل الحكومة أو الملتزم في شؤونهم ، فيتضح من ذلك ان الحكومة لم تتدخل في أي امر من الامور التي تتعلق بالمزارعين والملاكين الاّ في الامور المهمة جدا وغالبا يجري ذلك بناء على طلب من الملاك نفسه ، لان طبقة الفلاحين لم يكن لهم مجال للاتصال برجال الحكومة ، وحتى شيوخهم فكان يتعذر عليهم الاتصال بالسلطات الاّ في الاحوال النادرة أو بتوسط الملاك .

٥ - مشروع سدة الهندية

ومن الاحداث المهمة التي عاشتها بلدة الحلة مسقط راسي في العهد العثماني انجاز مشروع سدة (قناطر) الهندية ، وهو المشروع الذي انشيء لايصال المياه الى نهر الفرات الذي تحوّل عن مجراه الذي يمر بمدينة الحلة ، ويحسن هنا ان نعرض نبذة عن تاريخ هذا المشروع :

كان مجرى نهر الفرات الرئيس يسير منذ القدم نحو مدينة بابل القديمة

ثم يمر بمدينة الحلة التي تقع بجوار بابل جنوبا الا ّ ان عوامل اصطناعية وطبيعية آلت الى تحول النهر من مجراه البابلي في جهة الشرق الى ما يعرف الآن بنهر الهندية في جهة الغرب مارا بطويريج فالكفل والكوفة . وعلائم استعداد نهر الفرات بترك مجراه البابلي الحلي والتحول الى جهة نهر الهندية الحالي قد بدأت منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، الامر الذي اضطر اولي الامر على اتخاذ بعض التدابير لايقاف توسع نهر الهندية وتامين رل الماء الى فرع الحلة ، التدابير التي انتهت الى انشاء سدة الهندية الحالية في موضع مفترق صدري الفرعين (نهر بابل ونهر الهندية) كتدبير ثابت ودائم يؤمن تموين صدر فرع الحلة بالمياه .

واهم العوامل التي كانت قد ساعدت على تحوّل مجرى نهر الفرات في اتجاه بابل الى جهة نهر الهندية المشروع الذي قام به آصف الدولة وزير محمد شاه الهندي في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لايصال المياه الى مدينة النجف ، فشق جدولا يأخذ من الضفة اليمنى لنهر الفرات من فوق مدينة بابل بحوالي مائة كيلومتر يجري في اتجاه نهر الكوفة القديم ، وقد عرف هذا الجدول فيما بعد بنهر الهندية نسبة الى آصف الدولة الهندي . ويؤخذ من الروايات التاريخية ان المياه بدأت تجري في هذا الجدول في اوائل القرن التاسع عشر على أنه اخذ يتسع تدريجيا على حساب فرع الحلة الذي كان يؤلف مجرى الفرات الرئيس في ذلك الوقت ، ففي سنة ١٨٣٠ اصبح من الضروري اتخاذ بعض التدابير لايقاف توسع هذا الجدول وتوجيه قسم من ماء الفرات الى فرع الحلة الذي بدأ يقل ماؤه شيئاً فشيئاً ، غير انه بالرغم مما اعقب ذلك من تدابير أخرى فقد استمر نهر الفرات يزداد فيضه في الجدول الجديد تاركا مجراه القديم الذي يمر بمدينة الحلة ، وما حلت سنة ١٨٨٥م حتى كاد يجف نهر الحلة الأمر الذي ادى الى تحول كل مياه النهر الى جدول آصف الدولة (نهر الهندية) .

وقد تفاقم الخطر من ذلك الحين اذ توسع نهر الهندية بحيث اصبح مجرى الفرات الرئيس تقريبا فانقطع الماء عن مجرى بابل نهائيا فقلقت العشائر المقيمة على نهر الحلة قلقا شديدا لهلاك مزارعهم وبساتينهم ، الامر الذي حدا بمدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) أن يستقدم مهندسين فرنسيين لاصلاح الحالة. وقد انتهى هؤلاء من عملهم سنة ١٨٩٠ حيث أتم المهندس الفرنسي شوندرفير في تلك السنة انشاء سد محكم على صدر فرع الهندية وهو السد المعروف بسد شوندرفير . وقد استعمل ما يقارب ستة عشر الف متر مكعب من عتيق الآجر المستخرج من خرائب بابل في انشاء هذا السد ، الا ّ ان اهمال صيانة السد أدى الى تصدعه ولم تفد المحاولات التي قامت بها الحكومة لتعمير السد وبقيت الحالة على ما هي عليه حتى استقدمت الحكومة العثمانية السير ويليام

ويلكوكس لدراسة مشاريع الري في القطر العراقي فوضع السير ويليام تصميما لسد جديد في تقريره المرفوع الى الحكومة العثمانية سنة ١٩١١ ووضع في الحال موضع التنفيذ وهذا هو المشروع الذي لا يزال قائما حتى الوقت الحاضر (انظر التصوير رقم ٩) ٠

وقد قامت بانشاء السدة شركة السير جون جاكسون المحدودة البريطانية باشراف سير ويليام ويلكوكس (انظر التصوير رقم ١٠) ٠ وقد بوشر العمل في شهر شباط من سنة ١٩١١ وبعد مرور سنتين وتسعة اشهر تم انجاز المشروع ٠ وقد افتتح المشروع رسميا في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول من سنة ١٩١٣ فاقيم احتفال مهيب ذبحت فيه الذبائح واقيمت فيه الولائم حضره والي بغداد وكبار الموظفين وقناصل الدول وغيرهم من الوجهاء والاعيان، وتبودلت الخطب بين الوالي ومدير الشركة التي قامت بالمشروع ٠ وقد خطب في هذا الاحتفال مسنر باشا رئيس مهندسي القسم الالماني من سكة بغداد الحديدية ٠

وذكرياتي عن ويلكوكس قديمة ترجع بي الى عهد الصبا (١٩١٢-١٩١٣) حين كان ويلكوكس منهمكا في تنفيذ مشروع قناطر الهندية فكنت أزور ذلك المشروع وهو تحت الانشاء بين حين وآخر وهو قريب من بلدة الحلة ٠ كنت آنذاك لا أتجاوز الثانية عشرة من عمري فاشاهد ويلكوكس وكله حركة ونشاط رغم كبر سنه يراقب اعمال البناء وفخر الآجر حريصا على تطبيق التصاميم التي وضعها ٠ ولا ازال اتذكر انه قضى ليلة في بيتنا في الحلة وطلب ان لا يقدم اليه أي طعام للعشاء غير كوب من اللبن المحلي ٠

٦ ـ افتتاح مشروع سدة الهندية

كان موعد افتتاح مشروع سدة الهندية في اليوم الثاني عشر من شهر ن الاول سنة ١٩١٣ فكان البرد شديدا قارسا فحضرته مع أبناء بلدتي سه انطلاق المياه من امام السدة (القناطر) وانسيابها نحو بلدة الحلة ٠ ولقد كان لهذا اليوم المشهود اثر عميق في نفسي وانطباع راسخ في ذهني الصغير اكبارا واعجابا بمعجزة الفن الهندسي وعبقرية مصمّم هذا المشروع العظيم الذي احيا منطقة جنوب الفرات باسرها ٠ وان انسى فلن انسى ذلك اليوم وانا ممتط صهوة مهرتي أسرع مع جمهرة من الفلاحين والمزارعين وهم يحدون باناشيدهم العربية العامية فرحين مهللين فكنا نمضي على طول طريق النهر نسابق مجرى المياه الذي كان ينساب فوق الرمال الجافة كالأفعى بين منعطفات عقيق النهر حتى وصلنا واياه الى بلدة الحلة ، فاقبلت الجماهير المحتشدة تستبشر بالبشرى السارة وهي ترحب بوصول المياه وقد غطتها رغوة بيضاء فاعادت الحياة الى هذه المنطقة الزراعية الغنية بعد ان حرمتها يد الأقدار من عماد

وجودها سنوات طوالا ٠ وقد تم لي بعد مضي ٤٠ سنة على عملي في دائرة الري تحقيق رغبتي في الاطلاع على كل ما يتعلق بتاريخ هذا المشروع وتصميمه ، حيث عينت مديرا لمنطقة ري الفرات مسئولا عن ادارة شؤون مشروع قناطر الهندية ذاتها ، فألفت كتاباً خاصاً باللغة الانكليزية عن تاريخ سدة الهندية وتصميمها وتطوّرها ، وبذلك حققت امنية الصبا بالاحاطة بما كنت اشتاق الى معرفته في مقتبل العمر عن المعجزة الفنية التي بهرتني وحيّرت عقلي الصغير اوانذاك(٢)٠

٧ ـ ايام الرعب

ومضت الأيام وتلتها الشهور والسنون واذا بشرارة الحرب العالمية الاولى قد امتدت الى حيث كنا نعيش في محيطنا الهادىء ، فاعلن الجهاد نتيجة دخول تركيا في معمعة الوغى الى جانب الالمان ، وكان ذلك العهد المعروف بعهد (السفربرلك) عهد بؤس وشقاء لأهل المدن الكبيرة ومنها بغداد بخاصة ، لان نفوذ الحكومة كان في الواقع مقتصرا على هذه المدن ، اذ كانت تفرض الجندية على اهالي المدن فقط ، ولم يمر وقت طويل حتى ضعف نفوذ الحكومة في محيط الفرات الاوسط وأمسى رجالها موضع سخرية واهانة في بعض المدن كالنجف والحلة وغيرها من مدن الجنوب ، فأهم ما حدث لمسيرة حياتي الدراسية ان المدرسة التي كنت أداوم فيها قد غلقت أبوابها فتركت في نفسي فراغاً بلا هدف معين أسعى اليه ٠

وقد أبت الظروف القاسية الا ّ أن تعكر صفاء حياتنا وتسلب ابناء هذا المحيط الهادىء هناءه ، اذ نفضت القيادة العثمانية عنها غبار الشفقة والرحمة وبعثت بجيوشها ومدافعها ونيتها نية سوء تبتغي الانتقام من اهل الفرات لوقوفهم في وجه السلطة العثمانية متحدّين سطوتها فكانت الحلة الفيحاء الهدف الاول ، فما أقسى الانسان حين ينتقم !٠ فقد جاء عاكف بك قائد الحملة مشبعا بروح الغدر والفتك كالاسد الكاسر الجائع الذي يواجه فريسته٠ جاء هذا الوحش المفترس وأخذ يسوق رجالات البلد الرعيل بعد الرعيل الى المشنقة ٠ فشنق بصورة علنية في اليوم الاول ٢٨ شخصاً من شخصيات البلد، وكذا في اليوم الثاني والثالث والرابع الى مدة شهرين شنق في خلالهما مائة وسبعة وثلاثين شخصاً ، وقتل ما يقرب من ٥٠٠ شخص حاولوا فك الحصار الذي فرضه على المدينة للحيلولة دون الدخول اليها او الخروج منها ٠ ولم

---

(٢) عنوان الكتاب بالانكليزية :

"The Hindiyth Barrage — Its History, Design and Function," (with 16 maps and 23 Illustrations). The Government Press, Baghdad, 1945.

يكتف بذلك بل تصدّى الى الأعراض وسبى النساء والاطفال والشيوخ ، دونما عطف ولاشفقة وتفاهم عن بيوتهم الى تركيا ، وكان ينوي هدم المدينة بالمدافع بعد ان امر باخلائها . فخرج الأهلون يتراكضون تاركين بيوتهم واموالهم ظنا منهم انهم بخروجهم يسلمون على حياتهم ولم يدروا ما كان يضمره لهم قائد الحملة من نيات مبيتة ... خرج الناس وكانهم في يوم الحشر فكانوا يتدافعون ويتسابقون بينهم شيوخ مقعدون يحملهم اهلوهم على ظهورهم للنجاة بهم واطفال يركضون وراء آبائهم وامهاتهم وقد اخذ البكاء والهلع منهم ماخذه ، ونساء محجبات يصعد عويلهن الى عنان السماء ، عويل الاستغاثة وطلب الرحمة ، ولكن اين الرحمة من قلوب الطغاة !. وقد اختير للحشد سهل منبسط واسع تحيط به سلسلة من التلول مؤلفة من بقايا جداول قديمة نصبت عليها المدافع . وما ان صدر الامر بعزل عوائل الموظفين من بين الجموع المحتشدة حتى استفاق الناس من ذهولهم وادركوا ان شبح الموت يلاحقهم وانهم على قاب قوسين او ادنى منه ، لأن عزل عوائل الموظفين كان اشبه بالاشارة الى نية حصد الجموع الاخرى وابادتها . وبعد ان قضينا اكثر من ست ساعات في العراء كنا نترقب في كل لحظة منها المصير الذي ينتظرنا ، وبينما كانت الجموع متلهفة لسماع الأوامر اذيع علينا ان السلطة العليا رافة بالأهلين وعوائلهم عدلت عن اتخاذ اي اجراء من شانه ان يلحق الأذى بهم ، فعدنا الى منازلنا وكل منا يشعر بانه يعيش حياة جديدة ، ولم يمض زمن طويل حتى اخذت الجيوش التركية تتقهقر امام القوات الانكليزية منسحبة الى الشمال.

٨ - في عالم الذكريات

وقد شاءت الأقدار ان ترميني في وسط هذه الحوادث سجينا في فيحائي اذ كان يتعذر خروجي من المدينة التي حوطت كل اطرافها بالجيوش والخنادق، وما ان اقترب ميعاد رحيل القوات التركية من الحلة حتى صار يجول رجالها في شوارع المدينة للاستيلاء على كل حيوان صالح للركوب او النقل ، وقد كانت فرسي في الاصطبل مع بقية الخيول لم تكن قد غادرت جدرانه طيلة زمن هذه الحوادث ، وبينما كنت غارقا في الهواجس خوفا على مصير فرسي اذ جاءني من ينبئني بانسحاب بعض القوات من خنادق احد اطراف المدينة حيث يمكن الخروج منه دون ما تعرّض ، وما مضى بضع دقائق على ذلك حتى كنت ممتطيا صهوة فرسي مسرعاً في الشوارع الضيقة متجها نحو الجانب الذي تخلى عنه الجيش فمضيت منه دون ما عائق ، وما كادت الفرس تشم نسيم الفضاء حتى تفتحت خياشيمها واخذ صدرها يعلو ويهبط فمضت منطلقة كالسهم تنهب الارض نهبا ، وبعد مضي ساعة او نيف من المسير اعترضتنا جموع الأعراب على ظهور خيولهم متاهبة للطوارىء فمررت بين هذه الجموع بعد أن

تحدثت الى بعض رؤسائها الذين كانت لي واياهم معرفة شخصية وانبأتهم بما كان عليه الحال في المدينة . وما هي الا بضع دقائق حتى بلغت قلعة المهناوية التي كنت اقصدها.(٢)

اما الجيش فقد غادر الحلة في ذلك النهار وقد علمت انه استولى على خيول الاصطبل حيث كانت فرسي قبل هروبي بها ، وكان يرافق الجيش بعض الموظفين وعدد من افراد (الجندرمة) ، ولما كان الجيش مجهزا باسلحته مستعدا للطوارىء فقد افلح بالمرور في طريقه دون ما خسارة ذات شان عدا وقوع بعض افراد (الجندرمة) أسرى بيد الأعراب ، وما كاد يمضي الهزيع الاول من الليل حتى جيء بهؤلاء الاسرى وعددهم عشرون شخصاً مع خيولهم واسلحتهم ، وكان هؤلاء من العرب ولم يرغبوا في اللحاق بالجيش المنسحب .

ولما نتصوّر ما كان يلاقيه الفلاحون العرب من هؤلاء (الجندرمة) من الاهانة والذل ويستعرض قساوتهم ومعاملتهم التعسفية للاعراب فلا بد أن نتوقع أن ينتقم الأعراب منهم وأن يقضوا على حياتهم بعد أن وقعوا بأيديهم ، ولكن الشهامة العربية قد تغلبت في هذا الموقف على العواطف الهائجة ، فأمر الرؤساء اتباعهم بوجوب اعتبار هؤلاء الأسرى ضيوفا لا اعداء ثم قال احدهم : « تذكروا يا ناس انهم عرب منا وقد فضلوا أن يكونوا تحت حمايتنا على أن يرافقوا الجيوش التركية » . وفي الحال أخذ كل من هؤلاء (الجندرمة) مقعده في المضيف المعد للضيوف وقدم لهم الطعام حسب العادة العربية . اما الاسلحة فقد وزعت على الافراد وفق أوامر الرؤساء واتفاقهم ، ولما كانت الخيول تعود ملكيتها الى افراد (الجندرمة) أنفسهم وليست ملكاً للحكومة فقد تقرر أن تبقى لهم مع امتعتهم الخاصة .

٩ ـ السيارات تحل محل الجمال في نقل الغلات الزراعية

وبقيت بعد ذلك بعض الزمن خارج المدينة لاضطراب الوضع اذ بقيت هذه الناحية من القطر العراقي بدون سلطة حكومية تقريبا حتى جاءها الانكليز بعد مضي مدة من الزمن على احتلال بغداد ، وما كان اهتمام الانكليز بفيحائنا الا لما احتوت عليه من ذخائر الحبوب التي كانوا باشد الحاجة اليها لتغذية جيوشهم وحيواناتهم فوضعوا اليد على الحبوب المخزونة وكسروا ابواب الاهراء عنوة . ولم تمض بضعة ايام حتى كانت أسراب سياراتهم تجوب شوارع

---

(٢) وكان في مقاطعة المهناوية عدا القلعة والمضيف بستان نموذجية واسعة تتوسطها بناية حديثة من الآجر تضم أنواع الفواكه والازهار كان يشرف عليها خبراء زراعيون استقدموا من ايران فكنت اقضي اكثر ايامي في هذا المكان الذي يبعد حوالي ثلاثين كيلومترا عن بلدة الحلة .

المدينة واخذت تنقل الحبوب من خارج المدينة الى معسكرات الجيوش . وقد كان ظهور السيارات في محيطنا الريفي أول مرة مثار دهشة واستغراب . فتجمع الناس افواجا حولها يتطلعون الى هذه الوسائط الميكانيكية الحديثة التي حلت محل الجمال في نقل الغلات الزراعية . وقد كان سواق هذه السيارات من الهنود ورؤساؤهم من الانكليز ، ولما جاء دور التموين من ذخائر حبوب القلعة التي كنت امكث فيها كانت هذه السيارات اكبر تسلية لي فكنت ارافقها الى جانب رئيس القافلة البريطاني في سفراتها اليومية طيلة المدة التي استغرقتها تنقلاتها بين القلعة وبلدة الحلة مما فسح لي المجال لتعلم سياقة السيارة ، وما اندر من كان يحسن سياقة السيارة من العراقيين في ذلك الوقت ! . فانتهزت اول فرصة سانحة لاستيراد سيارة اهلية (من صنع فورد) من الهند وكانت اجازة السوق التي حزت عليها بعد اداء الامتحان امام العريف البريطاني في بغداد ممضاة من عبدالمجيد الشاوي رئيس بلدية بغداد آنذاك (انظر التصوير رقم ٣٦) . وهنا بدات البلاد تدخل في فصل جديد هو دور التطور والانتقال الى الحضارة الغربية فهجرت الفرس وعانقت السيارة الآلية ، وان انس فلن انسى يوم جاءنا السيد طالب النقيب احد اقطاب الحركة العربية في جولة الى جنوب الفرات فتبرعت بسيارتي لنقل الحاشية التي رافقته من الحلة وكنت بالذات سائقها .

ومع ذلك فقد اراد الانكليز ابراز اهمية الخيول العربية الاصيلة وشهرتها العالمية فاقاموا في فيحائنا احتفالا عرضت فيه الخيول العربية واجري سنة ١٩٢٠ سباق سمي سباق الفرات حضره سراة البلدة وكبار ضباط الجيش البريطاني . وكان لدي آنذاك فرس سبوق من اصايل الخيول العربية شاركت في هذا السباق بتسجيلها بين الخيول المشاركة في هذا السباق ، وكان ان فازت فرسي باحدى الجوائز . (انظر التصاوير ٢٧و٢٨و٢٩)

١٠ ـ الاحتلال البريطاني وثورة العشرين

وكان الاحتلال البريطاني للعراق قد اثار روح التذمر وخيبة الامل في تحقيق اماني العرب بعد ان نكث الانكليز بالعهد الذي قطعوه على انفسهم في خلال الحرب العالمية الاولى ، فاندلعت نيران الثورة (ثورة العشرين المعروفة) من قلب جنوب الفرات ، وكان قد قدر لي ان اعيش في وسط احداث الثورة العراقية هذه وان اراقب ما انطوت عليه من تضحيات وبطولات ابناء الفرات في سبيل الحرية والاستقلال ، فكانت اخبار النصر تقابل بسرور عظيم وفرح عميق ، وكم كان سرورنا حين جيء بالاسرى الانكليز وكلهم في سن الشباب فاحتجزوا في بلدة الكفل وعني بهم احسن عناية . وقد زاد انتصار الثورة في اضرام الحماس وانطلاق النفوس في سبيل تحقيق الاماني الوطنية .



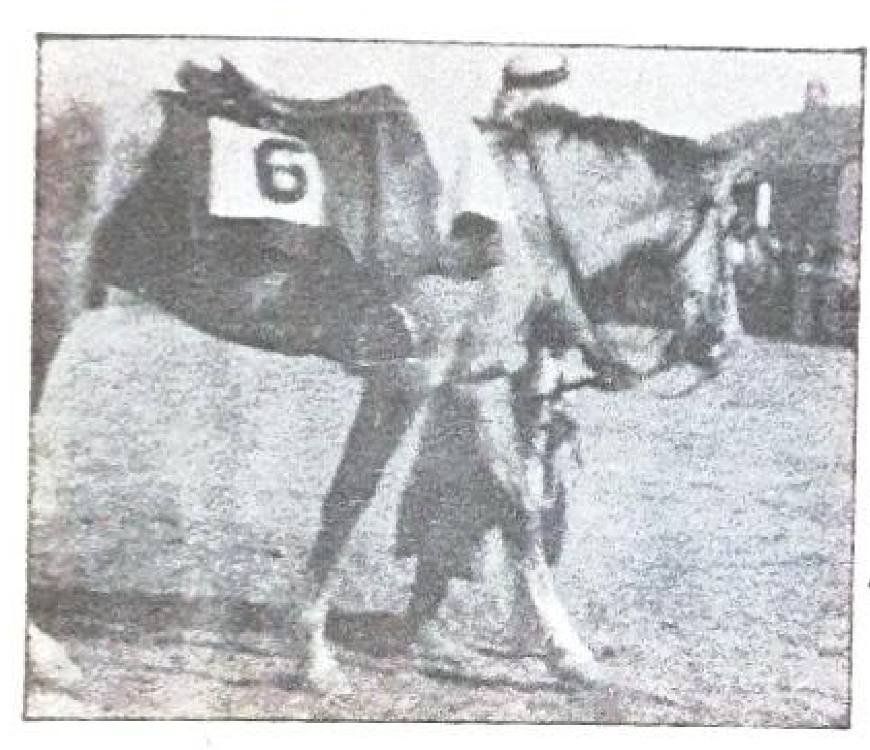
التصوير رقم (٢٦) المؤلف في سيارته (الفورد) سنة ١٩١٩ – أول سيارة أهلية تدخل بلدة الحلة . (انظر الفقرة ٩)



التصوير رقم (٢٧) ـ منظر من مناظر سباق الفرات (نيسان ١٩٢٠) الذي أقامه الانكليز في الحلة (انظر الفقرة ٩)



التصوير رقم (٢٨) ـ منظر آخر من سباق الفرات (نيسان ١٩٢٠) (انظر الفقرة ٩)



التصوير رقم (٢٩) – فرس المؤلف
الفائزة في سباق الفرات
(انظر الفقرة ٩)

١١ – فترة قلقة

وقد كنت في هذه الفترة وقد ادركتني نهاية العقد الثاني من حياتي اشعر بالقلق والاضطراب ، وهي الفترة المضطربة في حياة الانسان حيث يصبح بعد بلوغه هذه السن يفكر في مستقبله وفيما تخبئه الايام له في مجرى حياته المقبلة، وكان والدي قد غادر العراق لغرض التطبب في النمسا ولم يبق طويلا حتى فارق الحياة هناك ، فكان علي أن افكر في مستقبلي لوحدي ، لذلك كان موت أبي أوجع ما أصابني في حياتي وأعمق ما اثر في نفسي ، وكان اخي الاكبر قد ذهب الى بيروت والتحق بالجامعة الامريكية لدراسة الطب الا انه أضطر الى العودة لاسباب عائلية ، وفي غمار هذه الفترة المضطربة في مجرى حياتي ساقني القدر الى صديق صدوق هو طبيب عسكري سوري الجنسية كانت لنا واياه معرفة قوية واني مدين له بتوجيهي التوجيه الذي سار بي الى حيث انا اليوم. فسالني ذات يوم : « هل فكرت فيما تنوي سلوكه من مسلك في حياتك المقبلة ؟.. ان العلم والثقافة هما أضمن راسمال في حياة الانسان ونصيحتي اليك ان توجه كل تفكيرك واتجاهاتك الى الدراسة لكي تعد نفسك لتكون طبيباً مثلي ، وامامك الجامعة الامريكية في بيروت فهي خير منهل لتلقي العلم وسازودك بتوصيات الى أصدقائي في بيروت يمدونك بكل ما تحتاجه من ارشاد وعون للدخول في الجامعة المذكورة ، والجامعة الآن في بداية سنتها الدراسية الجديدة وعليك أن تتاهب للسفر باقرب وقت للحاق بها في الوقت الملائم . » فجاءت هذه النصيحة في وقت كنت باشد الحاجة اليها فاخذت بها دون تردد ، وبقي علينا أن نتحرى عن الطريق الأصلح للوصول الى بيروت ، اذ لم يكن

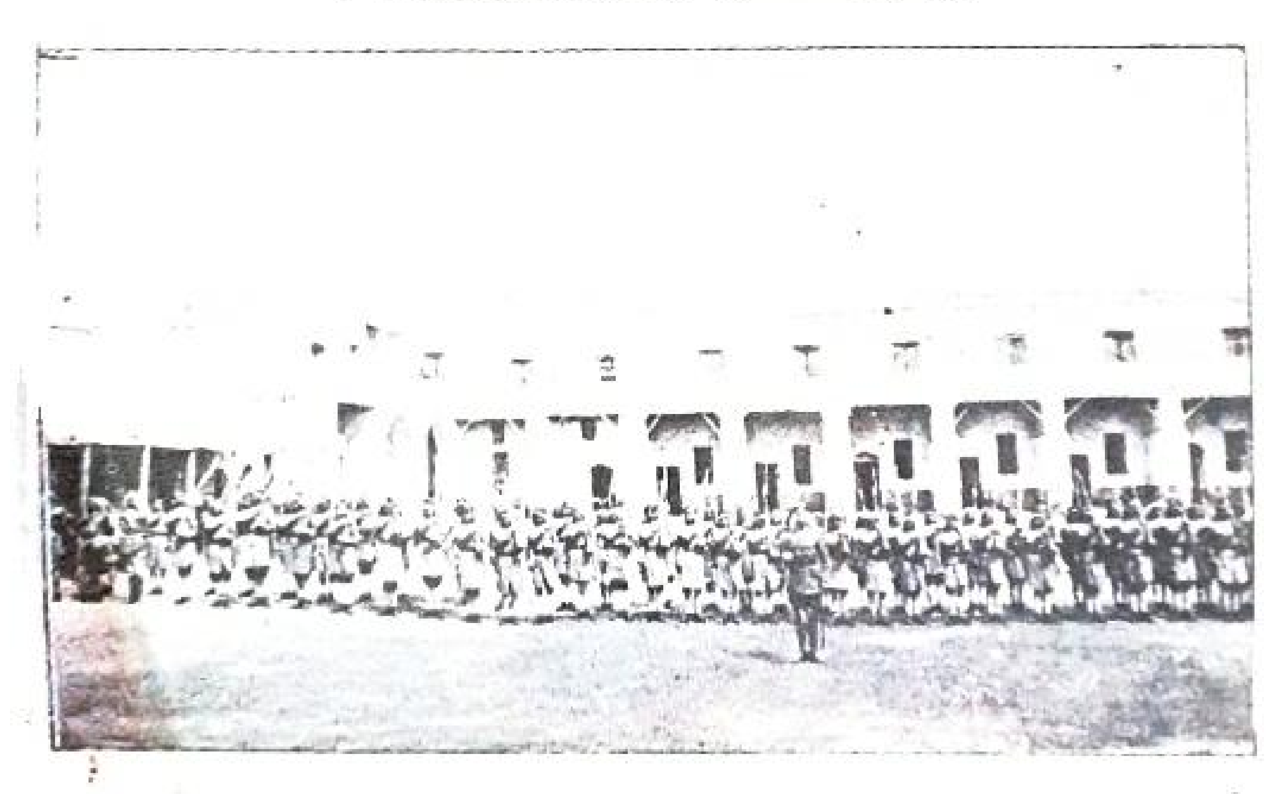
طريق الصحراء بين بغداد وسورية مطروقاً آنذاك . فتبين لنا بعد التحقيق ان اقصر طريق يمكن سلوكه هو طريق الصحراء الذي يسير بين الموصل ودير الزور عبر بادية الجزيرة التي بين دجلة والفرات ، ثم يواصل السير من دير الزور الى حلب فبيروت . والطريق عبر بادية الجزيرة يمر باراضي قبائل شمر ولا يمكن اجتيازه الا بمعاونة رؤساء هذه القبائل فاتصلنا بالجهات المختصة في الموصل ومن حسن الصدف اننا وجدنا شاباً كان يريد السفر الى بيروت بنفس الطريق للدراسة ايضا فاستاجرنا سيارة كاديلاك لتقلنا الى حلب ، وبعد اجراء المعاملة اللازمة ودفع الاتاوة الى ممثل قبائل شمر غادرنا الموصل يوم ٥ ايلول من سنة ١٩٢٢ يرافقنا دليل من بدو قبائل شمر متجهين نحو بادية الجزيرة . وما ان اجتزنا ثلثي الطريق عبر الصحراء بين الموصل ودير الزور حتى هاجمتنا عاصفة رملية هوجاء كادت تقذف بسيارتنا في الفضاء ، فكان لا بد من التوقف والانتظار ريثما تخمد ، ولكن العاصفة استمرت طيلة الليل ونحن مسجونون في داخل السيارة صامدين حتى همدت بعد الفجر بقليل واذا بنا مدفونين في داخل كثيب سدت رماله ابواب السيارة ومنافذها الزجاجية . وبعد عملية استغرقت اكثر من ساعتين تمكنا من فتح احد ابواب السيارة والخروج منه الواحد بعد الآخر . واستقر الراي ان يذهب الدليل والسائق مشيا على الاقدام للبحث عمن نستعين بهم في انقاذنا . مضى طول النهار وأنا وزميلي نراقب الأفق البعيد لعلنا نبصر حركة انسان ما في عمق الصحراء ولكن دون طائل ، وفيما نحن في حالة يأس واذا باشباح ضعيفة تتراءى لنا من بعيد وهي تتجه نحونا ثم بعد ان اقتربت امكن تشخيص اربعة اشخاص على ظهر الجمال متجهين نحونا هم : الدليل والسائق يرافقهما بدويان ، وما ان وصلوا الينا حتى ملأنا بطوننا من الماء الذي حملوه معهم ، ثم تركنا السيارة في الصحراء وركبنا الجمال فوصلنا بعد مسيرة ساعتين الى قرية صغيرة من بيوت الشعر حولها قطيع من الغنم وبعض الجمال والخيل . بتنا الليلة هناك ثم ذهب السائق والدليل في اليوم التالي يرافقهما اربعة من البدو الى حيث كانت تقف سيارتنا وسط الرمال ، وبعد جهد كبير تمكنوا من سحب الرمال عنها وتشغيلها فجاؤا بها في المساء مما اضطرنا الى المبيت ليلة اخرى في القرية ، ثم غادرناها في الصباح الباكر وذهبنا الى دير الزور حيث عبرنا نهر الفرات ومنها توجهنا الى حلب فبيروت .



التصوير رقم (٣٠) ـ أول محطة للقطار تؤسس في الحلة تحت ادارة موظفين من الهنود بعد الاحتلال البريطاني (انظر الفقرة ١١)



التصوير رقم (٣١) - أول محكمة مدنية تشكل في منطقة الفرات برئاسة حاكم بريطاني بعد الاحتلال البريطاني (انظر الفقرة ١١)



التصوير رقم (٣٢) أول تشكيل لجيش اهلي في الحلة برئاسة ضباط عراقيين تحت اشراف مدربين انكليز وكان يعرف بجيش الشبانة . (انظر الفقرة ١١)



التصوير رقم (٣٣) ◄
ضابطان عراقيان في جيش
الشبانة (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٣٤) – أول تشكيل
لجيش الشبانة من الخيالة تحت
اشراف مدربين من الانكليز
(انظر الفقرة ١١)
▼





الباب الثاني

دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت

١ ـ التحاقي بالجامعة الامريكية ببيروت ٢ ـ الطلاب العراقيون في الجامعة الامريكية ٣ ـ كلمتي في الجمعية العراقية يوم ٢١ مايس ١٩٢٤ ، ٤ ـ كلمتي في الجمعية العراقية يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٤ ، ٥ ـ نورتي على جريدة المصباح ٦ ـ مشاركتي في مباراة انشائية خطابية في ٢١ شباط ١٩٢٥ ٧ ـ حفلة ادبية في الحلة يوم ٢٢ نيسان ١٩٢٥ ، ٨ ـ مشاركتي في مباراة انشائية خطابية ثانية في ٩ مايس ١٩٢٥ ، ٩ ـ بعض الوقائع والاحداث في الجامعة الامريكية ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥

١ ـ التحاقي بالجامعة الامريكية ببيروت

وفي بيروت راجعت الجامعة الامريكية(١) فواجهتنا مشكلة عي تعيين الصف الذي يمكن ان التحق به ، اذ كان علي قبل كل شيء أن أحصل على الشهادة الثانوية ليتسنى لي الدخول في الكلية ، وبعد اجتياز امتحان عام تقرر في ضوئه الحاقي بالصف الاخير من صفوف الدراسة المتوسطة وذلك على سبيل التجربة على ان ينظر فيما بعد لاتخاذ القرار النهائي بعد دراسة قابليتي العلمية . وكان الاستاذ المكلف بمراقبة دراستي يدعى مستر آرمسترونك (امريكي) ، وكان يميل الى مساعدتي وتشجيعي اذ كان يرى بأني أكبر سنا من أقراني في الصف ، كما انه كان يلمس ما كنت ابذله من جهد متواصل لاستيعاب الدروس . فبعد مرور حوالي الشهر اوصى بزحفي الى الصف الرابع (الاول أعدادي) فالتحقت به وأنهيته بنجاح في حزيران ١٩٢٣ . وكان سر نجاحي الرغبة الشديدة في اللحاق بما طويته من سني الشباب دون تحصيل او استفادة علمية ، وكان ألاساتذة يشعرون بذلك فامدوني بكل وسائل التشجيع والعون . وقد قضيت صيفية تلك السنة مع الطلاب العراقيين المصطافين في زحلة . ومن النشاط الرياضي الذي مارسناه في تلك الصيفية قيامي أنا والمرحوم محيي الدين يوسف برحلة الى جبال لبنان مشيا على الاقدام استغرقت حوالي الشهر . ثم التحقت بالصف المنتهي الاعدادي بعد قضاء فصل الصيف بالمراجعة والتتبع ، وتخرجت في نفس السنة (٢٧ حزيران ١٩٢٤) من قسم ألاعدادية ، مما أهلني للدخول في الكلية .

---

(١) است هذه الجامعة باسم كلية بيروت للتعليم العالي عام ١٨٦٢ من قبل المبشرين البروتستانت وجعلوا على راسها « دانيال بليس (Rev. Daniel Bliss)

ثم اصبحت هذه الكلية فيما بعد « الكلية السورية الانجيلية » كما صارت بعد ذلك الجامعة الامريكية ببيروت على ما هي عليه اليوم .

٢ ـ الطلاب العراقيون في الجامعة الامريكية

وفي محيط الجامعة التقيت باخواني العراقيين من طلاب الكلية ومن ضمنهم اول بعثة عراقية توفد الى خارج العراق بعد الحرب العالمية الاولى وهم : فاضل الجمالي ، محمد دشتي ، يوسف زينل ، خليل قدو ، محيي الدين يوسف ، حسن جواد ، فكانوا خير معوان لي في ارشادهم وتوجيههم اياي . ولم يمض وقت طويل حتى ساويت اقراني في معلوماتي العربية واخذت اساهم في النشاطات الاجتماعية والثقافية في الجامعة . فانتميت الى جمعية الطلاب العراقيين في الجامعة التي عقدت جلستها الاولى يوم الاحد المصادف ١٣ نيسان ١٩٢٤ . ففي هذا الاجتماع بحثت القضايا التي تخص الطلاب العراقيين في الجامعة تمهيدا لتسجيل الاعضاء وانتخاب الهيئة الادارية . وفي ٢١ مايس ١٩٢٤ اجتمع الطلاب العراقيون وكان عددهم ٤٦ طالبا انا من ضمنهم واخذنا صورة للمجموع امام وست هول مع رئيس الجامعة بايارد دوج (انظر التصوير رقم ٣٥) .

التصوير رقم (٣٥) ـ صورة تاريخية للطلاب العراقيين في الجامعة الامريكية في بيروت (اول بعثة عراقية توفد الى الخارج للدراسة) مع رئيس الجامعة المستر بايارد دوج اخذت في ٢١ مايس ١٩٢٤

الجالسون على الارض من اليمين الى اليسار :

جلميران ، خدوري خدوري ، ناظم غنام

الجالسون على الكراسي :

من اليمين : شلومو ، احمد سوسة ، رئيس الجامعة دودج ، متي عقراوي ، انور ملكة

الصف الاول الواقفون :

مظهر فهمي ، اكرم رفعت ، ممتاز عارف ، اكرم فتحي جلميران ، ناجح الشخماني ، .... النعمة .

الصف الثاني : يعقوب وذن ، فؤاد حسو ، انور مته ، اكرم زينل ، يونس حنا ، انطوان صبري يانقو ، عبدالاحد بيثون .

الصف الثالث : محمد الدشتي ، نوري روفائيل ، داود سلمان ، فرج‌الله ويردي ، كمال خليل ، .... ، درويش الحيدري ، يوسف خدوري ، يحيى الباجه‌جي .

الصف الرابع : حسن جواد ، احمد النعمة ، ابراهيم البسام ، صبيح الوهبي ، تحسين ابراهيم ، وديع سليمان ، صموئيل بيثون ، توفيق شكوري ، جميل جمومة ، اسماعيل الجوربه‌جي

الصف الخامس : احمد دوغرامجي ، بدروسيان ، محي‌الدين يوسف ، يوسف زينل ، خليل قدو ، فائق ...



ومن ثم عقدنا جلسة فالقيت كلمة بالمناسبة لاقت استحسان الحاضرين (يجدها القارئ في الفقرة ٣) . وتلاني خليل فدو فتكلم عن رحلته الى بغداد خلال العطلة ، وبعد المداولة في شؤون الطلاب العراقيين انفضت الجلسة . ثم عقد اجتماع يوم ١١ حزيران ١٩٢٤ تكلم فيه متي عقراوي ودع فيه اخوانه العراقيين بمناسبة تخرجه في الكلية .

وفي يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٤ عقد اجتماع لانتخاب الهيئة الادارية الاولى لسنة ١٩٢٤ ، فتراس الاجتماع فاضل الجمالي واجريت الانتخابات ففاز محيي‌الدين يوسف برياسة الجمعية ويوسف زينل بالسكرتارية وجميل استربادي بامانة الصندوق .

وفي بداية السنة الجديدة (سنة ١٩٢٥) عقدت الجمعية العراقية اجتماعا في ٢٩ كانون الثاني لاجراء انتخابات جديدة فانتخبت عشرين عضوا ثانويا انا بينهم عهد الينا بانتخاب الهيئة الادارية الجديدة ، فاجتمعنا (نحن العشرون عضوا) في ٣١ كانون الثاني ١٩٢٥ وانتخبنا محيي‌الدين يوسف للرئاسة وصبيح الوهبي للسكرتارية وخالد حالت لامانة الصندوق وتحسين ابراهيم مرافقا له ، كما تم انتخاب اعضاء اللجنة الادارية وهم : شيت نعوم وممتاز عارف وانا .

وفي ٥ حزيران ١٩٢٥ عقدت الجمعية العراقية وكانت جلسة انتخابات فانتخب فاضل الجمالي رئيسا للجمعية .

هذا ما سجلته في مفكرتي اليومية عن تاسيس الجمعية العراقية في الجامعة الامريكية في خلال وجودي في الجامعة بين سنة ١٩٢٢ و١٩٢٥ . وفيما يلي نص الكلمة التي القيتها على الطلاب العراقيين في اول اجتماع لهم في الجامعة يوم ٢١ مايس ١٩٢٤ :

٣ - كلمتي في الجمعية العراقية يوم ٢١ مايس ١٩٢٤

اخواني :

لا استطيع ان اظهر لكم ابتهاجي بوجودي بينكم وانا في وسط اخواني في هذا المنتدى الذي عقدتنا واياه الرابطة الوطنية والاخوة العراقية ، إلا اذا كانت لي فصاحة احد اخواننا المنتمين الى الدوائر العليا (المقصود هنا صفوف الكلية) ، وان موقفي هذا لموقف رجل مرتبك اراد ان يصف البدر فلا يدري ماذا يقول فيه وهو باد للابصار ليس دونه غشاء .

يسرني جدا ايها الاخوان ان القي عليكم كلمة في هذا النهار السعيد ، اقول النهار السعيد لاننا نرى انفسنا لاول مرة في الجمعية العراقية التي نعلق عليها

الآمال • وما هي تلك الآمال ؟ انا لا أزيد على ان هذه الجمعية ستكون عاملا كبيرا في جمع شملنا وتنبيه افكارنا الناشئة الى ما نحتاج اليه كشبان امة ناهضة يريدون ان يكتشفوا اهم ما تحتاج اليه فيبذلون غاية الجهد مكرسين الحياة لخدمة تلك الامة • يسرنا جميعا ما نسمعه عن النهضة العلمية والادبية الحديثة في قطرنا وهذا ما يبشرنا بمستقبل زاهي (زاه) ورقي سامي (سام) نضاهي به سائر الأمم الراقية ، لا شك ان هذا الرجاء يتوقف على أعمالنا نحن شباب اليوم ورجال الغد على متوننا تلك الحضارة التي نتأملها لوطننا المحبوب •

فهل نحن مستعدون لحمل هذه المسؤولية المهمة الضخمة ؟

لننظر الى ماضي تلك البلاد التي ترعرعنا فيها وتنشقنا هواءها وشربنا ماءها وتظللنا باديم سمائها ، ماذا نرى ؟ حضارة اضاءت دياجي الغرب وحولت جهلهم المطبق الى قريحة وقادة باكتشاف غوامض الحياة واسرارها • تذكروا ايها الاخوان ان أبناء بلاد الرافدين هم ابنائها (ابناؤها) بالامس الذين رفعوا معالم الأدب ما يفتخر به التاريخ العربي وشيدوا من الآثار ما ليس للدهر قدرة على ازالته •

ازوراء مدينة الرشيد ! يا منبعث المدنية الشرقية ويا مامل النور الساطع الى كهوف الغرب المظلمة ! ماذا دهاك ؟ فانزويت في زوايا النسيان واحتجبت عن العالم بأسره حتى اصبحت كالكنز مخفيا ، وما كان سبب انحطاطها وما الذي عرقل مساعي مواطنيها بعد ان كانت بلاد الغرب ترتشف من مناهل علومها ؟ لم يكن وايم الحق سبب هذا وذاك الا عدم تمركز الاتحاد بين الافراد على اساس متين ، وقد شهدنا كيف أصبحت تلك البلاد الجميلة طعمة سائغة لأرباب القوة والطمع وهذا ما هو جار في كل قطر واجته جراثيم الجهل والتفرق فلا يلبث ان يمسي ضعيفا لا يتجرأ ان يواجه تلك اليد القوية القابضة على زمامه الا بعين المهابة والتوقير •

فلنعتبر بماضينا :

ان اختفى ما في الزمـان الآتي

فقس على الماضـي من الاوقـات

فلنتحد لتحقيق غاية واحدة فنكون حينئذ كالدوحة العظيمة التي تقي ما تحتها من حرارة الشمس وشدة البرد فكل منا غصن من أغصانها يهتز لحركتها ، فحياة تلك الدوحة ونموها هما نفس مجموع تلك الأغصان ونموها، فلننشأ معتمدين على انفسنا متحدين لاعلاء مجد بلادنا ، ولتغرس هذه الجمعية في صدورنا حس المسؤولية امام التاريخ والعالم عن عز بلادنا كي نكون اعضاء

صالحين نقضي الحياة في الخدمة والافادة ، وهكذا ينشأ منكم رجالا (رجال) نفتخر بهم الامة ولعمري لا سبيل الى الرجولة الا بالعمل ، فلنحترم الواجب الوطني ولنضحي حياتنا في سبيل خدمة امتنا فان الانسان خلق لوطنه وقومه لا لنفسه .(٢) انتهى

٢ - كلمتي في الجمعية العراقية يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٤

عقدت الجمعية العراقية في الجامعة الامريكية اجتماعا في الساعة الرابعة بعد الظهر وقد كرس هذا الاجتماع لالقاء خطب من قبل الاعضاء فالقيت فيه الكلمة التالية وقد نشرت في مجلة المصباح البغدادية في عددها لشهر كانون الاول ١٩٢٤ .

اخواني :

يسرني جدا ايها الاعزاء ان القي على مسامعكم كلمة انتم اخواني القدماء والحديثون في مثل هذا الاجتماع الاول المحبوب حيث يستطيع كل منا ان يعبر عما يخامر ذهنه من افكار لذيذة ، يحث بها اخوانه الاعضاء على الاخاء والتعاضد والاهتمام برقي جمعيتنا هذه .

لا شك انني لست بالخطيب المصقع فاخلب البابكم بفصاحتي ولا بالكاتب النحرير فأستأسر قلوبكم برقة المعاني ودقة المباني ، انما اقف بينكم وقفة أخ ودود مخلص مدفوعا بواجباتي الوطنية الى القاء كلمة وجيزة ، كلمة أعبر بها عما تكنه نفس طموحة لا ترضى بالذل ولا ترضخ للهوان بل تنظر الى أسمى درجات العز والرقي مبشرة ذاتها بمستقبل ... مبين يكتنفان أمتنا المحبوبة في أيام غدها .

غايتنا من هذه الجمعية كما لا يخفى عليكم جميعا ما هي الا لتعرف بعضنا ببعض ، وتأليف وحدة قوية قوامها أبناء وطن واحد واستئصال جراثيم التعصب والتفرقة التي لا تستضيف الا عقول الجهلاء الخاملين حيث تنمو وتكبر حتى تتسرب الى أعضاء الكتلة القومية فتودي بالكل الى الحضيض ، حضيض الخمول والانحطاط وهناك البلاء العظيم والشقاء المقيم .

---

(٢) ولا بد من الاشارة في هذا الصدد الى ان الحماس الوطني القومي كان على اشده بين الطلبة العراقيين ، فكان كل منا ينتظر بفارغ الصبر موعد التخرج من الجامعة ليتسنى له العودة الى الوطن للاضطلاع بالمسؤولية الملقاة على كل منا حسب اختصاصه . فكان هذا الشعور طاغيا في نفوس الجميع باعتبارنا القافلة الاولى التي يعتمد عليها الوطن في بناء كيانه الجديد .

اجل ايها الاخوان ان غايتنا القضاء على هـــذه الجراثيم الفتاكة ، وذلك بواسطة اجتماعنا هذا الذي يضمنا مرة كل شهر ، يضم صغيرنا وكبـيرنا ، قديمنا وحديثنا من مختلف الطوائف المذهبية والبلدان العراقية ، ولكن كيف نهلك تلك الجراثيم ايها الاخوان ؟ نهلكها بغرس بذور التساهل والتســـامح في صدورنا (تينك الصفتين اللتين لا نجاح لنا بدونهما) وهنا نصبح جميعنا اخوانا متحدين لغاية واحدة ، متعصبين بعروبتنا الشريفة ، واذا فرقتنا المذاهب تجمعنا جامعة الوطنية ، وتؤلف بيننا رابطة القومية ، وتوحدنا تلك الرايـة المحبوبة ، رايتنا ذات الالوان الاربعة الجميلة .

ارحب بكم ايها الاخوان الحديثون وارجو ان تكونوا لنا عونا متيناً وساعداً عاملا في سبيل التوصل الى تلك الغاية الشريفة التي نتوخاها من جمعيتنــا هذه ولنجعل نصب أعيننا صباح مساء امراً واحداً الا وهو ان الامم بافرادهـا فان نجح الافراد فازت بنجاحهم ، ونجاح امتنا اليوم متوقف على أعمالنـــا والقيام بواجباتنا نحن أفرادها ، تلكم الواجبات الوطنية المقدسة التي تمـــلأ فضاء صدور أفراد الامة عزاً وشرفاً يناطحان قمم الجبال الشامخة بارتفاعهمـا اذا ما قاموا بها حق القيام .

اخواني ، ان البلاد التي ترعرعنا فيها ووطات اقدامنا خصـيب تربتهـا ، والهواء النقي الذي استنشقنا عليل نسيمه ، والمياه العذبة مياه دجلة والفرات التي ارتشفنا عذب سلسبيلها ، والسماء الصافية التي طالما ظللتنا بوشاحها الازرق الجميل ، ان ذلك كله يا أبناء وطني الاعــزاء ليدعونا الى الســعي المتواصل والنهوض ، ويلقي على عواتقنا مسؤولية ويا لها من مسؤولية تحاسبنا عليها سنن الله والتاريخ والعالم .

ان بلادنا اهدتنا اجساماً صحيحة وعقولا نبيهة ، وغرست في نفوسنا تلك الانفة التي خلدها أسلافنا بين أحجارها وصخورها ، تلك الآثار التي تزدري بنا كلما حدقنا بها اليوم فقد حان لها ان تطالبنا بحقوقها وتسائلنا بما علينــا نحوها ، فكم يكون افتخارنا عظيما واعجابنا شديداً اذا الفينا انفسنا متقلدين سيوف العلم ، متحصنين بمعاقل العرفان ، محلقين باجنحة النهوض في أوطاننا حيث نؤلف مجموعاً ناهضاً رافعاً له بنـاء جـديدا اساسه الحق والعـلم ودعامته توحيد الكلمة والراي والغاية .

لننتبه ايها الاخوان ونتعرف ما اتينا من أجله هذا المعهد العلمي ، ولنفحص مليا غايتنا من المكوث في ظل جدران هذه الجامعة ، اننا لم نقدم الى هنــا الا لنرتوي من مناهل العلوم والآداب ـ حصوننا ومعاقلنا التي تصد عنا غــارات اعدائنا في مستقبل ايامنا ـ ولقد غادرنا أنسباءنا وتركنا أوطاننا ، باذلين كل غــال وثمين في سبيل فكرة التحصيل لنكون قادرين على النهوض بامتنا المحبوبة الى مستوى الامم الراقية .

ان العراق ايها الاخوان ينتظرنا على أحر من الجمر لنقوم بما حملنا على عواتقنا من المسؤولية ونبرهن للامم اننا قادرون على تدبير شؤون شعبنا واننا غير خاملين ، والمحيط الذي نعيش به اليـوم قد جمع لنا بين صروحه كـل ما نحتاج اليه من الوسائط والوسائل للتوصل الى ذرى الفلاح ، وذلـك اذا عرفنا كيف ننتفع منها ٠

فلننتهز اذن هذه الفرصة الثمينة التي تدعونا الى الانتفاع بها ولنسـع السعي الحثيث المتواصل غير مهملين تحصيلنا ولنمتع انفسنا بالحـرية المطلقة ولنتخلق بأفضل الاخلاق حاملين بين جنبينا سريرة نقية طاهرة نقدمها هـدية الى وطننا المحبوب فننشأ اذ ذاك ـ المحمدي والمسيحي والموسوي ـ متحدين لغاية واحدة متطرفين بقوميتنا ، مكرسين الحياة للقيام بواجباتنا الوطنيـة ، نابذين تعصب المذاهب والاديان الذي يعمي الابصار والبصائر وهكذا نكـون ـ مع مزيد الفخـر ـ عبرة للمعتبرين وقـدوة ينسج على منوالهـا أترابنا ومواطنونا ٠

٥ـ ثورتي على جريدة المصباح

يتضح من مسيرة ايام الصبا اني لم اكن ملماً بالتاريخ ولم افهم الا النزر اليسير من تاريخ الاديان عندما غادرت العراق قاصدا الجامعة الامريكيـة في بيروت وذلك على الرغم من بلوغي الثانية والعشرين من العمر ، وكل ما كنت اعرفه اني ابن هذه البلدة (الحلة الفيحاء) فاحببتها واحببت وطني منـذ الصغر ٠ فقد طويت هذه السنين الطوال وانا لاه بين اقتناء الخيـل والبندقية والتصوير واخيراً السيارة الخ٠٠ وكانت مخالطتي مع رفاقي وكلهم من المسلمين مندمجاً معهم في كل ما توحيه البيئة من ميول واهواء ٠ ثم صرت أتحسس ان هناك فوارق في المجتمع الواحد ، فهناك مسلم ويهودي ومسيحي ٠ فكانت هذه المسالة تستأثر بكل تفكيري وحواسي تبعث في الشوق للتحصيل والتزود بما ينورني في هذه الامور الغامضة المعقدة ٠ لماذا هذه الفوارق وكلنا عرب ابناء وطن واحد وقومية واحدة؟![٣] وقد بقيت هذه المشكلة تلازمني طوال السـنين التالية حتى انتهيت الى معرفة ما كنت أجهله حتى اصبح هـذا الموضوع من ضمن اختصاصي العلمي ٠

---

(٣) يلاحظ القارىء بان جميع كتاباتي كانت تندفع بصورة تلقائية لا شعورية نحو الدعـوة الى الوحدة والتمسك بالقومية العربية حتى ناديت بها علنا في حفلة المسابقة الخطابيـة التي اقامتها الجامعة الامريكية يوم ٢١ شـباط ١٩٢٥ » وكانت نتيجة ذلك ان اسـقط اسمي من بين المتبارين لاني تطرقت الى موضوع يمس السياسة وهو محظور التطرق اليه حسب قانون الجامعة (انظر الفقرة ٦)



التصوير رقم (٣٦) ـ المؤلف يتوسط مجموعة من زملائه في الجامعة الامريكيـــة في بيروت سنة ١٩٢٥ .

وفي غمرة هذه الهوا جس التي كانت تخيم على تفكيري وأنا أواصل دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت ظهرت في بغداد جريدة اسبوعية هي عربيـة في الظاهر ولكنها تعنى بالشؤون اليهودية فقط تسمى جريدة المصباح الاسبوعية تصدر كل خميس صاحبها ومديرها المسؤول الصهيوني العراقي سلمان شـينة ورئيس تحريرها أنور شاؤل (ابن السموال) صدر عددها الاول الخميس في ١٠ نيسان ١٩٢٤ واستمرت ثلاث سنوات ثم توقفت . وقد تعرفت عـن طريقها برئيس تحريرها أنور شاؤل وهو شاب أديب شاعر صارت بيني وبينه مراسلات وكان يرسل الي جريدة المصباح بانتظام . فكنت اتحسس من مطالعة هذه الجريدة بنفس الهواجس فتستوقفني علامات استفهام : مجلة عربية تظهر باللغة العربية والوطن واحد وفي الوقت نفسه تحتضن اخبار وحوادث طائفـة معينة (الطائفة اليهودية) في حين أننا كلنا عرب في وطـن واحد . فعلى بساطتي دون ان أكون اعلم بان هناك جذورا لما يسمى بالصهيونية ، وبكل صراحة كتبت الى صاحبي رسالة بتاريخ١٦ ايلول ١٩٢٤ وكنت آنذاك مصطافا بزحلة اقتتطف منها ما يخص هذا الموضوع قلت فيها :

عزيزي انور افندي المحترم

لدي ملاحظات اعرضها عليك وهي تتعلق بما لاحظته في مجلتك الغراء ، فلم ار بدآ من ان ابدي لك ما الفيته من تقصـــير في مسلكها ، ولولا ثقتي بعـرى

صداقتنا لما تجاسرت أن أعرض عليك رايي ، وما أصدق القول (من كتم الطبيب مرضه فقد خان نفسه) . ولهذا أجاهر لك بما أعتقد ولم يكن ابداء رايي الا راي صديق يريد لك ولمجلتك كل الخير .

عزيزي ـ لو تأمل القارئ جليا في فحوى صفحات مصباحك التي تصلني على الدوام لوجد لأول وهلة انها مجلة يهودية ليس فيها سوى حوادث اليهود واكثرها طفيفة لا أهمية لها في حياتنا الاجتماعية ولا يميل الى تلاوتها غير اليهودي لما حوتها من مقالات وحوادث يستشم منها التعصب للطائفة اليهودية.. ليعز علي ايها الصديق العزيز ان أشير الى ضلال مسلك المصباح اذ كان عليك أن لا تقتصر بأخبارك على الطائفة اليهودية بل مشاركة مجموع أبناء الوطن بأفراحه وأتراحه . ان التفرقة والتعصب يحولان دون تقدمنا ونهضتنا . لذلك فعلى كل شاب مثقف ان يرعى واجباته الوطنية وأن ينبذ التعصب الديني فقد خلق الانسان لوطنه لا لنفسه .. لا أدري وايم الحق ان كنت مصيبا بانتقادي هذا ولكنني لم أفض بما كان يجول بخاطري الا حرصا على سمعة مجلتك .. اننا في عصر لا تتقدم فيه امة ولا تنهض من هوة الجهل والانحطاط الا بالاتحاد الوطني والتعاون والتفاهم ما لنا والدين وما الدين الا رابطة بين الفرد وربه فان كان صالحا يلاقي جزاء عمله الصالح عند ربه وان كان شريرا يعاقب على قدر منكراته وشروره .

وقد الحقت هذه الرسالة بمقال عن المصباح ارسلته الى انور شاؤل ولكنه لم ينشره ، هذا بعض ما جاء فيه :

لحضرة صاحب جريدة المصباح الغراء المحترم

تحية واحتراما وبعد ، فقد دفعني الواجب الوطني لان اتقدم كشاب عراقي يتألم لفقدان روح الاتحاد القومي ويستاء لارتخاء عرى الأخوة العراق في ربوع الرافدين ، راجيا نشر السطور التالية على ظهر صحيفتكم الغراء حب بالاصلاح الاجتماعي وعملا بالحرية الفكرية ولكم مني مزيد الامتنان ..

المصباح تعكس اشعة التعصب والتفرقة

نشرت صحف الزوراء خبر صدور صحيفة ادبية عنوانها المصباح فاستبشر الكل بها وصار الناس ينظرون اليها كمصدر للتآخي بين الطوائف العراقية توطيدا لعرى الوحدة الوطنية لما للصحف من تأثير لدى الأمم في بث روح التآخي وعرى الوحدة الوطنية . توالت الايام واذا بالآمال قد خابت اذ لم يمض الا ايام قلائل حتى ظهرت علائم التعصب الطائفي الذميم بين سطورها .

ان صاحب المصباح عراقي عربي وقد نال امتياز جريدته بصفته عراقيا بغض النظر عن الطائفة التي ينتمي اليها وقد كان الأمل والحالة هذه بأن يقوم

بواجبه كصحفي عراقي نحو وطنه وقوميته العربية ، ولكن من تصفح اي عدد من اعداد جريدته فانه لم يجد فيه ما يشير الى قيامه بهذا الواجب ، وانما هو في نظري رجل متعصب قد أهمل الواجب الوطني الملقى على عاتقه كصحفي ان صاحب المصباح لا يعبّر عن شعور الاسرائيليين في العراق كما يتصور البعض بل يعبر عن رايه لان الاسرائيليين في أرياف الرافدين عراقيون أعراب ولم يركنوا الا تحت ظل الوحدة الوطنية العراقية • وعليه اذا ما عبر صاحب المصباح بما ينافي الروح الوطنية والوحدة العراقية فذلك لا يدل على تمسك الاسرائيليين عموما بكلامه وبرأيه • أنا لا أريد أن اسرد الشواهد والبراهين العديدة تأييدا لما أشرت اليه آنفا عن تعصب صاحب المصباح ، وانما أكتفي بدليل واحد استرعى انتباهي : لقد نشرت احدى صحف الزوراء في أخبارها المحلية خبر قدوم عدد من الطلبة العراقيين في الجامعة الامريكية ببيروت لقضاء عطلتهم بين أهليهم فكان بين الذين درجت اسماؤهم المسلم والمسيحي والاسرائيلي بلا تفريق بينهم لان الكل ابناء وطن واحد وهم أخوة شربوا كؤوس العلم من منهل واحد فالبلاد تنتظر من العراقيين جميعا سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهوداً خدمات جلى في حياة جديدة حياة المستقبل • أهل تدرون ماذا نشر صاحب المصباح على ظهر صحيفته ؟ فقد اختار من بين اسماء القادمين الاسرائيلي فقط ونشر خبر قدومه • هذا دليل من ادلة كثيرة تبرهن على ضلال جريدة المصباح وبث روح التعصب الطائفي الذميم • الرابطة الوطنية القومية اشرف واعظم من أن يجعلها المرء ضحية تعصب ديني طائفي • اننا في عصر لا تتقدم فيه امة ولا تنهض من هوة الجهل والانحطاط ما لم يكن رائدها الاتحاد الوطني وسبيلها التآخي والتفاني ، ما لنا والدين يا صاحب المصباح وما الدين الا رابطة بين الفرد وربه • عار علينا يا قوم بأن نصبح كلاعبي الكرة كل يسعى جهده بأن يدهدر الكرة الى جانبه ، نحن لا نريد أن نكون في مؤخرة الامم بعد أن كنا في مقدمتها • فلنترك التفرقة والخلاف ولنؤلف كتلة قوية نسير فيها جميعا جنبا الى جنب تحت لواء الاتحاد والتآخي لخدمة الوطن •

ولا يسعني وقد أدركني الختام الا أن أوجه كلمتي الى من يجدر بهم أن ينادوا بالوحدة العراقية المنشودة واعني بهم أرباب الاقلام والصحف •

اليكم يا أرباب الاقلام ترفع الامة نداءها ، وعليكم تلقي الواجب بالسير في طريق الاصلاح ، فانتم لسان الامة وانتم المسؤولين بالمدافعة عن حقوقها وانتم ساعدها الأيمن الذي تعتمد عليه في نهضتها من هذا الخمول والانحطاط فلينادي كل منكم بالوحدة العراقية فتضعوا للامة من الاخاء سلما ومن التسامح فرقانا لترتقي بهما الى قمم المجد والرقي وها اني اضيف صوتي الى اصواتكم اعترافا باخلاصكم نحو بلادكم هاتفاً : فليحيى العراق متحدا ولتحيى الوحدة العراقية تحت ظل الاخاء والمودة •

١٥ آب ١٩٢٥

٦ ـ مشاركتي في مباراة انشائية خطابية في ٢١ شباط ١٩٢٥

وبعد ان التحقت بالكلية في الجامعة الامريكية انفتحت امامي أبواب العمل والفرص للمساهمة بفعاليات طلاب الكلية على مستوى عال ، ولما أعلن عن مباراة خطابية انشائية يشترك فيها طلاب الجامعة بصفوفها الاربعة ، وهي مباراة تبرع بجوائزها الامير خزعل امير المحمرة ، تقدمت بتاريخ ٩ يناير ١٩٢٥ بمقال بعنوان « الشرق وحاجته الى التجدد » ، كما تقدم أحد الطلاب العراقيين من الصفوف العليا بمقال ايضا ، فكان عدد المشاركين من طلاب الكلية (صفوفها الاربعة) كبيرا الا ّ ان اللجنة المختصة لم تنتق الا سبع مقالات كان مقالي من بينها . وكم كان استغرابي لنجاح مقالي وانا لم انه حتى السنة الاولى من الكلية في حين ان مقال الطالب العراقي الثاني الذي كان في الصف المنتهي من الجامعة لم يحز القبول . ولما كنت حديث العهد بدراسة اللغة العربية بالنسبة لبقية الطلاب الذين قضوا عدة سنوات في دراساتهم للغة العربية فقد كان نجاح مقالي مشجعاً للغاية مع اني كنت في قرارة نفسي اشعر بمرارة لعدم نجاح مقال زميلي العراقي . وقد بلغني الاستاذ أنيس الخوري بنجاح مقالي وهنأني وطلب الي ان اقابله فقابلته ، ومع انه أثنى على المقال الا ّ انه أشار الى وجوب حذف كل كلام يمت بالسياسة أو الطائفية أو الديانات فكان هذا التحذير محرجا لصلة الموضوع بالثلاث . وكان علي ّ استظهار الخطاب وحفظه والاستعداد لالقائه بدون الاستعانة بالمقال المكتوب في الحفلة الكبرى التي ستقام في منتدى وست هول مساء السبت المصادف ٢١ شباط ١٩٢٥ وقد تعين أن أكون سادس الخطباء فيها . فكنت اذهب الى ساحل البحر في راس بيروت أصعد على الرابية والقي الخطاب بصوت عال وكأني أمام الجمهور المحتشد في القاعة حتى حفظت الخطاب وقرأته على ظهر قلب عدة مرات . وفيما يأتي نص الخطاب الذي القيته في الموعد المعين وعنوانه « الى الامام » :

لقد كان من حظي ايها السادة أن أكون سادس المتكلمين في هذا الحفل الموقر فتذكرت الآية القرآنية الشريفة (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب) فتشاءمت من هذا التصادف ولكن لا سبيل للتخلص فلا بد من القاء كلامي ، وربما يتساءل البعض ماذا عسى ان يكون كلام ابن الرافدين وقد يشم من موضوعه رائحة ثورة !. اطمئن ايها السائل فكيف تنتظر ثورة وهناك قيد حديدي يقف حائلا دون اطلاق العنان للخوض فيما يوحيه الضمير ، فانا الآن ذاك الحر المقيد الذي وصفه لنا وصفاً مسهباً في الحفلة الماضية المحامي نجيب افندي خلف .

سيداتي سادتي :

في سكان هذه الارض المقدسة ، مهبط الوحي ومسقط الأنبياء ، هذه البلاد التي تضم بين احشائها عظام مشيدي الحضارة التي اتخذها الغربيون اساسا لمدنيتهم احصر البحث منقباً عن سر تقهقرنا داعياً الى ما فيه دعامة الرقي واساس التقدم - الا وهو التجدد فالارتقاء .

انا لا اريد ان اكثر الكلام بسرد النقائص والاسباب التي ادت الى انحطاط الشرق او بالاحرى الى حالتنا الحاضرة ، وهذا امر قد ذهب فيه الناس مذاهب شتى ، انما اقول ان علينا ان نسعى بكل ما اوحته الينا العناية الالهية من حكمة ومقياس الى النهوض من سباتنا العميق وذلك لا يتسنى لنا الا بتغيير في حالتنا الحاضرة .

ان تخلف الشرق ليس الا ما خلفه احجامنا عن التقدم نحو الغرض الحقيقي واهمالنا حل مشاكل الحياة الجديدة المعقدة . نحن نقتل روح النبوغ ولا قلب يخفق في صدورنا ، وننبذ قابلية المضاهاة للامم الراقية ولا وتر يهتز في نفوسنا .

ليس من شيء في عالمنا هذا ايها السادة الا وهو عرضة للتغير ولا بد من تطوره من يوم لآخر ، وان الحياة الاجتماعية في كل رهط ومجتمع مسيرة بسنة التطور والتغير فتنتج انقلابات عظيمة في الهيئة الاجتماعية نحو التقدم والارتقاء . فها هي الانقلابات التي حدثت في العصور المنصرمة تثبت سنة التطور والتغير ، ان الامم اليوم غير ما كانت عليه في الاجيال الغابرة وستكون في المستقبل غير ما هي عليه اليوم ، فقد انقشع الضباب الكثيف الذي اخمل الأدمغة المفكرة وامسى الأحياء ناهضين يشعرون بالواجب مجدين في ترقية مجتمعهم .

نظرة الى الشعب الفرنسي والى ثورته الكبرى التي نال بها الحرية الشخصية ، والى امريكا التي خضبت الدماء ارضها في سبيل استقلالها ، وانظروا الى الايطاليين الذين قاتلوا بكل ثبات ونشاط في سبيل نزع الراية النمساوية من فوق رؤوسهم ، والى سواهم من الامم التي رفعت لواء النصر والسعادة يرفرف فوق رؤوس ابنائها بالجهاد والعمل ، فالتبدل اذن سنّة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

كل هذه الانقلابات العظيمة والشرق لا يزال مكتوف الايدي جامداً ضارباً بكل ما تأمر به سنّة الحركة والتطور عرض الحائط ، اللهم الا امة اليابان التي حافظت على آية التقدم والنهوض ، ولا ريب في ان موقعها الجغرافي كان اكبر سبب في تقدمها دون سائر البلاد الشرقية .

ان الكثيرين من ابناء الشرق لا يزالون يرددون على السنتهم ان الخير في اتباع من سلف ثم يجهلون انهم غير متمسكين بما كان عليه أسلافهم واجدادهم ، فقد كان الاسلاف يجدون ويتبارون في السعي والتقدم آخذين من مدنيات العالم قسطا وافرا في تقدمهم وتطورهم فانشأوا مدنية راقية في الأدب والعرفان وشيدوا ممالك عظيمة قوامها العدل والايمان · هكذا كان العرب وتلك كانت اعمالهم ، فلا بدع اذا ظل الخلف يتغنى بافعالهم الجليلة · ان الرجعيين هم ايها السادة ليسوا الا قاتلي ابناء الشرق من حيث لا يشعرون فلا تزال حتى اليوم نرى في الشرق افظع الروايات تمثل على مسرح مجتمعنا، لا نزال نشاهد من الخرافات والترهات ما تقشعر لها الابدان ، نرى الزارع يابى الا ان يحرث الارض بمحراثه القديم ولا يستقي الماء الا بناعوره الذي استقى به اجداده لاعتقاده ان ذلك فيه الخير والبركة فيتشاءم من رؤية الآلات الحديدية الحديثة ويبغضها ، ورئيس القبيلة يجهز اتباعه لغزوات ابناء قومه لاغتراره باطماع شخصية مؤقتة ، والفرد ينكر صاحبه لاختلافه في مذهبه او معتقده ، وهناك فئة اخرى من الشرقيين ينظرون بكل دهشة واعجاب الى الجديد المزخرف فينسون القديم والواجب ويصبحون متقاعدين منغمسين بما قدمه لهم الجديد من اللذات والشهوات التي تخدر اعصابهم وتضعف ارادتهم · انا لا ادعو الى التمسك بالمدنية الحديثة على علاتها ، ولكني اقول ان الحالة تدعو الى اقتباس الصالح منها الذي لا ينافي جمال وعظمة ماضينا ولا يمحو آثار الآباء من كرم وعفة مع نبذ الطالح الذي يضر بسمعة الشرقي وشرفه ·

ان الكلام ذو شجون ايها السادة واذا نظر اللبيب نظرة المتالم الى انحطاطنا بعد ذلك المجد الاثيل ناح نوح النياق الى فصالها ، وان موقفي هذا ليمثل امام مخيلتي الآن ذلك البدوي الذي نزل ضيفاً في بيت متحضر ، كان وقت الطعام فقدم رب الدار اصناف المأكولات لضيفه ولشدة الحر امر له بقدح من البوضة فظنه الضيف سمناً وتناول قسماً منه ليضعه على الارز واذا به يشعر بالبرد القارص ، فتعجب ذلك البدوي كل التعجب وقال لصاحبه : « بربك كيف حصلت على هذا الجليد في هذه الايام ونحن لا نراه في بلادنا حتى في فصل الشتاء ؟ » فاجابه انهم يستحضرونه في الآلات فيضعون الماء فيها وتصبح جليداً بعد بضع ساعات · وبعد تفكير طويل اجاب البدوي : « وربي انكم ايها الحضريون تشتغلون باشغال خالقنا فليس من العجب ان يثقل علينا المصائب والويلات · » ليس ذلك البدوي الوحيد في مثل هذا الاعتقاد بل نجد كثيرين من امثاله يقضون الحياة ولا يدركون لماذا خلقوا اذ يعتقدون ان كل ما ياتي به البشر من الغرائب خطا وضلال لأنها اعمال الهية لا يحق لهم التدخل فيها · وهذا مثال من امثلة لا تحصى يدل على جمودنا وخمولنا واهمالنا مواهبنا البشرية · يرى الشرقي هذا وذاك من الاعمال العجيبة في

نظره فيقف مطاطأ الرأس امام الغربي ينظر الى نفسه بعين الاحتقار لا يخطر بباله ان ما استطاع ان يأتي به انسان يستطيع غيره من الناس ان يتوصل الى نفس النتائج اذا جد ومن جد وجد ٠

افلا توافقوني الآن ايها السادة ان قلت ان دواء الشرق هو التجدد ؟ التجدد في المبادىء والافكار ، التجدد في الاقتصاديات صناعية كانت ام زراعية ، وبكلمة اخرى التجدد في كل شيء مع المحافظة على التراث الذي ورثناه من الآباء والاجداد ٠

ليس من احد ينكر على ان للحياة الاجتماعية تأثير عظيم في مصير البلاد وتكوّنها فان كانت قائمة على اساس متين من الثقافة والاخلاق نمت وتقدمت وان كان أساسها قائما على التفسخ والجهل لا تلبث ان تسقط الى حضيض الخمول والتقهقر وهنا المصاب الاليم والبلاء العظيم ٠

من منا اليوم ينكر مبلغ ما وصل اليه التعصب في بلادنا الشرقية أجمع ؟ الأخ يمقت أخاه اذا خالفه في مبدئه والافراد يعبثون بحق الجوار اذا استفزتهم أطماعهم الشخصية فتقتلنا جراثيم التفرقة من حيث لا ندري وتقضي علينا ونحن جامدون ٠ ان القصور الشامخة التي يحلم بها الشرق العربي لا ترسخ في الارض وان الآمال الذهبية بالتقدم والرقي لا يتسنى تحقيقها الاّ بعد ارتكاز الوحدة القومية الرصينة القائمة على توحيد الكلمة والاخاء والتعاون المتبادل ، الوحدة العربية الحرة القائمة على أساس الشعور الوطني والحس القومي قوامها لغة واحدة وثقافة واحدة ، هي تلكم الوحدة التي تهدم سيطرة الاجنبي نبني عليها آمالا جسيمة تحققها الأخوة العربية ، هي الوحدة التي تحررنا من نير العبودية والرق فتنشر أجنحة النصر تحت كواكب يتفجر منها نور الهدى بعد أفولها أجيالا عديدة ٠

ما لي أرى الناس متقاعسين وكأني اسمع عظام الآباء تئن صارخة ، وكأني ارى الصخور والاحجار بل الاطلال بأسرها تزدري بنا كلما حدقنا اليها ؟ ما لي ارى جراثيم التفرقة تفتك بالجماعات تمتص روح النبوغ وتبتز قوة النهوض وليس هناك من يشعر ، فقد حان لنا يا سادتي أن نثب من سباتنا وثبة الاسود لمقاومة تلك الجراثيم الفتاكة التي تمزق لواء الاخاء والتكاتف وتغرس الحقد والنزاع فتمهد الفرص للاجنبي لاستغلال ضعفنا ٠

ان الشرق بحاجة الى التطور في الحياة الاجتماعية ، فالمرأة التي هي عماد رجال الغد لا تزال في معظم الاصقاع الشرقية تقاسي من العبودية ٠ يقول العلامة تيلر : « ان المرأة أم العالم التي تبني المدن وتملأ البيوت والكنائس والجمعيات حتى والسماء نفسها ٠ » أفما يجدر بأن تنال الحقوق التي تجعلها عونا للرجل وشريكة حياته في السراء والضراء ٠

وشرقنا بحاجة الى التطور الصحي ، انظر الى الامراض المتفشية في هذه الاصقاع آمنة مطمئنة لا تجد من ينغص عليها العيش فتنتقل جراثيمها وتصيب هذا وذاك وتمتص الدماء وتبتز نبوغ الامة ، بل في كل المدن الشرقية ترى القذارة باديه للعين – في الاسواق ، في النوادي العمومية في كل مكان ترى اهمال الاسباب الصحية ونتائجه الوخيمة .

ولناخذ اقتصاديات البلاد – وما اشد حاجتنا الى التجدد فيها – ما اشد حاجتنا الى ثورة صناعية تذهب باسباب التخلف نبني عليها معامل تديرها شركات وطنية يعضدها روح وطني واخلاص قومي .

ان لكل بناء اساسا يرتكز عليه العمران والركن الذي يقوم عليه التجدد في كل ما سبق ذكره لا يتسنى لنا انشاؤه الا في المدارس الوطنية التي تولد في شبابنا الاعتماد على النفس والاستقلال في العمل والتفاني في سبيل خدمة الوطن والامة . وان مشاركة المرأة في مختلف نشاطات المجتمع لأمر يدعو الى الاهتمام والعناية . اذ يقضي الواجب تهذيب الفتاة وتعليمها لكي تستطيع مشاركة الرجل في معترك الحياة . وخير الوسائل لنشر المدنية وتحقيق التقدم الحضاري ياتي عن طريق اشراك المرأة في مختلف نشاطات الحياة ، وان الامة التي تبقي نساؤها في حالة عبودية تسير بخطوات واسعة الى الانحطاط والتقهقر .

لا يموت الشعب ما دامت له
قوة الجنسين تسعى للعمل

وليس لي الآن وقد ادركني الختام الا أن ارفع صوتي عاليا مناديا « الأمام ! الى الأمام فعلى عواتقنا نحن طلاب اليوم ورجال الغد يرتكز رقي البلاد فلنسع مضحين كل غال وثمين في سبيل الاصلاح متحدين لغاية واحدة ننزل كتفا لكتف الى ميدان العمل ككتلة متراصة ترفع لواء الوحدة العربية الحرة رائدنا التجدد وسبيلنا الاتحاد . » انتهى

وما ان انتهيت من القاء خطابي حتى وقف الاستاذ انيس الخوري وطلب من المحكمين حذف اسمي من بين المتسابقين وقال اني خالفت قوانين الجامعة بالتطرق الى موضوع يمت بالسياسة . والمقصود بهذا الموضوع هو الدعوة الى الوحدة العربية كما يتضح من سياق الكلام . هذا واليك ما كتبته جريدة الاحرار البيروتية في عددها الصادر يوم ٢٤ شباط ١٩٢٥ في وصف حفلة المباراة من غير ان تشير الى حذف اسمي من بين المتسابقين ، قالت :

« كانت الحفلة الخطابية التي اقامتها الدائرة العربية في الجامعة الاميركية مساء يوم السبت الماضي أجمل حفلة ادبية شهدتها بيروت منذ عهد بعيد حضرها

جمع غفير من اهل العلم والفضل والأدب واساتذة المدارس وطلبتها فافتتح الحفلة الاستاذ انيس الخوري المقدسي مرحبا بالحاضرين باسم الدائرة العربية ، ثم قال ان هناك ثلاثة أمور لا بد من ذكرها واولها ان الجائزة مقدمة من صاحب العظمة الامير خزعل امير المحمرة ، والامر الثاني هو ان الخطب من صنع الطلبة الذين سيلقونها لم يساعدهم فيها أحد فان كان هناك حسنات فهي لهم او سيئات فعليهم . والثالث هو الحكم سيكون على الالقاء والانشاء سواء كان الموضوع محبوبا او غير محبوب . ثم سمى المحكمين وشكرهم وهم سعادة حسين بك الاحدب حاكم بيروت الاداري وعبدالرحمن بك قليلات مفتش دوائر البوليس وجبران افندي تويني صاحب الأحرار وعزيز افندي كساب من تجار المدينة المعروفين « وصاحب البيت » الاستاذ شحادة شحادة سكرتير جمعية خريجي الجامعة .

« ثم أخذ يقدم الخطباء فكان اولهم السيد عبدالفتاح المغربي (مصري) وموضوعه « حديث المومياء » فالقى خطابا جميلا خلاصته عظة السلف للخلف والاستنهاض لاعادة مجد الشرق الخالد فكان لخطابه وقع جميل في النفوس وتلاه الأديب السيد جبرائيل جبور (سوري) وموضوعه اليد العاملة فوفى الموضوع حقه من جميع وجوهه وأظهر ما لليد العاملة والفلاح من فضل وما في اهمالها واحتقارها من الضرر على الوطن وتطرق الى ذكر الزراعة واهميتها في اقتصاديات البلاد ورقيها .

« وتلاه السيد احمد الشراباتي (سوري) فالقى خطابا موضوعه « اطلبوا الجديد »أشار فيه الى وجوب ترك ما هو قديم بال والتمسك بالجديد ولم يدع باباً من أبواب هذا الموضوع الواسع الا ولجه مستشهدا على أن رقي الشرق لا يتم الا بطلب الجديد ونبذ القديم .

« ثم وقف الاديب السيد محمد خورشيد (سوري) فالقى خطابا موضوعه « الجرأة الأدبية » فحمل حملة شديدة على التملق والمجاملة الذي منع الجرأة الأدبية في بلادنا وضرب لحملته الامثال بالموظفين والأدباء ورجال الصحافة والمؤلفين فلم يدع نوعا من أنواع التملق والمجاملة الا واشار اليه وشجبه ولا باباً من ابواب الجرأة الأدبية المفقودة الا ذكره وحبذه فكان لكلامه وقع جميل جدا في نفوس السامعين وتلاه الأديب السيد عبيد عبدالنور سوداني فالقى خطابه « الفقير الغني » وجعله على شكل حكاية ذات مغزى اخلاقي مفيد للغاية وقعت بين امير غني بماله وفقير معدم غني بأخلاقه وفضائله طرب لها الحاضرون كثيرا وقد اجاد المتكلم في القائه وايمائه كل اجادة .

« ثم سمع الحاضرون دورا من الموسيقى العربية المطربة ووقف بعده سادس الخطباء الأديب السيد نسيم سوسه (عراقي) وموضوعه « الى الأمام » فاستهل خطابه بمقدمة فكاهية لطيفة وتناول موضوعه بمنتهى البراعة فاوفاه

حقه واجاد فيه كل الاجادة وكان ابن العراق يتكلم عن شعور واحساس وينم حديثه عن المرارة التي تتألم منها نفسه لتاخر الشرق وابنائه فدعاهم بحججه المقنعة الى السير « الى الأمام ، الى الأمام » وقد صفق له الحاضرون مرارا .

« وكان الخطيب الاخير السيدة احسان الاديبة المصرية المعروفة التي تتلقى العلم في الجامعة الاميركية وقد اختارت لنفسها موضوعا يتفق مع مبدئها وتؤيده وهو « أروهن النور » فلم يكن موقفها موقف من أقدم على المباراة طمعـــا في جائزة أو شهرة بل موقف من اغتنم هذه الفرصة لتأييد مبدأ تراه وغايـــة تعمل من اجلها فحملت على الحجاب حملة جنودها الحجج والبراهـين والآيـات القرآنية والأحاديث المثبتة ان الاسلام لم يأمر بالحجاب وان الذين يحـــاربون السفور باسم الدين هم على ضلال والدين براء مما يدعون . واظهرت عجبهـــا ودهشتها من أن أولئك الذين يقاومون السفور باسم الدين والاخلاق يرون انتشار الخمر وهي أم الخبائث ومفتاح الشرور ويرون بيوتا ينتهك فيها الشرف وتباع العفة تفتح برخص رسمية في بلاد اسلامية ، ويرون البدع والضلالات تقام باسم الدين ، ويرون غير ذلك من المحرمات فلا يحركون ساكنا ولا نرى أثرا لتلـك الهمة التي تظهر في حملتهم على السفور الذي لا تمنعه الشريعة ولا يحرمـــه الـدين ، ذلك الدين الذي جعلوه تكأة لهم في كل أبحاثهم ومحورا تدور حوله مناقشاتهم مع ان في دفاعهم عنه بهذا الشكل طعناً عليه وحجة للقـــائلين بأن الاســـلام علة تأخر الشرق ورميا له بالظلم والجحود وهو بعيد عنهما بعد الثريا عن الثرى .

« وقد استشهدت على نظريتها بأقوال رجال الدين والفضل من قدمـــاء ومعاصرين وكتاب وأثبتت على ان الحجاب مادة قديمة ورثها المسلمون ولم يأت بها الاسلام وكانت تتكلم بحماس تلقي خطابها بلفظ صحيح وأســـلوب جميل وعبارة فصيحة اكسبتها استحسان السامعين على اختلاف مبادئهم فصفقوا لها كثيرا . »(٤)

« وبعد الانتهاء من سماع الخطباء اعتلى حسين بك الأحدب رئيس لجنـــة المحكمين منبر الخطابة فالقى كلمة اثنى فيها على الجهود التي تبذلها الجامعة في سبيل إحياء لغة العرب وما تتخذه من وسائل لنشر العلم والأدب كما اثنى على الخطباء ، ثم أعلن ان اللجنة أقرت بالاجماع منح الجائزة الاولى لصاحبة

---

(٤) لقد دونا هذا الوصف بكامله كما جاء في جريدة الاحرار البيروتية لاعطاء القارىء فكرة عن الاتجاه الذي كان يجول في نفوس الشـــباب العربي في ذلك الوقت وهو الانطـــلاق والتحرر من نير التخلف الموروث عن الاجيال القديمة . فكانت الروح الوطنية طاغيـــة في نفوس الشباب العربي بوجه عام والشباب العراقي بوجه خاص .

خطاب « اروهن النور » السيدة احسان احمد والثانية لصاحب خطاب « اليد العاملة » السيد جبرائيل جبور والثالثة لصاحب خطاب « الفقير الغني » .
ووقف بعد ذلك الاستاذ المقدسي فاعلن ان السيدة احسان احمد تبرعت بالجائزة وبمثلها ايضا لتعليم احد فقراء الطلاب في الجامعة .

٧ ـ حفلة ادبية في الحلة يوم ٢٢ نيسان ١٩٢٥

لقد صادف وجودي في الحلة ، مسقط راسي ، بمناسبة زيارتي للعراق لقضاء العطلة الربيعية ، فدعيت لحضور حفلة اقامها مدير معارف الحلة يوم ٢٢ نيسان ١٩٢٥ فألقيت كلمة عن الجامعة الامريكية في بيروت ، التي كنت احد طلابها آنذاك ، نشرت في جريدة السياسة البغدادية تباعا في عدديها ليومي ٣٠ نيسان و٢ مايس ١٩٢٥ ادرج نصها فيما يلي ، مع العلم ان هذه الكلمة القيت في وقت كانت السياسة تدور حول بريطانيا وانتدابها على فلسطين الذي أقره مجلس عصبة الامم في ١٤ تموز ١٩٢٢ وهو الذي مهد السبيل لهجرة اليهود الى فلسطين ، ولم تكن سمعة بريطانيا قد تلوثت بعضدها للصهيونية بعد .

حفلة ادبية في الحلة

دعا حضرة مدير معارف الحلة باسم الاميين عددا كبيرا من وجهاء الفيحاء وادبائها ومنوريها لحضور مسامرة أدبية يقوم بها الطلاب الاميون وقد ارتاح كل من حضر المسامرة المذكورة ارتياحا عظيما لما شاهده هناك من نشاط الاميين لاقتباس انوار العلم والتهذيب وقد قام الاميون بعدة محاورات والقيت.خطب تناسب المقام .

وقد تلى حضرة الأديب المنور نسيم أفندي سوسة (طالب عراقي في الجامعة الامريكية في بيروت أتى لقضاء أيام العطلة) خطاباً نفيساً كان لم أجمل وقع في نفوس السامعين استهله بتحية وطنه وبلد صباه الحلة واظهار حنينه الى ابناء بلاده ثم تصدى لذكر الجامعة الامريكية وابداء رايه فيها فراينا ان نقتطف من ذلك ما يلي (السياسة)

ايها السادة !

قضيت ثلاث سنوات في هذه الجامعة التي يعدها البعض اعظم جامعة في شرقنا الأدنى لما اعدته من الشبان المخلصين لاوطانهم وبلادهم .

اجل ! قضيتها بين طلاب من ابناء أمم مختلفة وبين رفاق ينتمون الى طوائف مختلفة ولا أنسى اخواني العراقيين فهم الاخوة الاعزاء .

قضيتها وكاني بها ثلاثة شهور لا ثلاث سنوات وذلك لا شك ناجم عن

شديد الرغبة للعلم التي بعثها في نفسي محيط هذه الجامعة .

قد نجد كثيرا من ابناء العرب يخيفهم لأول وهلة ان يجملوا احدى الجامعات الغربية ينبوع تثقيف انجالهم لئلا تغرس في صدورهم مبادىء تنافي تراث الماضي وعزه ، مبادىء التمسك في الحديث على علاته ونبذ الصالح القديم وطالحه على السواء ، ولكن من عرف حقيقة هذه الجامعة وتامل مليا قبل ان ياخذه تيار العواطف والتشاؤم وجد عكس ما تصوره ، وقد رايتم بام اعينكم ثمرتها وعرف من ولجها سنوات عديدة انها تبث بتلامذتها روح الوطنية الحقة ومبادىء التساهل والتسامح مع نبذ التعصب الذميم والفروق الطائفية . وهذا ما تحتاجه بلاد كبلادنا طفلة في نموها وحديثة في نهضتها ، اذ العلم لا يلبث ان يتبخر كالبخور امام نار متقدة حينما يغادره صاحبه ، ولكن المبادىء التي يتشبع بها الشباب والتهذيب والاخلاق التي يتخلق بها التلميذ خلال دراسته الجامعية فلا تفارقه حتى يقتطف القدر زهرة حياته .

ان هذه الجامعة تعلم ابناءها وسيما الناطقين بالضاد منهم ان يهتموا بلغتهم ويوجهوا اعتناءهم بها دون سائر العلوم فتمرنهم على الخطابة والكتابة بواسطة الجمعيات العربية العديدة والحفلات الأدبية الكثيرة التي تعقدها بين حين وآخر، هذا عدا المباريات الخطابية المستمرة لتشجيعهم على الانشاء والخطابة . ان غريزة الانسان وموهبته الطبيعية أن يقلد غيره في كل ما يراه فان عاش في محيط علمي اصبح شغفاً بالعلم وان ترعرع في بيئة يقتل الافراد فيها اوقاتهم باللهو والفراغ أمسى واحدا منهم ، وان فتح عينيه بين قوم راضخين الى العبودية والرق ينشأ لا يعرف معنى الحياة ولا يدرك ماهية الحرية .

ان محيط الجامعة الامريكية محيط يبعث روحاً جديدة يتشرب بها التلميذ من اساتذته خلال دراسته ، هي الروح الديمقراطية الحقة المقرونة بالعمل المستمر ، روح يتدفق فيها ينبوع الطموح للتبحر في العلوم يتفجر منها مصدر الأنفة العربية التي يؤثر صاحبها المنية على الرضوخ للذل والهوان .

ان الجامعة الامريكية ترشد الطالب الى كيفية الدراسة وتهديه الى الطرق الاساسية التي يتوصل بها الى المعرفة والثقافة بلا مدرس ولا دليل فيعتمد الطالب على نفسه في عمله ، لا ينتظر معونة من الغير ومتى اعتمد الشباب على نفسه اكتشف سر النجاح والتقدم ، واذا ما اعتمدت الامة على شبان اكتشفوا سر النجاح بلغت قمم الرقي والعظمة .

ان الجامعة الامريكية جامعة غربية ولكنها ليست بالجامعة التي تقصد قتل لغة العرب كما تنصرف اليه بعض الجامعات الغربية في الشرق ، انها ليست بالجامعة المستبدة التي تريد ان يترك تلامذتها العرب وان يهجروا لغتهم وتراثهم بل تشجعهم على حب اوطانهم وتغرس فيهم الثقافة الحرة والروح

الدمقراطية ، تعلمهم حقيقة الحياة الحرة والوحدة السياسية ، وهذا ما جعل الاستعمار يعدها عدوة لمصالحه ولا يخفى ان وحدة البلاد خطر على المستعمرين الذين يغذون سموم التفرقة بين افراد الشعب . ان الجامعة الامريكية تحترم كل الأديان وتمنح الحرية المطلقة لتلامذتها ان يمارسوا طقوسهم الدينية . ونحن اليوم باشد الحاجة الى عدد من ابناء العراق قد تخرجوا من هذه الجامعة وهم يحملون هذه الصفات التحررية لاصلاح شئوننا الداخلية اولا ، ثم ينصرفون للمحافظة على حدود بلادهم من غارات الاعداء باسلحة معارفهم وعلمهم. هذه هي الجامعة التي نحتاج الى جيش من خريجيها مدججا باسلحة المعارف الغربية متقلدا دروع تراث آبائه واجداده ليقضي بها على الشقاق والخلاف الذي نمى وترعرع في ارياف بلادنا العربية المخصبة فيمزق اوصاله اربا اربا ويعرضها على العالم ليريهم كيف ان مصدر هذه الجراثيم يرجع الى بذور اجنبية نثرت باسم الاصلاح والتهذيب .

وليس لي الآن بعد ان عرضت نبذة عن هذه الجامعة الكبيرة الا ان اتقدم بالغرض الذي سقت هذه المقدمة من اجله . يسركم يا سادتي ان تعرفوا ان الجامعة الامريكية تضم بين جدرانها حوالي المائة واربعين طالبا عراقيا لا تزال تجهزهم خير تجهيز وتهذبهم أحسن تهذيب لاعدادهم رجالا مصلحين يكرسون حياتهم في خدمة البلاد ، ولكني اقول وملء قلبي الأسف انه لو اراد احدكم ان يتفقد هذا الحجم الغفير من ابناء العراق لم يجد الا فرداً واحداً ينتمي الى الفيحاء . ولعمر الله كثيرا ما كنت أقف مطاطىء الراس كلما تكلم احد اخواني عن بلدته اذ لا نلبث ان نجد زمرة من ابناء بلدته يشاركونه في الحديث ولا تسمع من حديثهم غير موضوع واحد : يجب ان نقوم بهذا وذاك بعد ايابنا الى بلدنا ومما يزيد الاسف اني لم أجد الا عددا يسيرا ممن زاروا الفيحاء .

ابعثوا ابناءكم الى ينبوع العلم ومصدر التهذيب فتكونوا قد قمتم بواجبكم الملقى على عاتقكم وتكونوا قد اصبتم اجرا عظيماً . فقد قال النبي العربي الكريم (ص) « من سلك طريقا يطلب فيه علماً سلك الله به طريقا الى الجنة.»

ان ابناء الفرات هم الذين فتحوا منافذ النهضة العراقية العربية بدمائهم، هم الذين تفانوا في سبيل الوطن ، فما لي اراهم ساكتين متقاعسين عن معركة العلم !.. الا يا ابناء الفرات الفوا البعثات العلمية ليرتشف شبانكم واخوانهم من منهل واحد فيسيرون جنبا الى جنب في تحصيلهم ويذودون عن بلادهم كتفا الى كتف حاملين احدث الاسلحة العلمية وامضى الاجهزة الثقافية .

ما لي ارى الناس تتناسى تلك الدماء التي اهرقت تحت سماء الفرات ، تلك الدماء التي اهرقت في سبيل تمهيد الطرق لنا للوصول الى ضالة شهدائنا الذين ضحوا بانفسهم في سبيلها ، وان املهم بنا ان نواصل السير ووكلوا امر النهضة السلمية القائمة على ركن العلم الينا وما كان لنا ان نخيّب ثقتهم

بنا واعتمادهم علينا .

اونسينا يا سادتي ضحايا الفيحاء في سبيل الوطن الحر ، أونسينا ضحاياها الذين ارتقوا منبر الموت وذاقوا كاس المنون في سبيل الحرية !. انسينا شهداء الفيحاء الذين علقت جثثهم ازاء دار الاتراك فكانت أجنحة الفوز والنصر تسطر على صدورهم آية العظمة مرددة : « هكذا يكون العظماء وان الامم لا تقوم الا على عظام الابطال ، ولا يتكون الاستقلال الا على جثث الشهداء . » فهم بربي عظماء يوم الحياة واعظم من ذلك في الممات . » لا ، لا ، اننا لم ننس ولن ننسى ولقد سجلت هذه الحوادث صفحة مضيئة في تاريخ البلاد وفي تاريخ نهضتنا المباركة وسوف تخلد ذكرى اليمة في صدور احفاد الاحفاد ولكنها عظيمة تمثل لواء الحرية الحقة والتضحية النبيلة ، وهي ذكرى تثير بركان القلوب وتدفع المتقاعس الى النهوض والخامل الى التحفز .

سادتي : انسينا ماء الفرات العذب يوم اصبح أحمر قانيا ، اذ استمد لونه القرمزي من دماء الأبطال !. انسينا نهر الفيحاء يوم ابتلع جثث الابطال حيث كانت ترمى في المئات حول المسلخ في ضواحي بلدتنا !. اولئك الشجعان الذين ضحوا بانفسهم وهم يطالبون برفع يد الاستعباد عن رقابهم ينادون بالحرية وهي حق منّ الله بها على كل البشر من عباده على سطح البسيطة . فما قولكم يا سادتي بذلكم الجم الغفير الذي ذهب ضحية استقلالنا فانظروا كيف تغلب الشجعان على الجيش المدجج بطياراته ومدافعه واسلاكه الكهربائية الشائكة ومعظمهم لم يحمل غير المكوار أونسينا كيف تفانى ابناء الرافدين في سبيل قضيتنا الوطنية .

فلنطمئن ايها السادة لنطمئن لانني لم أكن في اي ريبة من ان ضحايا الفرات قد نالوا جزاءهم عند ربهم وكاني بهم الآن وهم مغتبطون في جنان النعيم وكاني بأرواحهم تردد قائلة :

هنيئا لنا بنعمة الله وهنيئا لكم بحريتكم فاقتدوا بنا وواظبوا على تحقيق آمالنا بأعدادكم جنود العلم لئلا يعد هدوؤكم اهمالا وضحوا في سعيكم فنباركم من وراء اللا نهاية !.

٨ ـ مشاركتي في مباراة انشائية خطابية ثانية في ٩ مايس ١٩٢٥

ولم يمض وقت طويل حتى أعلنت جمعية زهرة الآداب في الجامعة عن عزمها على اقامة مسابقة انشائية خطابية حددت موعد الاحتفال بها يوم ٩ مايس ١٩٢٥ ، فانتهزت هذه الفرصة لعلني اعوض بها عما فاتني في المسابقة الاولى فقدمت مقالا بعنوان « التضحية أساس النهضة » فانتقت اللجنة المختصة من بين المقالات المقدمة للمباراة ستة منها مقالي . اما المقالات الخمسة الناجحة

مع مقالي فهي تعود الى : اكرم زعيتر وشفيق بكار ونجيب ابو ابراهيم وايليا خلف وفؤاد العيد . وقد عقدت الحفلة في الموعد المعين (٩ مايس ١٩٢٥) فكنت ثاني الخطباء وكانت لجنة المحكمين مؤلفة من ثلاثة اعضاء برئاسة عبدالرحيم بك قليلات والمحامي ابراهيم سليم والشيخ يوسف زخريا حاكم صلح بيروت . وبعد سماع الخطباء اختلى اعضاء لجنة المحكمين بضع دقائق في غرفة خاصة أعدت لهم ثم اعتلى المنبر رئيس اللجنة واعلن عن فوزي بالجائزة الاولى وفوز أكرم زعيتر وموضوعه « أنا لا أحارب من أجل عمر » بالجائزة الثانية وفوز فؤاد العيد بالجائزة الثالثة وموضوعه « المنتقد والانتقاد » . وقد نشرت الصحف اللبنانية تفاصيل المباراة ، كما نشرت خطابي جريدة السياسة العراقية لصاحبها يوسف غنيمة في عددها المؤرخ في ٣١ مايس ١٩٢٥ ، واليك نصه :

(الخطبة التي القاها الشاب الأديب نسيم افندي سوسه في حفلة المباراة الخطابية العامة التي اقامتها الجامعة الامريكية في بيروت ونال الجائزة الاولى)

سيداتي ، سادتي :

ما من كاتب نحرير أو شاعر رقيق ، وما من عظيم من العظماء او زعيم من الزعماء ، الا وتجد آية العظمة والتقدير فيه منسوبة الى ضحايا مسبوقة ومشاق مطروقة ، فان الكاتب لا يكون كاتبا الا بعد انعكافه على الدرس والمطالعة ، مضحيا بربيع حياته متكبدا مشاكل السعي الحثيث ومصاعب العمل المستمر المتواصل ، والشاعر لا يكون شاعرا الا والتضحية شريكة حياته مفديا شرخ شبابه في استظهار المنظوم ، فبعد الجهد الجهيد والعناء الزائد يصبح ذا موهبة شعرية أهلا بالافتخار به ورفعه الى المنزلة التي يستحقها على منصة الأدب ، والعظيم لا يكون عظيما الا وثقة الامة واخلاصها له قائمتان على زهده بنفسه وبذله الغالي والثمين في سبيل خدمة شعبه فيبجله القوم ويخضع لآرائه ومبادئه رافعا اياه الى ما يستحقه من التقدير والتعظيم .

التضحية حركة تثور في بركان القلب البشري فتولد عواطف الحنو والشفقة في صدور البشر ، هي الواجب الذي يشعر به الانسان فيحمل المثري على مؤازرة الفقير ، والقوي على مد يد المعونة الى المنهوك ، والقدير على السعي لترقية أمة ينتمي اليها او وطن يستظل تحت وشاح سمائه الازرق الجميل . التضحية ويا لها من كلمة تهتز لها اوتار القلوب وتنزل على جوارح الأفئدة فتنعشها ، هي الميزة التي اتصف بها الحيوان اطلاقا الا أن الناطق من هذا الجنس أخذها فهذبها ، هي العامل الحيوي الذي يجعل الوالد يضحي

بكل ما يقتنيه في سبيل انجاله لتستمد اجسادهم الغذاء من عرق الجبين وتمتص قوة المراهقة والبلوغ من الدم الاحمر القاني ، ويجعل الشاب يبذل كل غـــال وثمين في سبيل ترقية وطنه وامته حتى اذا ما شعرا بالواجب يفديان بحياتهما عندما يخيرهما الموقف الرهيب بين التضحية بروحيهما ، وبين ان يشاهـــد الأول انجاله والآخر امته يسلمون الارواح الى الامر العظيم ٠

فتاة في مقتبل عمرها كالزهرة اليانعة تضحي بشبابها النضر غير هيابــة ولا وجلة تقتحم المنية باقدام ثابتة في سبيل انقاذ وطنها ، تلكم الفتاة ربيبة الريف منقذة اورليان هي ابنة فرنسا جان دارك التي تقلدت الحسام ممتطية جوادها تغير باسطة صدرها الى بطش العدو فكان الجيش يتبعها حاقــداً اذ انها قد حطته من كرامة الرجال الاشداء وهي شابة وصف جنسها بالضعف والنحول !٠ انظروا يا سادتي كيف تسنمت ابنة الريف المصطبة حيث كـان السجور مهيئاً والنار متقدة لتبتلعها ، انظـــروا كيف القت بنفسها ترحب بالموت كما يرحب الأعرابي بضيفه وهي تحسب انها طائرة الى الســـماء حيث جنة النعيم تفتح لها ابوابها ، ماتت وكلمتها الاخيرة تخاطب بها ابناء روان ٠٠ ايه ابناء روان يخيفني أن تقاسوا اهوالا بعد موتي ٠٠ وفتى في ربيع حياتـه كالأم الحنونة على طفلها يضحي بشباب يافع للذود عن وطنه ، يســـير الى المشنقة بسرعة الطير وروح الشجاعة والبسالة تتجسم فيه لا تفارق خطـواته ، ذلكم الفتى النبيل القصد الرفيع المقام هو ابن صيدا شهيد الوطن الذي اعدم مع جم غفير من ابناء العرب لا ذنب لهم سوى ما اظهروه من الـــروح السامي والمبادىء الشريفة التي يتجلى فيها رمز الوطنية الحقة بأجلى مظاهرهـــا ، اتعرفون ما فاه به وهو يشاهد أحد عشر شهيداً اصبحوا جثثاً تهتز في الهواء بغير حياة ، اتدرون ما كان يقول وكاس الموت على شفتيه ، فانه خاطب تلك الأرواح العزيزة الكبيرة وخاطب آلة الاعدام قائلا : « مرحباً بارجوحة الشرف، مرحباً بارجوحة الابطال ، مرحباً بالعمـــد التي تستند اليها الشـعوب في استقلالها ، مرحباً بالموت في سبيل الوطن الحر » ثم عقبه ابن بـيروت الى المشنقة وهو يخاطب الناس بصوت جهوري : « بلغوا جمال باشا ان الملتقى قريب وان الدول لا تبنى على غير الجماجم وان جماجمنا ستكون اســاساً لاستقلال بلادنا ٠ »

هذه هي الوطنية الحقة التي يجب ان يحـــرزها شباب العرب وهكـــذا فبالتضحية الحقة والاخوة الصـــادقة نستطيع أن نحصد سنابل الشـــقاق والخلاف التي نمت وترعرعت في ارياف بـــلادنا المخصبة فنمزقها ارباً ارباً لنعرضها على العالم ونريهم كيف ان مصدر هذه الجراثيم يرجع الى بذور اجنبية نثرت باسم الاصلاح والتهذيب والا فما لنا سوى أن ننادي متألمين : « ســـلام على الشرق وعلى ابنائه ٠ »

انظروا الى عالم الأحياء تشاهدوا ان الرجل الذي لا يهمه من الحياة غير احتجان المال ولا يفكر الا بارضاء لذته الذاتية والذي لا يجعل التضحية نصب اعينه شريكة اعماله لا بد من سقوطه الى حضيض الذل والهوان مهاناً محتقراً ، افحصوا التاريخ والتاريخ عليم خبير ومعلم صادق تروا ان القائد الفرنسي (بولانجير) خارت عزيمته وذابت قوته تحت لهيب الجبن فخرق شعاع الخوف جبروته ومات بعيدا عن وطنه منتحرا بكلتا يديه لا يجد من يذرف دمعة واحدة على ضريحه ، ذلك القائد الكبير الذي طار صيته في أنحاء البلاد ابان الثورة الفرنسية الثالثة فاستظل تحت جناحه عدد وافر من الجند وعاضده جم غفير من ذوي الباس حتى كاد أبناء فرنسا يعقدون عليه آمالا كبيرة • أراد ان ينال ما ناله نابوليون من المجد دون مجازفة بحياة او مخاطرة بسلامة ، ولكن هيهات ان يخضع له الحظ بدون التضحية التي تعلم المرء آية البسالة والشجاعة في مواقفه الحرجة ، اراد ان ينال ما لا ينال الا تحت اجنحة المنون فذهبت مساعيه ادراج الرياح ، وكما في الناس كذلك في الأمم فويل للأمة التي لا يعرف أبناؤها معنى للتضحية •

اننا معشر الشرقيين يا سادتي لا نعرف ماهية التضحية الا قليلا واذا عرفنا احيانا استعمالها فنضحي بأنفسنا لقتل أنفسنا ، نضحي ونقول في سبيل دين ننتمي له والدين أعظم وأشرف من ان يامر بتلك التضحية • نضحي ونقول خدمة للانسانية والانسانية بريئة منها ، ماذا تعد ذلك النجدي المدجج باسلحته النارية لا يشفي غليله الا برؤية دم الحجازي يسيل على كتب منه فيقف ناقما يشتفي بمشاهدة القتيل يتمرغ في التراب ، اتعد ذلك تضحية ؟• فكيف نروم استقلالا أيها السادة وهناك يضحي ابناء العرب بانفسهم لقتل ابناء جنسهم فيمهدون السبل للاجنبي للاستفادة من نحولنا وتفتح له يد الشقاء الابواب على مصراعيها ، وكيف نروم استقلالا وهناك الاغنياء يبذلون الثمين في التفنن في فساد المعيشة بدل بذله في الهبات الطائلة للمدارس والمشاريع الخيرية ومساعدة المنكوبين ، وكيف نروم استقلالا وهناك عرب يبرأ ون من عروبتهم يضحي الشبان ايامهم في اتقان العلوم بلغة أجنبية ولا يعرفون شيئا من تاريخ مجدهم الغابر ولا يحسنون اللغة التي تكلم بها آباؤهم وأجدادهم ، وكيف نروم الاستقلال وهناك ذوو المقدرة الفطرية والاكتسابية الذين باعمالهم منوطة ترقية البلاد يضحون في سبيل غايات شخصية حرصا على مناصبهم ومراكزهم •

ما لي ارى الناس متقاعسين وكاني اسمع عظام الآباء تئن صارخة وكاني ارى الصخور والاحجار بل الاطلال باسرها تزدري بنا كلما حدقنا اليها ! أجل ليسرنا ما نشاهده من آيات التقدم في مصر ونفتخر بنهضة بلاد الرافدين الحديثة التي يتجسم فيها رمز التضحية ومثال الواجب الوطني ، ولكن كم يكون افتخارنا

اعظم وسرورنا اشد اذا تسنى لنا ان نشاهد شرقاً عربياً ناهضاً مستظلا تحت جناح محبة الابناء ومعاضدة الافراد على اختلاف مذاهبهم ومنازعهم يستنشق هواء الحرية تربطه الرابطة القومية وتوحده لغة واحدة ، اللغة التي شهد لها الملا بسموها ورقتها ، اللغة التي :

الفاظها درر اقوالها غرر
آياتها سور في كل قرآن

فاسمحوا لي ايها السادة قبل ان اختم كلمتي ان أوجه الحديث لمن يجدر بهم بل لمن هم اهل لأن يغرسوا بذور التضحية الحقة في صدور الشبيبة ٠ اليكم أيها الآباء ، أساتذة مدرسة الانسانية ومعلمو الجامعة البشرية ، اليكم أنتم المسئولين أمام الله والتاريخ والعالم بتربية شبان الغد أرفع شكواي واليكم اوجه كلمتي ٠

علموا البنين على التضحية لتالفهم اطفالا وترافقهم صغارا فتنمو مع نمو الجسد تحالفهم رجالا وتشاركهم كبارا ٠ على متونكم أيها الآباء يرتكز رفع ستار الجهل ، علموا البنين على حب اوطانهم واشبعوهم بذلك الروح السامي وبتلك الخلة الشريفة التي لا عز بدونها ولا استقلال بسواها – التضحية – اشربوهم المبادىء السامية ليعرفوا أن لا حياة شريفة بدون التضحية فانها خلقت ليعرفها الناطق من الحيوانات التي ميزه الخالق بها فاذا ما أهملها قضى حياة ذليلة بعدها بعد الثرية والثرى من الفضيلة والعز ، وأي تربية أشد تاثيرا على المرء بل وأي خلق أمتن تمكنا من الرجل من التربية التي يتولى زمامها والد لطفله الصغير ومن الاخلاق التي يغرسها الأب في صدر نجله ، ذلك الطفل وهو لا يزال في مهد طفولته عجين الجسد لين العريكة سهل الانقياد فتختمر المبادىء في اعضائه اللينة واذا ما بلغ سن المراهقة اصبحت متمكنة من جسده وجزءاً منه لا تفارقه ما دام قلبه يخفق ودمه يجري في عروقه :

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت
ولا تلين اذا كانت من الخشب

لنغرس في صدورنا بذرة التضحية ولنذخرها حتى اذا ما خرجنا الى العالم الأكبر سقيناها من منهل الاختبار فتتجلى وتكشف بظهورها المجد العربي الكامن وروح القومية الغابر ، ولنمثل امام ابصارنا زعماء التضحية امثال الذين اوجدوا مصر الكبرى وامثال الذين اسسوا ركن العراق بأجسامهم وغيرهم من الذين فدوا بحياتهم في سبيل رقي اممهم فننشأ حينذاك أخوة متحدين ننتصر للعدل ونقوم بالتضحية ولو بالحياة التي تملأ صدورنا آمالا فنسعى لارجاع كل حقوق مغصوبة واسعاد كل انسانية مضطهدة جاعلين الحق نبراسنا والتضحية هدفنا ٠

انتهى

٩ ـ بعض الوقائع والاحداث في الجامعة الامريكية ١٩٢٢ـ١٩٢٥

وفيما يلي بعض الوقائع والاحداث في الجامعة الامريكية ذات الصبغة العامة مقتبسة من مفكرتي اليومية وذلك في خلال السنوات الدراسية الثلاث التي قضيتها فيها وهي :

سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ } في الاعدادية
سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ }
سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ . في الكلية (السنة الاولى) .

الثلاثاء ٨ كانون الثاني ١٩٢٤

حضر اليوم الى بيروت الاستاذ كاظم الدجيلي وهو في طريقه الى لندن بمناسبة تعيينه استاذا للغة العربية في جامعة لندن وهو يقدر بالاربعين من العمر وله ذقن صغير ، زار جامعتنا واجتمعنا به مع أكثر الطلبة العراقيين في غرفة فاضل الجمالي حيث مكث حوالي النصف ساعة .

الاربعاء ١٦ كانون الثاني ١٩٢٤

زار الجنرال ويغان المندوب السامي الفرنسي جامعتنا وكان في استقباله رئيس الجامعة دودج والاساتذة بردائهم العلمي كما اجتمع الطلاب لاستقباله . وعند حضوره القى كلمة موجزة عبر فيها عن سروره لزيارته جامعتنا ثم ذهب برفقة الرئيس دوج الى وست هول حيث تناول الشاي معه .

الاحد ١٧ شباط ١٩٢٤

بلغنا ان نوري السعيد وزير الحربية العراقية وصل الى بيروت فاستحصلنا انا وعدد من الطلاب العراقيين الاذن للخروج من الجامعة لمقابلته . وفيما نحن في طريقنا اليه صادف ان شهدناه وهو متوجه الى الجامعة ، فعدنا مسرعين الى الجامعة فوجدنا انه قصد دار الاستاذ هول لتناول الشاي هناك . فبقينا ننتظره حتى خرج فاجتمعنا به في غرفة الجمعية العراقية وحضر أكثر الطلاب العراقيين فالقى علينا كلمة حثنا فيها على الاهتمام بدروسنا وبالرياضة البدنية .

الاحد ١٣ نيسان ١٩٢٤

اجتمع اليوم الطلاب العراقيون في الجامعة في ويست هول بقصد تاسيس جمعية للطلاب العراقيين في الجامعة فعينت لجنة موقتة ترعى شؤونهم . بحثت في هذا الاجتماع مسألة تاسيس جمعية للطلاب العراقيين وتقرر اخذ تصوير للطلاب . وقبل الانصراف وزعت اوراق على الحاضرين وطلب الى كل منهم أن يدون اسمه وعنوانه والصف الذي ينتمي اليه .

السبت ١٧ مايس ١٩٢٤

اقيمت في الساعة الثامنة والنصف مساءاً حفلة خطابية عينت أجرة الدخول اليها نصف ليرة سورية فذهبت مع الاخوان العراقيين • أما الخطباء ، فثلاثة هم : أمين الريحاني (واسحاق) النشاشيبي اديب فلسطين وخليل بك مطران • وقد ترأس الحفل الاستاذ جبر ضومط وحضره الرئيس دوج وجلس بين الخطباء في الوسط • وكان خطاب الريحاني رائعا ، اما خليل بك مطران فالقى قصيدة بثلاثمائة بيت من الشعر وقد طبعها مسبقا ووزعها على الحاضرين في نهاية الحفلة •

الثلاثاء ١٧ حزيران ١٩٢٤

القيت صباح اليوم في اجتماع الطلاب العام (Assembly) كلمة باللغة الانكليزية بالنيابة عن طلاب الصف الثانوي الاخير (الخامس) اودع فيها الاساتذة والطلاب بمناسبة اكمالنا الدراسة الثانوية والقى طوقان قصيدة بالمناسبة كما القى عمر فروخ قصيدة أخرى يودع فيها الاساتذة والطلاب •

الجمعة ٢٧ حزيران ١٩٢٤

اقيمت اليوم في الساعة الثامنة مساءاً في المنتدى الكبير (Chapel) حفلة توزيع الشهادات على متخرجي الثانوية وكنت أحدهم ، فتكلم عن الطلاب صبحي محمصاني باللغة الانكليزية وكوستي زريق باللغة الفرنسية وعمر فروخ باللغة العربية •

السبت ١٣ كانون الاول ١٩٢٤

اقامت مساء اليوم جمعية زهرة الآداب حفلة مثلت فيها رواية « دوق بورغانديا » كنت أحد المساهمين في التمثيل •

الجمعة ٢ كانون الثاني ١٩٢٥

وصل اليوم الى بيروت الجنرال سراي من باريس على ظهر الباخرة « لوتس » فمنحت الجامعة عطلة إلى جميع الطلاب لاستقباله •

الاثنين ١٢ كانون الثاني ١٩٢٥

قامت اليوم في بيروت مظاهرات امام السراي وقد احتشد الناس وهم يعلنون عن عدم ثقتهم بالمجلس النيابي الذي اخذ على عاتقه انتخاب حاكم وطني للبنان الكبير وذلك حسب الوعد الذي قطعه المندوب السامي الجديد لسورية • ذهبت مع يوسف زينل لمشاهدة المظاهرات واذا بجمهرة من الناس محتشدة امام باب السراي وكان يخطب بهم رجل قصير القامة والكل يهتفون (ليسقط

المجلس النيابي) • وفي هذه الأثناء قدمت ثلة من الجنود ممتطين خيولهم وشاهرين سيوفهم فاخذوا يفرقون الناس ولكن الناس لم يعباوا بهم واستمروا في هتافاتهم • وكان اعضاء المجلس النيابي مصطفين على الشرفة • وكلما اراد احدهم ان يلقي كلمة على الجمهور المحتشد لاقناعهم واسكاتهم لم يجد من يصغي اليه حتى نهض خطيب من بين الجمهور ووجه كلامه الى اعضاء المجلس النيابي قائلا : « انتم لستم أعلى من طبقة الشعب فمن اراد ان يلقي علينا كلمة فما عليه الا ان ينزل من الشرفة ويقف بيننا لا فوق رؤوسنا • » فهتف له الجمهور واضطر احد أعضاء المجلس الى ان ينزل من الشرفة فحمله الناس على اكتافهم وتكلم محاولا اقناع الجمهور بما يرضيهم ولكنهم لم يعباوا به واخذوا يستمرون بهتافاتهم ، ثم أخذ الجنود يفرقون الناس وعدنا الى الجامعة •

الاثنين ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥

عقدت جمعية العروة الوثقى بعد ظهر اليوم جلستها الانتخابية فانتخب فريد زين‌الدين رئيسا لها ويوسف زينل نائبا للرئيس ومحيي‌الدين يوسف امين سر الجمعية واسكندر حريق امينا للصندوق وقد سحب محمد دشتي نفسه من الترشيح •

الاثنين ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥

وردني اليوم كتاب من الاخ فاضل الجمالي بعث لي فيه بعض الأبيات من الشعر من نظمه يصف فيها الطبيعة في حمانة •

الاربعاء ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٥

قام اليوم طلاب الصف الثاني العلمي بالكلية بمظاهرة احتجاجا على قرار الجامعة باستثناء طلاب الصف الثاني من امتياز الاكل خارج الجامعة • فتزعم هذه المظاهرة فريد زين‌الدين وحنيكاتي فوقف الاول بين المتظاهرين خطيبا ثم تلاه حنيكاتي وكانا يتكلمان باللغة الانكليزية • وقد قوبل كلامهما بالتصفيق الحاد ، ثم تقرر تعيين أربعة اشخاص من الطلاب لمراجعة العمدة بهذا الخصوص •

الخميس ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٥

عقدت الجمعية العراقية جلسة انتخب فيها عشرون عضوا ثانويون عهد اليهم انتخاب الرئيس واعضاء اللجنة الادارية وكنت احد هؤلاء الاعضاء الثانويين • وقد قرر في هذه الجلسة تخصيص مبلغ من صندوق الجمعية لاقامة مسابقة خطابية بين طلبة الصفوف الاعدادية من العراقيين • وقد القى ممتاز عارف كلمة في هذا الاجتماع ندد بالذين يدعون بالوطنية وهم ليسوا منها •

وكان السبب الذي حمل ممتاز عارف على ذلك انه تشكل حزبان بين طـلاب القسم الاعدادي وهما حزب محمد دشتي وحزب محيي الدين يوسف وكان كلام ممتاز عارف موجه الى جماعة حزب محمد دشتي . ثم تلاه حكمت أمين فالقى قصيدة تلقاها من احد اصدقائه في بغداد وانصرفت الجلسة .

الخميس ١٩ شباط ١٩٢٥

اقامت جمعية زهرة الآداب حفلة في منتدى وست هول كان المتكلمون فيها كل من السادة نجيب خلف والآنسة الاميرة نجلة بنت اللمع . وفي الفترات بين الخطباء عزفت آنسة من اقارب بنت اللمع على البيانو ، وكذلك عزفت انا على العود مع كنعان الخطيب الذي عزف على الناي فصفق لنا الحاضرون وطلبوا منا اعادة العزف فلبينا طلبهم . ثم قام المحامي نجيب خلف وتلا بيتا من الشعر يثني فيه على عزفنا فانس به الجميع .

السبت ٢١ شباط ١٩٢٥

كان مساء اليوم موعد حفلة المسابقة الخطابية التي اقامتها الجامعة والتي تبرع الامير خزعل امير المحمرة بجوائزها وكنت احد الخطباء المتبارين الذين اشتركوا في هذه المسابقة.(٥)

الاثنين ٢٣ شباط ١٩٢٥

عقدت جمعية العروة الوثقى جلستها الاولى للفصل الثاني من السنة المدرسية وقد دعي الدكتور محجوب المرافق لسعد زغلول في مصر فالقى محاضرة استمرت حوالي ساعتين فكان ياتي بنكات لطيفة بين آونة واخرى لازالة الملل، وهو خطيب مصقع كان كل كلامه ارتجاليا بدون تأهب له .

الثلاثاء ٢٤ شباط ١٩٢٥

نشرت صباح اليوم جريدة الاحرار البيروتية تفاصيل الحفلة التي اقامتها الجامعة نهار السبت الموافق ٢١ شباط ١٩٢٥ لاجراء المسابقة الخطابية الكبرى بين طلاب الكلية وقد قدم جوائزها الامير خزعل أمير المحمرة . وكنت احد المشاركين الناجحين في هذه المسابقة.(٦)

الخميس ٩ نيسان ١٩٢٥

غادرنا بيروت صباح اليوم انا ودرويش الحيدري ويحيى الباججي قاصدين دمشق في طريقنا الى بغداد لقضاء بضعة ايام فيها بمناسبة العطلة الربيعية ،

---

(٥) انظر التفاصيل عن هذه المباراة في الفقرة (٦)

(٦) انظر التفاصيل عن هذه المسابقة في الفقرة (٦) .

وما ان دخلنا دمشق حتى راينا الاهلين متالبين حول مقر الحكومة متظاهرين في الأزقة والاسواق وقد اضربوا عن العمل وقد قفلت الدكاكين عموما احتجاجا على قدوم بلفور الى دمشق فجرح افراد الشرطة ثلاثة من الاهلين لأن الاهلين اخذوا يضربون أفراد الشرطة بالحجارة مما اضطر افراد الشرطة ان يطلقوا الرصاص واستمر اطلاق الرصاص حوالي الساعة ٠

بغداد الاثنين ١٣ نيسان ١٩٢٥

ذهبنا صباح اليوم أنا ويوسف زينل واكرم زينل وحقي الطبقچلي الى جامعة آل البيت في المعظم بمناسبة زيارتنا لبغداد في العطلة وتفقدنا صفوفها فزرنا البناء الاول الذي تم انشاؤه مؤخرا وهو يتالف من شعبتين فقط شعبة علم‌الدين وفيها عشرون طالبا في عمائمهم وهم يشغلون الطابق الاسفل ، أما الطابق الأعلى فيشغله طلاب الهندسة وعددهم ستون طالبا فأخذنا مدير دائرة الهندسة ودار معنا في كل الصفوف وارانا أعمال الطلبة والمختبرات الخاصة بالطبيعيات والميكانيك وقد أعلمنا ان مجموع ما انفق على بناء هذه البناية ٦٦٥ الف روبية ٠ وقد شاهدنا اساسا لبناء حديث تتجه الانظار الى تشييد مرصد فلكي وشعبة للزراعة فيه ٠

بغداد الجمعة ١٧ نيسان ١٩٢٥

زرنا أنا وأكرم زينل اليوم بعد الظهر نادي حزب النهضة فقدم لنا الكاتب بطاقتين لدعوة حضور الحفلة التأبينية التي ستقام نهار الغد للشيخ مهدي الخالصي ٠

بغداد السبت ١٨ نيسان ١٩٢٥

ذهبت مساء اليوم انا ويحيى الپاچه‌چي الى دار حزب النهضة(٧) حيث أقيمت حفلة تأبينية للامام الخالصي فحضرها كبار القوم وكانت حفلة شائقة القى الزهاوي فيها قصيدة مؤثرة كما القى السيد مهدي القزويني والنعمان خطبتين ارتجاليتين بليغتين ٠

وهذا نص قصيدة الزهاوي قال :

فجعتنا حوادث الأيام	**بابي الشعب حجة الاسلام**
بمحب الاسلام بالمصلح الأكـ	**بر بالحبر بالعميد الهمام**
بعد أن فاض يملأ الارض خصبا	**غاص بحرا للرزية طامي**

---

(٧) تاسس حزب النهضة في شهر آب ١٩٢٢ اثر صدور قانون اجازة تاسيس الاحزاب في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ وكان هذا الحزب من المعارضين للحكومة .

وهوى من علوه في دوي — علم شامخ من الاعلام
كان فردا ورب فرد عظيم — هو قوم وليس كالأقوام
وحد الشعب في العراق جميعا — بعد خلف فيه وبعد انقسام
قد وجدنا شهر الصيام كئيبا — لنعي اتى بشهر الصيام
لا تلمني اذا بكيت من الحز — ن فاني امام خطب جسام
انتظرنا منك الرجوع ولكن — حال دون الرجوع عنو الحمام
انما الناس من وفاتك في يا — س عظيم ومنه في آلام
اضاعوا شيخا لهم اي شيخ — واماما في الشرع أي امام
تظن القمقام يصبح رهوا — بعد ريح هبت على القمقام
انت ذاك الميت الذي ليس يبلي — ذكره من تعاقب الأيام
كلما مرت العصور تباعاً — ذكرته العصور بالاعظام
قد مللت الخصام في هذه فاخ — ترت دارا ما ان بها من خصام
ايها الشيخ قد ذهبت كئيباً — ايها الشيخ فاذهبن بسلام
دميت بعدك الجروح فمن ذا — لجروح ملء القلوب روامي
وطن القوم بعد فقدك روض — ليس فيه الربيع بالبسام
انت يا حافر الضريح افدني — اي غمد اعددت للصمصام
ايها النعش كيف ترضى نزولا — في حفير وانت كالطود سامي
اذرفي يا عيون دمعاً الم تدخريه — للحادثات الجسام
ايها الموت قد اخذت ابا الشعب فمن ذا تركت للايتام ؟

❁ ■ ❁

حكمت بالشقاء فينا الليالي — والليالي شقيقة الأيام
تتوالى على البرايا والرزايا — كسهام يصبن اثر سهام
كثر الواردون حوض المنايا — انه منهل كثير الزحام
واذا لم يسر الى الناس هذا — الموت ساروا اليه بالاقدام
لم اشاهد كالموت رزاً عميماً — فيه غير الانام مثل الانام
اترى اننا من السيل ننجو — ان لجانا منه الى الأكام
خطف الموت الناس من كل جيل — مثل ذئب يعيث في الاغنام
« واذا لم يكن من الموت بد » — فلنقابل عبوسه بابتسام
ليست الدنيا تستحق لعمري — كل هذا الهوى وهذا الغرام
اغبرت ايام وجنت ليال — والليالي تجود في الاحكام
واذا كانت الحقيقة بيضاء — فماذا يفيد منا التعامي ؟
انا لم اشهد السعادة الا — مثل طيف يزورني في المنام

انها كانت تستزار ولكن   لا تزور الحسناء غير لمام
اي نفع من الحياة الشيخ   لم يعش الا نضو داء عقام
ومن الخرق ان نهاب المنايا   والمنايا للمرء ذات لزام

* ■ *

لا ابالي اذا كان موتي زؤاماً   حين يدنو ام كان غير زؤام
ما حياة امرىء سيهلك الا   حلم باطل من الاحلام
انما هذي الحياة لعمري   حيرة للعقول والافهام
لم تكن اكثر الحقائق الا   صوراً من رواسخ الاوهام
كم ظلام قد جاء بعد ضياء   وضياء جاء بعد ظلام
ليس يبقى من الوجود اخيراً   غير وجه المهيمن العلام(٨)

الحلة ـ الاثنين ٢٠ نيسان ١٩٢٥

ذهبت هذا اليوم الى الحلة الفيحاء مسقط راسي ووطن الصبا فصار قلبي يخفق حنينا وشوقا وانا اجتاز الشوارع في طريقي الى دارنا .

الحلة ـ الاربعاء ٢٢ نيسان ١٩٢٥

وصلتني صباح اليوم بطاقة دعوة من مدير معارف الحلة لحضور الحفلة التي ستقام مساءاً في المدرسة الابتدائية لسماع مسامرة الاميين وبمناسبة وجودي في العراق لقضاء العطلة الربيعية اعددت كلمة القيتها بهذه المناسبة كان موضوعها « الدراسة في الجامعة الامريكية »(٩) . وقد ختمت كلمتي بقولي: « بصفتي تلميذا وطالب علم وحبا بطالبي العلم من ابناء الفيحاء اتبرع بخمسين روبية لتنفق على تدريس الاميين بالطريقة التي يرتأيها حضرة المدير . » ثم اخذ الحاضرون يتبرعون كل حسب امكانيته وكان من بين الحاضرين رزوقي ابن صالح المهدي فقد تبرع بمائة وعشرين روبية .

بغداد ـ الخميس ٣٠ نيسان ١٩٢٥

ذهبت صباح اليوم مع محمد دشتي واكرم زينل لزيارة دار المعلمين وتفقدنا صفوفها واحدا واحدا فوجدنا ان هناك قسمين ، قسم داخلي وقسم خارجي ، وفي المدرسة قسم لاعداد معلمي مدارس القرى وقسم آخر لاعداد

---

(٨) نقلا من كتاب « ذكرى الخالصي » تاليف المرحوم عبدالرزاق امين ، بغداد ـ ١٩٢٥

(٩) نشرت في جريدة السياسة البغدادية بعدديها ليومي ٣٠ نيسان و٢ مايس ١٩٢٥ (انظر نص الكلمة في الفقرة ٧)

معلمي مدارس المدن ، ومن بين الصفوف التي زرناها الصف الذي كان يدرّس فيه متي عقراوي فاعجبنا باسلوب تدريسه وكان يدرّس علم النفس باللغة العربية ·

بغداد ـ السبت ٢ مايس ١٩٢٥

زرنا اليوم انا ومحمد دشتي واكرم رفعت المدرسة الامريكية للبنات في بغداد فقابلنا المديرة وهي عقيلة المستر ستاوت فرحبت بنا وكلمتنا عن المدرسة مفصلا ، فذكرت ان عدد الطالبات في مدرستها اربعون طالبة فيهن طالبة واحدة فقط مسلمة وهي من عائلة الحيدري · ولما كانت المدرسة تغلق ابوابها عادة يومي السبت والاحد فلم يتيسر لنا زيارة الصفوف ·

بغداد ـ ٣ مايس ١٩٢٥

غادرنا بغداد ظهر اليوم عائدين الى بيروت للالتحاق بالجامعة بعد انتهاء عطلتنا الربيعية فوصلنا الى بيروت في اليوم التالي ·

بيروت ـ بعد العودة الى الجامعة ـ الاربعاء ٦ مايس ١٩٢٥

تألب بعد ظهر اليوم طلاب الجامعة العرب بازاء الباب الرئيسية للجامعة وعلق كل منهم شريطا اسوداً على صدره حدادا على ذكرى الشهداء الاحد عشر الذين شنقهم جمال باشا السفاح في ساحة البرج ببيروت · فحمل الطلاب تصاوير الشهداء ، وراء حاملي اكاليل الزهور السوداء · فسرنا خلفهم مصطفين على طول الطريق العام فذهبنا توا الى ساحة الشهداء ، وهناك انضم الينا طلاب المدارس والكليات الاخرى مع اكاليلهم ، ثم سرنا جميعا قاصدين مقبرة الشهداء خارج البلدة فبلغناها بعد مسيرة نصف ساعة تقريبا · فتجمع الجمهور حول المقبرة وداخلها ثم وضعت منضدة في وسط الجماهير فوقف عليها رئيس الحفل جبران تويني صاحب جريدة الاحرار فالقى كلمة أعقبه عدد من الخطباء مشيدين ببطولة الشهداء ، وعظمة هذا اليوم وقدسيته · وكان من بين الخطباء خمسة من طلاب جامعتنا · وفي الختام القى فليكس فارس خطيب سورية المصقع كلمة بليغة في هذه المناسبة كان لها تأثير عميق في نفوس الحاضرين ·

بيروت ـ السبت ٩ مايس ١٩٢٥

كان مساء اليوم موعد حفلة المباراة الخطابية التي اقامتها جمعية زهرة الآداب في الجامعة ، وهي المباراة التي اشتركت فيها فكنت ثاني الخطباء المتبارين وموضوعي « التضحية اساس النهضة » وبعد أن ألقى الخطباء خطبهم اجتمعت لجنة المحكمين برئاسة عبدالرحيم بك قليلات وعضوية كل من الشيخ ابراهيم المنذر والشيخ يوسف زخريا في غرفة مجاورة ، وبعد عشر دقائق

تخللها عزف موسيقي وقف رئيس اللجنة واذاع نتيجة الحكم وهي فوزي بالجائزة الاولى وفوز أكرم زعيتر بالثانية وفوآد العيد بالثالثة ٠ ثم انفضت الجلسة فاقبل أكثر الحاضرين بتهنئتي على فوزي بالجائزة الاولى ، وقد صافحني الاستاذ انيس الخوري مهنئا اياي وكذلك الاساتذة والزملاء ٠(١٠)

الاحد ٢٤ مايس ١٩٢٥

القى اليوم الرئيس دوج رئيس الجامعة خطابا في الكنيسة حضر لسماعه جميع الطلاب والاساتذة وذلك بمناسبة عودته من جولة في الولايات المتحدة الامريكية وفي اوروبا ، فاشار الرئيس الى التطور والتقدم في مسيرة الحضارة الانسانية واخذ يشرح لنا المكتشفات الحديثة ومنها الراديوم(١١) الذي اخترع في الولايات المتحدة الامريكية فذكر ان خطاب رئيس الجمهورية الامريكية اصبح نتيجة هذا الاكتشاف يسمع في كل انحاء الولايات المتحدة ، شمالها وجنوبها ، شرقها وغربها ، يسمعه الجميع ، واضاف انه هو نفسه تكلم بالراديوم عن احوال الشرق فكان يسمعه الناس في كل انحاء امريكا ٠

الاثنين ٢٥ مايس ١٩٢٥

عقدت جمعية العروة الوثقى مساء اليوم جلسة خطابية يلقي فيها الاعضاء خطبهم ولما كنت احد الذين لم يلقوا كلمة بعد فقد اعددت خطابا موجزا بعنوان « هل توافق على اشتراك الطلبة في السياسة ؟ » وهذا بعض ما ورد فيه :

ان الواجب ايها الاخوة يقضي على كل منا أن يكون له نصيب وافر في معرفة شؤون بلاده وان يعنى بكل ما يتعلق بها من شؤون سياسية واقتصادية وتاريخية واجتماعية ، ولكن هناك يعترضنا سؤال متى وكيف نشترك بهذه الفعاليات بشكل جدي ؟ فهل نشترك ونحن لا نزال في عهد حياتنا المدرسية بين جدران دار التلمذة ؟ ان واجباتنا كثيرة ولكن لكل واجب مكان ولكل عمل مقام ٠ ان حياة التلمذة ان هي الا أيام معدودات علينا أن نكرسها في تحصيل العلم لكي نبني اساسا قويا لمعترك حياتنا في المستقبل فاذا كان ذلك الاساس ركيكا خسرنا أعظم ما نملكه في الحياة ٠ هي الايام التي تفتح فيها زهرة الحياة وريقاتها لتنشر مساعينا المدرسية في وسطها لقاح العلم الحقيقي فتلتقح وتثمر ثمرة ناضجة تعم فائدتها على الجميع ٠ هي حقبة سنوات من حياتنا علينا ان نركز فيها على الهدف الذي اتينا الى هذه الدار من اجله وهو تحصيل العلم

---

(١٠) انظر التفاصيل عن هذه المباراة في الفقرة (٨)

(١١) هكذا ورد اسم الراديو في المفكرة مما يدل على ان الراديو كان يسمى بهذا الاسم في اول ظهوره .

والمعرفة . كيف لا وهي فرصة العمر فرصة ثمينة لا تتكرر في حياة الانسان وقد نندم فيما اذا لم نستغلها لتحقيق ذلك الهدف حيث لا ينفع الندم .. فلنوجه عنايتنا ولنحصر اهتمامنا في تحصيل العلم فندرس سير عظماء الرجال وتاريخ نهضات الشعوب حتى اذا ما خرجنا الى معترك الحياة العملية سقينا تلك المعرفة من منهل الاختبار فنعمل على اسعاد وطننا فعلا لا قولا ، واذ ذاك نكون قد حققنا الهدف الذي نتوخاه من العلم في خدمة الوطن والسلام عليكم.

السبت ٣٠ مايس ١٩٢٥

اقامت جمعية تهذيب الشبيبة السورية مساء يوم ٣٠ مايس ١٩٢٥ حفلة كبرى في منتدى وست في الجامعة الامريكية حضرها جمع غفير من ارباب العلم نساءا ورجالا لما يتمتع به خطباء هذه الحفلة من شهرة في الاوساط العلمية والأدبية . فقد دعت الجمعية الدكتور نيقولا فياض وهو أحد خريجي الجامعة الامريكية والآنسة مي ليكونا خطيبي الحفلة وقد خصص ريعها لينفق على تعليم الشبيبة السورية . وما كادت تحل الساعة الثامنة مساءاً حتى اخذ الناس يتهافتون الى الجامعة ، ولم يمض وقت طويل حتى غصت القاعة بالحضور ، ثم دخل الخطباء ورئيس الحفلة الاستاذ نجيب بك سرسق فجلس كل منهم في المحل المعد له . افتتح الجلسة احد اعضاء الجمعية بالقاء كلمة وجيزة عن الجمعية وغاياتها ، ثم تلاه الخطيب المفوّه الدكتور نيقولا فياض فالقى خطابه وموضوعه « انا وانتم » فاخذ يغرد على اغصان المنبر ابياتا رقيقة مستهلا خطابه ببضعة أبيات مطلعها :

يا مي هذه ساعة الميعاد   فسلي فؤادك عن خفوق فؤادي

فكان لكلامه صدى عميق في نفوس الحاضرين حماساً للوحدة وحنيناً للاخوة البشرية والتسامح الديني فانه وايم الحق ابلغ خطيب وقد كان كل كلامه ارتجاليا . ثم تلاه الاستاذ أنيس الخوري والقى قصيدة رنانة ، واعقبته اميرة الكتاب فاعتلت المنبر وقد ادهشت الحاضرين ببلاغتها وفصاحتها كما ادهشتهم في اسلوب القاء خطابها . وقد تخلل الحفلة انغام موسيقية وأناشيد شرقية قام بها الاستاذ عمر زعني اشهر المغنين في بيروت .

الجمعة ٥ حزيران ١٩٢٥

عقدت الجمعية العراقية هذا اليوم اجتماعا لآخر مرة في هذه السنة الدراسية (١٩٢٤-١٩٢٥) وكانت جلسة انتخابات فانتخب فاضل الجمالي رئيسا للجمعية. وفي هذه الاثناء قام احد الاعضاء وطلب من رئيس الجلسة ان يدعوني لاعزف قليلا على العود قبل سفري لامريكا ليسمعوا مني آخر قطعة على العود فلبيت الطلب وعزفت قطعة (تقسيم) فطرب لها الحاضرون وسط تصفيق .

الجمعة ١٩ حزيران ١٩٢٥

انتهيت اليوم من الامتحانات في الجامعة لسنة ١٩٢٤-١٩٢٥ بنجاح وقد قررت باذن الله السفر الى امريكا في ٨ تموز ١٩٢٥ ٠

الاحد ٥ تموز ١٩٢٥

طلعت اليوم الى الجبل فذهبت الى حمانة حيث قضيت يومين في زيارة لفاضل الجمالي وعبدالجبار الجلبي ٠

الثلاثاء ٧ تموز ١٩٢٥

رسالتي من بيروت الى يوسف زينل قبيل سفري الى امريكا اودع فيها اخواني العراقيين ٠

اخي :

ها هي الساعة قد دنت بدنو الرحيل فانزل دمعة حارة على سطور عجالتي هذه وهي رسالة الوداع ، اذ لم يبق الا ساعات معدودات لسفري وقد اخذت اشعر بالم الفراق فغمرتني حرارة الشوق وهي تحرق فوآدي وتمزق اوتار قلبي ، ولا بدع فاني سافارق أعز من عرفت في الحياة ، سأفارق رفاق الحياة بل سافارق أخوة سوف تبقى حلاوة العيش وإياهم على شفتي الى الابد ٠ والله لقد عز علي فراقكم كثيرا وما بعثت اليك هذه السطور الا لأخفف عن غمي ولأسطر على جبينك قبلات الوداع ٠ ولا يسعنى الآن وانا على وشك مغادرة بر لبنان لاستقل الباخرة الا أن ابتهل اليه تعالى ان يظللك تحت راية الفوز والفلاح مقرونين باسعد العيش ٠ سلامي الى الاخوان جميعا واقول في الختام : الوداع يا من وددت في الحياة من رفيق او نسيب من بلاد او ديار ، الوداع الى يوم الملتقى الذي يجمعنا كرة أخرى للعمل تحت راية الوحدة في الوطن العزيز ان شاء الله ودم معززا لاخيك المشتاق ٠

ومن زملائي غير العراقيين الذين اتذكرهم : قسطنطين زريق ، عمر فروخ ، شارل مالك ، فريد زين‌الدين ، اكرم زعيتر ، كنعان خطيب ، ومن اساتذتي: فيليب حتي ، انيس الخوري ، أمين الحسن ٠

الباب الثالث - دراستي في امريكا

١ - مغادرتي بيروت وسفري الى امريكا ٢ - الجمعية العراقية في بيروت تعتبر عضوية اعضائها في الخارج مستمرة ٣ - انقسام بين الطلاب العراقيين في الجامعة الامريكية ببيروت ٤ - المراة في امريكا وفي العالم العربي ٥ - دراستي في امريكا ٦ - الامس واليوم ! ٧ - مغامرات غرامية

١ - مغادرتي بيروت وسفري الى امريكا

غادرت بيروت يوم ٨ تموز ١٩٢٥ (اي قبل خمسين سنة بالضبط) متوجها الى امريكا لمواصلة دراستي العالية في كلية تكساس الزراعية الميكانيكية (Agricultural and Mechanical College of Texas) التي سبق ان حصلت منها على قبولي فيها معترفة بدراستي في الجامعة الامريكية في بيروت . وكان سفري على ظهر الباخرة الامريكية « براكا » (Braga) ، وهي باخرة حمل خاصة بنقل البضائع بين مختلف الموانىء في البحر المتوسط والبحر الاسود وبين الولايات المتحدة الامريكية ، الا انه كان في الباخرة جناح خاص لنقل الركاب عليها بعدد محدود وبدرجة واحدة ممتازة تعادل الدرجة الاولى في البواخر الاخرى . وهكذافقد مررنا اولا بحيفا ، ثم باستامبول ، فكونستانزا في رومانيا على البحر الاسود ، ثم الرجوع الى البحر المتوسط فمررنا بازمير واثينا ومسينا وبالرمو والجيرز (الجزائر) وملاكا في اسبانيا . فكانت الباخرة تقف في كل من هذه الموانىء لتفريغ وشحن البضائع مما يتيح الفرصة للركاب أن يزوروا هذه الموانىء ، فيتجولون فيها ثم يعودون الى الباخرة ليلا للمبيت في غرفهم الخاصة . وهكذا فقد زرت هذه الاماكن كلها والتي لا أزال أحمل ذكريات جميلة عنها ، ومن ملاكا آخر ميناء من موانىء البحر المتوسط اجتازت الباخرة مضيق جبل طارق ماخرة عباب الاوقيانوس الاتلانتيكي في طريقها الى نيويورك فقطعته في بضعة ايام هبت علينا في خلالها عاصفة هوجاء اقعدتنا عن اية حركة ولم يجرا احد مغادرة فراش النوم، وقد دامت هذه العاصفة يومين متواصلين ، ثم هدأ البحر فواصلنا السير حتى وصلنا الى نيويورك صباح يوم ٦ آب ١٩٢٥ ، وبذلك تكون سفرتنا قد استغرقت حوالي الشهر كانت أجمل سفرة قمت بها في حياتي رغم الازعاج الذي اعترضنا بهبوب العاصفة .

وما كاد يطل الركاب على مرفأ نيويورك المتسع حتى ظهر تمثال الحرية شامخا وهو على هيئة امراة تبسط ذراعيها مرحبة باولادها وهي تحمل في يمناها المرتفعة مشعلا ينير سبيلهم الى بلاد الحرية . وهذا التمثال مع مباني نيويورك الشاهقة التي تناطح السحاب هي اول ما يحيي المسافر الى هذه المدينة

العظيمة . وقد اقيم التمثال على احدى الجـزر الصغيرة التي تحتضن مرفأ نيويورك . وقصة هذا التمثال هي رواية الصـداقة بين فرنسـا والولايات المتحدة التي ترجع الى مطلع العقد الثامن من القرن الثامن عشر ، وبمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة عام على اعلان الاستقلال الامريكي (اي سنة ١٨٨٦م) اراد الفرنسيون أن يكرموا اختهم الجمهورية الامريكية فيعبروا عن هذا التكريم في هدية رمزية يهديها الشعب الفرنسي الى الولايات المتحدة تكون مثالا لروابط الصداقة بين البلادين ، فبعثوا بالمسيو اغسط برتولدي الفنان الفرنسي الشهير الى امريكا ليتفق مع المسؤولين فيها على اختيار الهدية . فعرض عليهم اقتراحا يرمي الى وضع تصميم لتمثال ينصب على احدى الجزر الصغيرة في مدخل مرفأ نيويورك فوافقوا عليه وتقرر ان ينفق الشعب الفرنسي على صنع التمثـال وينفق الامريكيون على صنع القاعدة التي يقوم عليها التمثال ، وعلى اثر ذلك اتخذت الاجراءات اللازمة لتنفيذ المشروع على هذا الاساس حتى أنجز العمـل وفق التصميم الموضوع له .

أ ـ تمثال الحـرية

وتمثال الحرية هذا أكبر التماثيل في المسكونة واضخمها ، هيكله مصنوع من الحـديد ومغطى بصفائح البرونز المطروق ، وهو مؤلف من ثلاث مائة قطعة من البرونز تختلف مساحاتها بين ذراع مربعة وثلاث أذرع مربعة ، ولا يزيد ثخن احداها على ربع بوصة ، ومع ذلك فوزن التمثـال ٢٥٠ طنا . وعلـو التمثال من اخمص قدميه الى راس المشعال ١٥١ قدما ، وطول يده القابضـة على المشعال ١٦ قدما ونصف قدم ، اما القاعدة فارتفاعها ١٥٤ قدما ، وبذلك يكون الارتفاع الكلي للتمثال مع قاعدته ٣٠٥ اقدام . هذا مع العلم ان اربعين شخصا يستطيعون الوقوف في داخل رأس التمثال واثنى عشر شخصا حول المشعال . وهذا التمثال مع مباني نيويورك الشاهقة التي تناطح السـحاب بارتفاعها هي أول ما يحيي القادم الى هذه المدينة العظيمة ـ كما تقدم ـ .

ب ـ جزيرة الس

وقفت بنا الباخرة امام جزيرة الس (Elis Island) التي تهلع لذكرها قلوب المهاجرين الى امريكا لما يلقاه الكثيرون فيها من مرارة معاملات التحقيق والتدقيق والفحص الطبي قبل ان يؤذن لهم بالدخول الى أرض الميعاد أو قبل ان يقرر اولو الامر بارجاعهم على اعقابهم الى بلادهم . ولما كنت مـن صنف الاجانب فكان نصيبي ان انزل في الجزيرة مع بقية الاجانب قبل أن يسـمح لي بالذهاب الى نيويورك . فقضيت ليلة واحدة في الجزيرة ، وبعد أن خضعت للفحص الطبي مجددا على الرغم من ان ذلك اجري في بيروت واتممت معاملات السفر المطلوبة غادرت الجزيرة يوم ٧ آب ١٩٢٥ ، وقد صادف ان ضابطا

امريكيا لمحني واقفا مع امتعتي افتش عن واسطة تنقلني الى نيويورك فسالني عن بلدي قلت له اني طالب عراقي قدمت الى امريكا للدخول في احدى الجامعات في تكساس ، فسالني هل العراق ايران فاجبته ان العـــراق هو بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) فرحب بي وتبرع بان يأخذني معه الى نيويورك ، فحمل معي بعض امتعتي وركبنا الزورق الذي كان ينتظره على الساحل ومن ثم نزلنا الى بر نيويورك حيث كانت سيارة تنتظره على الرصيف . وهنا سالني هل هناك فندق معين ترغب في النزول فيه فاجبته نعم اني ارغب في النزول في فندق لبنان في شارع واشنطن فاخذني معه الى الفندق وتركني فودعته شــاكرا له فضله . وشارع واشنطن هذا من اوله الى آخره شارع سوري لبنــاني على الغالب فاذا سرت فيه مستعرضا أبنيته واسواقه ومطاعمه ومعروضاته المتنوعة تشعر وكأنك في حي من احياء لبنان .

ج ـ نيويورك بلدة ناطحات السحاب

بقيت في نيويورك خمس ليالي دفعت دولارا واحدا عن كل ليلة (منــام فقط) في غرفة خصوصية . ونيويورك اشتهرت بمبانيها التي ضربت الرقم القياسي في ارتفاعها حتى صارت تعرف بمدينة ناطحات السحاب ، ونيويـورك اوسع المدن في العالم مساحة وأكثفها سكانا وأعظمها غنى وثروة ، فيها اعلى المباني واطول الجسور المعلقة وأضخمها وأفخم الفنادق ، ووسائل الانتقال تمتد فيها تحت الارض وتحت الماء وفوق الارض وفي الهواء فتنقل الملايين من الناس سنويا . وازدحام السكان في بقعة ضيقة من الارض كان الداعي لابتكار المباني الشاهقة والوصول بفن المباني الى مرتبة عليا من الاتقـان والكمال ، والذي ساعد على التقدم في هذا المضمار ان نيويورك قائمة على طبقة عميقة جـدا من الصخور ، فالاساس الثابت الذي تقوم عليه هذه المباني الشامخة يجب ان تقوم على صخر صلد عمقه يزيد على مائة قدم على ان تبنى المسافة بين سطح الارض والصخر على نسق الابراج الضخمة المتينة التي يبنيها صانعو الجســور اي بالكونكريت المسلح . والبناية الواحدة من هذه البنايات مدينة مصغرة فيهـا من الروافع ما يزيد على اربعين او خمسين رافعة تقسم الى قسمين ، روافــع سريعة بلا وقوف وأخرى تقف عند كل دور . وتجد في هذه البناية المطاعـم والمخازن والمكاتب ودوائر البريد والتلفون والشركات والاطبـاء والمحـامين والخياطين والحلاقين ومساحي الاحذية وبائعي الســجاير الخ.. واجمـالا ان الساكن أو المشتغل في بناية من هذه الابنية لا يحتاج الى الخروج منها لقضـاء حاجة من حاجاته بل يستطيع ان يقضيها فيها . ومن اهم هذه البنايات بنايـة ولورث المؤلفة من ٥٥ دورا عدا البرج ارتفاعها ٧٩٢ قدما وقد بلغت نفقــات بنائها نحو ثلاثة ملايين جنيه وفيها مكــاتب تســع ١٤ الف نفس بناها رجل عصامي يدعى ولورث جمع ثروته من مخازن لا يباع فيها شيء اكثر من بضــع

سنتات(١) ثم بناية « الاكويتابل » وهي تتالف من ٤٣ دورا وارتفاعها ٥٤٥ قدما يشتغل فيها يوميا ١٥ الف نفس وفيها ٦١ رافعة وقد بلغت نفقات بنائها وثمن الارض نحو ٦ ملايين جنيه ، ثم بناية البلدية مؤلفة من ٣٤ دورا علوها ٥٣٩ قدما وعمق اساسها ١٣٠ قدما ، وقد بلغت نفقات بنائها مليوني جنيه • وهناك مبان كبيرة تتالف من عشرين دورا او اكثر •

د ـ الوصول الى الكلية

غادرت مدينة نيويورك يوم ١١ آب ١٩٢٥ بعد ان تجولت فيها وزرت المواقع المهمة فيها قاصدا الكلية في ولاية تكساس احدى الولايات الامريكية الجنوبية عن طريق هيوستن ، فركبت القطار السريع وكانت أجرة السفر مع أجرة سرير منام (Pullman) ٨٥ دولارا ، فوصلت الى الكلية يوم ١٢ آب بعد ان توقفت بعض الوقت في هيوستن • والكلية بلدة قائمة بذاتها بما فيها من مبان ومرافق عامة وخاصة يقف القطار عندها في محطة خاصة بها تدعى « محطة الكلية » (College Station) وعنوان الكلية « كلية تكساس الزراعية الميكانيكية » (Agricultural and Mechanical College of Texas)

وتنفق الحكومة على الكلية والنظام فيها نظام عسكري يدرب فيها الطلاب على مختلف الفنون العسكرية بالاضافة الى منهج الدراسة في الكلية ويتخرج الطالب فيها بعد اكماله سني الدراسة الزراعية أو الهندسية ضابطا في الجيش الامريكي برتبة ملازم ويتعهد خطيا أن يخدم في الجيش الامريكي في حالة الحرب او عند الضرورة لاسباب أخرى • وفي كل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية كلية حكومية من هذا النوع • هذا مع العلم ان التدريس في هذه الكليات مجاني وتنفق الحكومة على جميع ما يحتاجه الطالب من منام ومأكل وملبس • وشروط القبول فيها لا تختلف عن الشروط التي تعمل بها بقية الكليات والجامعات في الولايات المتحدة الامريكية • وهكذا تعد امريكا آلافا من ضباط الاحتياط في مختلف فروع الاختصاص العسكري في كل سنة تستدعيهم للخدمة عند الحاجة • وتقبل هذه الكليات عادة بعض الطلاب الاجانب على نفقتها أيضا اسوة ببقية الطلاب الامريكان ، وفي هذه الحالة يكون الطلاب الاجانب مخيرين بين ان يلتحقوا بالقسم العسكري أو القسم المدني وللطلاب المدنيين بناية خاصة بهم ومطعمهم منعزل عن مطعم الطلاب الخاضعين للنظام العسكري • واذا رغب الطالب الاجنبي في ان يلتحق بالقسم العسكري فهو غير ملزم عند تخرجه في الكلية باعطاء تعهد ان يخدم في الجيش الامريكي عند الحاجة • ولا تقبل الكلية

---

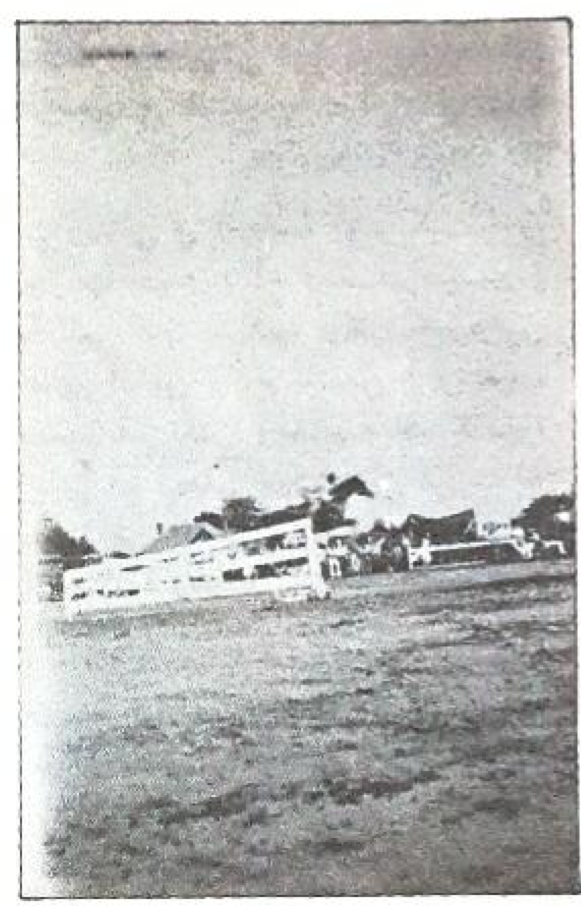
(١) ان اعلى بناية من بنايات ناطحات السحاب في الوقت الحاضر هي بناية « امباير ستيت » يبلغ ارتفاعها ١٢٥٠ قدما فوق سطح الشارع .

الزنوج فيها لان الزنوج محذور عليهم الاختلاط مع البيض فهم معزولون عنهم في الاماكن العامة ولا يتعامل الابيض مع الزنجي في البيع والشراء ، والكلية خاصة بالذكور فقط .

وكان في هذه الكلية طالب لبناني من زملائي في الجامعة الامريكية في بيروت كان قد سبقني الى هذه الكلية هو جودت حيدر (أخ رستم حيدر) فالتقيت به في الكلية وسكنت معه في البناية التي كان يسكنها وكان خير رفيق لي في حياتي الجديدة لما كان يتسم به من سمو الخلق وكرم النفس . والعرب في غربتهم خارج البلاد العربية يتعاطفون بعضهم مع بعض وبخاصة اذا كانوا طلابا في جامعة او كلية واحدة . ومن ذكرياتي مع زميلي جودت اني عبرت له عن رغبتي في التكلم على التلفون اذ لم يسبق لي التكلم عليه فذهبت الى احدى البنايات وطلبني من البناية التي كنا نسكنها وهكذا تمت مكالمتي على التلفون للمرة الاولى في حياتي .

وفي ٢ ايلول ١٩٢٥ وصل الى الكلية محمود فتاح من طلابنا العراقيين وقد التحق بهذه الكلية ، فكان سروري به عظيما اذ قضينا كل النهار في الحديث الشجي حتى معظم ساعات الليل . وقد ذهبت معه الى « كالفستون » (Galveston) للسبح في البحر وكان السبح مختلطا من الجنسين ، فكان هذا المشهد مثيرا وغريبا اذ لم يسبق لي ان اعتدته من قبل الا انه لم يمض وقت طويل حتى اعتدته فأصبح امرا اعتياديا .

ولما فتحت الكلية أبوابها واخذ الطلاب يسجلون اسماءهم ويختارون مواضيع دراستهم كان عليّ ان اقرر موضوع التخصص فكانت رغبتي منصبة في البداية على التخصص في الزراعة لشغفي بالحياة الزراعية التي عشتها في الوطن ايام الصبا . الا اني وجدت بعد ذلك ان التخصص في الهندسة المدنية التي تعنى بهندسة الري ضمن مواضيعها الدراسية اهم من الزراعة بالنسبة لاحتياجات العراق في نهضته الحديثة فتحولت الى الهندسة المدنية . بقي عليّ ان اقرر هل التحق بالقسم العسكري او المدني ، فقررت ان اخذ بالشق الاول اي القسم العسكري مع اني كنت أعلم بما تنطوي عليه الحياة الخاضعة للنظام العسكري من المشقة والخشونة لاني كنت أشعر ان المرء لا يمكن ان يدرس المجتمع الا بالاندماج والاختلاط والمشاركة في جميع فعالياته . ولما كنت احسن ركوب الخيل وشغفي بها منذ الصغر قررت أن أنخرط في سلك الخيالة فانتميت الى فرقة الخيالة (Cavalery Troop A) . والعادة هي أن يختار الطالب الرفيق الذي يشاركه في غرفته واقصى ما تستوعبه هذه الغرف ثلاثة او اربعة أسرة لاربعة طلاب ، فصادف ان اقترح عليّ احد طلاب صفي اسمه (G. Taylor) وهو في قسم الخيالة ايضا ان اشاركه في الغرفة التي يسكنها



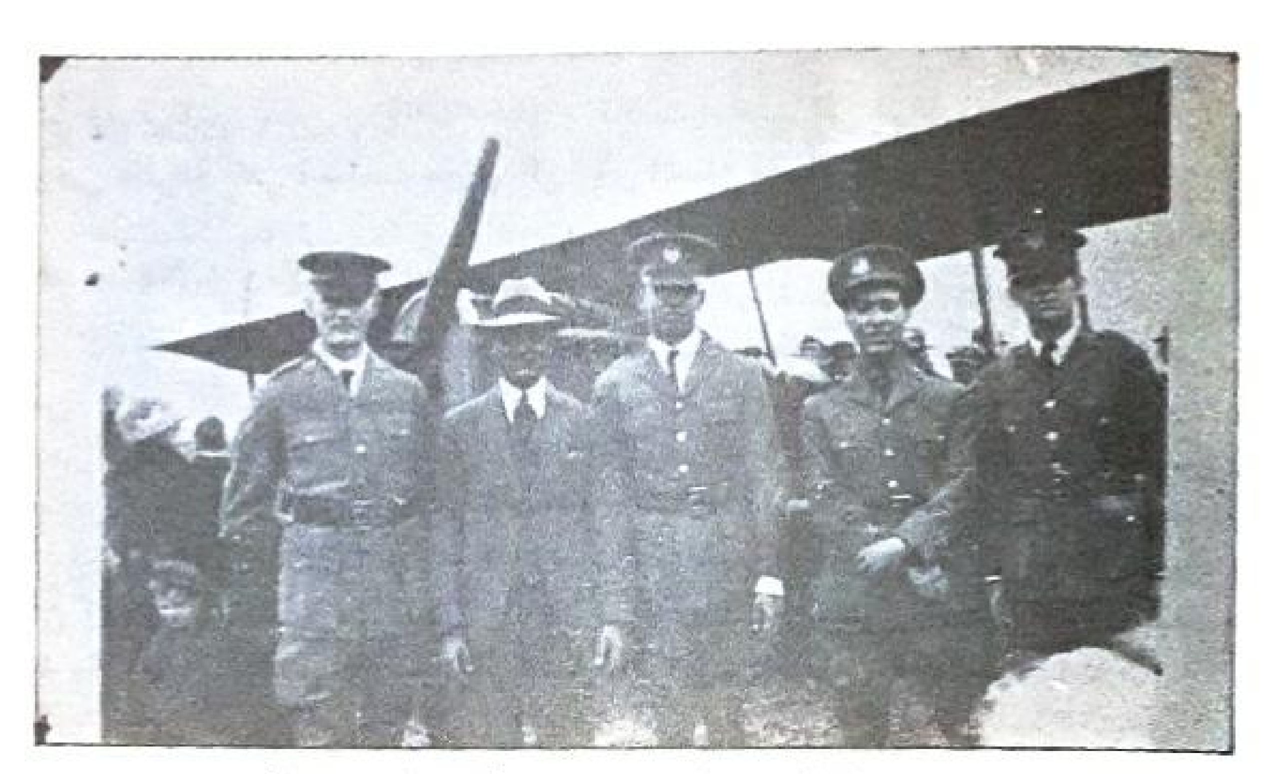
التصوير رقم (٣٧) ـ المؤلف يمارس تمارين القفز فوق الحواجز على ظهر الخيل سنة ١٩٢٦ . (انظر الفقرة ١ د)



التصوير رقم (٣٨) المؤلف في فرقة الخيالة . (انظر الفقرة ١ د)



التصوير رقم (٢٩) ـ المؤلف وهو احد طلاب الصفوف العليا يضرب أحد طلاب الصف الاول (انظر الفقرة ١ هـ)



التصوير رقم (٤٠) ـ المؤلف وهو الثاني من اليمين أخذت في ٢٨ شباط ١٩٢٦ ..
(انظر الفقرة ١ هـ)



التصوير رقم (٤١) ـ المؤلف وهو يحمل على ظهره امتعته في جولته في المدن الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية
(انظر الفقرة ١ و)

مع زميل آخر يدعى (Kreager) فنقلت امتعتي الى غرفة زميليّ المذكورين وهي الغرفة التي اصبحت مقري الى آخر السنة الدراسية .

هـ ـ تقاليد وعادات غريبة

وفي الكلية تقاليد وعادات غريبة يمارسها الطلاب ويتمسكون بها كجزء من تراث الكلية على الرغم من ان بعضها ممنوع منعا باتا بموجب قانون الكلية. ومن بعض التقاليد المسموح بها ان الطالب الذي يدخل الكلية للمرة الاولى يعامل في السنة الاولى من وجوده في الكلية معاملة خاصة فيطلق عليه اسم « فيش » (Fish) أي سمكة وعليه أن يضع طوق أبيض في زنده لتمييزه عن زملائه من الصفوف العليا . وتقع على الطالب (الفيش) مسؤوليات وواجبات تشبه علاقة الجندي بالضابط في صفوف الجيش ، ومن هذه الواجبات :

١ ـ عليه أن يخاطب زملاءه من طلاب الصفوف العليا باستعمال كلمة «سيدي».
٢ ـ عليه أن يطيع أمر كل طالب من طلاب الصفوف العليا .
٣ ـ عليه أن يعرّف نفسه على أي طالب من طلاب الصفوف العليا يلاقيه بقوله : « أني (فيش) فلان . »

٤ ـ عليه أن يكون في داخل البناية وقت الفراغ من الدرس وان يكون منتبها حتى اذا ما نادى أحد طلاب الصفوف العليا يطلب القيام بخدمة ما عليه ان يسرع اليه وتقع عادة الخدمة المطلوبة على رأس آخر من يلبي النداء .
٥ ـ عليه أن يكنس وينظف الغرف العائدة الى الصفوف العليا .

٦ ـ عليه أن لا يتناول شيئا على مائدة الطعام الا بعد أن يقدمه الى زميله من الصفوف العليا وعليه أن يملأ له قدح الماء ويقدم له القهوة أو الشاي.

ومن بعض التقاليد أيضا أن هناك مصطلحات خاصة غريبة تستعمل لكل نوع من أنواع المأكولات والمشروبات التي تقدم على مائدة الطعام يجب على الطالب الذي يدخل الى الكلية لاول مرة أن يتعلمها . فيطلق مثلا على الحليب (Milk) مصطلح « بقرة » (Cow) ، والماء (Water) مصطلح « عصير السماء » (Sky Juice) ، والسكر (Sugar) مصطلح « تراب المنشار » (Saw Dust) ومعجون الطماطة (Tomato Juice) مصطلح « دم » (Blood) والمكرونة (Maacarona) مصطلح « دود » (Worms) والسلاطة (Salad) مصطلح « ارنب » (Rabbit) والخبز (Bread) مصطلح « خشب المدفع » (Gun Wooden) واللحم (Meat) مصطلح « رقبة الثور » (Bullneck) الخ. وكنت

في بادىء الامر ادون هذه المصطلحات الغريبة على ورقة لاستعين بها اذا صادف ان نسيت بعضها ٠

والتقليد المنوع ممارسته منعا باتا وفق قانون المدرسة هو التقليد المنطوي على ضرب طلاب الصفوف العليا للطلاب (الفيش) ولكن مع ذلك كانت هذه الاعمال تمارس فعلا ، وكان على (الفيش) ان يحضر العصا وينحني لتلقي الضربات الشديدة من غير تذمر ، وهذه العملية تسمى (Hazing) وبالطبع كان الضرب يمارس في الخفاء وعلى (الفيش) ان لا يبوح به للسلطات واذا باح به قاطعه جميع الطلاب ٠ وقد صادف ان فاجا احد الضباط بناية من بنايات الكلية بزيارة من غير سبق انذار فوجد في احدى الغرف بعض طلاب الصفوف العليا يمارسون عملية ال (Hazing) فأخذ اسماء جميع من كانوا في الغرفة وأجريت محاكمة طلاب الصفوف العليا بعد فحص مقاعد (الفيش) الذين أصروا على عدم الاعتراف بشيء مما جرى او ذكر أسماء الطلاب الذين قاموا بالضرب ٠ ومع ذلك حكمت المحكمة بطرد كل طلاب الصفوف العليا الذين كانوا في الغرفة وعددهم ١١ طالبا وذلك لفصل واحد من فصول السنة الدراسية ٠ واستعد الطلاب للقيام بمظاهرة احتجاج على طردهم ، ولكن الطلاب المطرودين منعوهم من القيام بأي عمل من شأنه أن يؤدي بالحاق الضرر بهم ٠ فتجمع كل الطلاب لتوديعهم والحزن يخيم على الوجوه حتى أخذ بعضهم يبكي من شدة الغيظ والغم ٠ هذا مع العلم ان أكثر الطلاب المطرودين عادوا الى الكلية بعد انتهاء الفصل الاول من دراسة الكلية فاستقبلوا استقبالا حارا ٠

وعلى الرغم من الصعوبات والمشاق التي كانت ترافق حياة الطالب العسكري في سنته الاولى ، واظبت على دراستي باذلا أقصى الجهود حتى أتممت الفصل الاول من دراسة الكلية بتفوق ، وهذا نص ما دونته في مفكرتي ليوم الاحد المصادف ٢٨ شباط ١٩٢٦ :

« ذهبت اليوم بعد الظهر مع بعض الزملاء الى خارج الكلية حيث احتشد جمع غفير من الناس في مساحة واسعة وكانت هناك طائرات صغيرة يدفع الراغب في ركوب الطائرة دولارا واحدا فيطير في الجو حول الكلية مدة حوالي عشر دقائق ، فركبت احدى هذه الطائرات وطرنا فوق الكلية حيث كانت تشاهد كل ابنيتها ومرافقها من الجو ٠ وكانت هذه هي المرة الاولى التي اركب فيها طائرة في حياتي (انظر التصوير رقم ٤٠) ٠ وبعد عودتنا الى الكلية عرجت الى البناية العمومية حيث تلصق الاعلانات فوجدت لائحة تحمل اسماء الذين كانوا من الممتازين في مختلف فروع الدراسة للفصل الاول ٠ قرات وقرات كثيرا من الاسماء واذا باسمي كان مدونا في فرع الهندسة المدنية ، فكان فرحي شديدا ولا سيما عندما قرات اسم البلدة والقطر العراقي اللذين امثلهما هنا »٠

و ـ جولة في الانحاء الجنوبية من الولايات المتحدة

وفي آخر السنة الدراسية نجحت في الامتحان السنوي بتفوق ايضا ، ثم انتهزت فرصة عطلة الصيف فقمت أنا وزميل من زملاء صفي بجولة في الانحاء الجنوبية من الولايات المتحدة ، وقد اتفقنا على ان نقوم بهذه الجولة دون ان نتحمل مصاريف النقل والاقامة في الفنادق . فاستعرنا من مخزن معدات الجيش في الكلية خيمة صغيرة وادوات طبخ وتعاونا انا وصاحبي في نقل أمتعتنا على ظهرينا فكنا نقف على الطريق العام ونؤشر الى السيارات المارة فكانوا ينقلوننا معهم برحابة صدر الى البلدة التي كنا نقصدها خاصة عندما يروننا في لباسنا العسكري . وهكذا تجولنا في أكثر مدن الولايات الجنوبية ، فكنا ننصب خيمتنا خارج البلدة ونذهب الى البلدة تاركين امتعتنا في الخيمة فنقضي بعض الوقت لتناول طعام العشاء والتجول في أنحاء المدينة حتى وقت متأخر ثم نعود الى خيمتنا للمبيت ليلا . وقد يستغرب القارىء ترك امتعتنا في الخيمة من غير حارس يحرسها ، ولكن هذا هو واقع الحال لان السرقات في امريكا تنصب عادة على أصحاب الملايين والبنوك وقلما يقدم أحد على سرقة البيوت والممتلكات الصغيرة وخاصة اذا كانت الخيمة خيمة طلاب عسكريين . وفي الصباح نعود فنحمل امتعتنا بعد تناول طعام الفطور ونقف على الطريق العام المؤدي الى المدينة التالية التي نقصدها . وهكذا دواليك الى نهاية الجولة . وقد استغرقت هذه الجولة خمسة وعشرين يوما شهدنا فيها أكثر مدن المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية .

ز ـ جمعية الطلاب الاجانب في الكلية

وفي الكلية جمعية للطلاب الاجانب تسمى (Cosmopolitan Club) تعمل تحت شعار « الانسانية فوق الأمم » (Above All is Humanity) وقد كنت عضوا عاملا فيها ، فاقمنا يوم ١٢ آذار ١٩٢٦ حفلة أنس دعونا اليها اساتذة الكليةورئيس الكلية والقائد وبعض الضباط مع عائلاتهم ، فلبست اللباس العربي وألقيت كلمة نالت اعجاب الحاضرين تحدثت فيها عن العراق وبلاد العرب ، مهد الحضارات ومهبط الوحي ، فشرحت ما قدمته للانسانية في مضمار التمدن ، ثم تكلمت عن الكلية ونظامها والروح الطيبة التي يتسم بها طلابها ، فذكرت انها تعد رجال سيف وعلم ، عنصران يمثلان سر تقدم الانسانية ، وبعد ان انتهيت من كلمتي عزفت بعض الانغام على العود الذي كنت قد حملته معي الى امريكا فانس الحاضرون بالنغم العربي الغريب . وقد كنت في السنة الاولى من دراستي في الكلية (١٩٢٥-١٩٢٦) امينا للصندوق في هذه الجمعية ثم انتخبت في السنة الثانية رئيسا لها .

٢ ـ الجمعية العراقية في بيروت تعتبر عضوية اعضائها في الخارج مستمرة

وكانت اتصالاتي مع اخواني العراقيين في جامعة بيروت الامريكية مستمرة ومراسلاتي معهم غير منقطعة . وكان ان قررت الجمعية العراقية في بيروت اعتبارنا اعضاء فيها ، وفي هذه المناسبة بعثت بالرسالة التالية مع مرفقها كلمة موجهة الى الجمعية بتاريخ ١٧ مارت ١٩٢٦ هذا نصها :

الى حضرة الاخ فاضل افندي الجمالي رئيس الجمعية العراقية في الجامعة الامريكية ببيروت المحترم

سلاما وشوقا (وبعد) فاني اشكو الجمعية العراقية على قرارها المتخذ بشأن قبولها اياي مع بقية الاخوان العراقيين في امريكا اعضاء في الجمعية العراقية ، وهذا ما حملني على أن أردد آيات الثناء والتقدير لما أبداه الأخوة في بيروت من صدق المودة وسمو الخلق لابناء وطنهم المغتربين في الولايات المتحدة الامريكية ، واعترافا باريحيتهم فقد اشتد الميل في نفسي لان أجعل الرابطة قويمة متينة ، ووجدت أن أفضل رابط يمكن أن يوطد عرى الاتصال المستمر هو المراسلة فيكتب الطالب ما تجود به قريحته وما تثيره في نفسه حياة الغرب من ملاحظات وتعليقات فيأنس اعضاء الجمعية بها ويستفيد الطالب بما يستمده من تلك المراسلة من التحسس والانتباه فيكون بذلك قد افاد واستفاد . وها اني أنزل فكرتي هذه الى حيز التنفيذ فابعث اليكم طيا كلمة لتلاوتها على اعضاء الجمعية علنا نجد فيها عبرة في حياتنا المقبلة حين ننزل الى ميدان العمل والاصلاح ولكم مني مزيد الشكر والامتنان والسلام .

وهذه مقتطفات من الكلمة الموجهة الى أعضاء الجمعية :

« اخواني الاعزاء :

لا فرق فيما اذا كان بينكم في محفلكم الكريم من حديث لم يسبق ان أتوفق للتعرف به ، أو قديم يتخيلني منتصبا أمامه فكل منكم أخي ..

« ما أجمل الساعة بل ما اسعدني الآن وقد انفردت في مجلسي لأحاكي اخوة الوطن طارحا عن كاهلي أثقال الدرس وأعبائه ، كيف لا وقد أراني جالسا احاكي رجال الغد جيش العراق الباسل الذي سيتسلم زمام امته بعد قليل فيطرد عنها كل شر وبلاء ويبعدها عن الطامعين بها .

« اين الطبيعة فاستمد منها الوحي لانطق بما تمليه النفس علي واصفا شعوري لاخوتي ؟. يا ليت الراديو معروفا في بلادنا العربية فاطلب اليكم ان تجتمعوا الى هذه الآلة الصغيرة لتسمعوا دقات قلبي المتتابعة في هذه الساعة واليراع في يدي ..

« ان الحياة الامريكية حياة عمل متواصل ، فمثل الامريكي الأعلى هو الحركة والسرعة ، ومبدؤه القويم التعاون الوطني : صفتان اتصف بهما ابن العالم الجديد يمثلان دور الفوز والفلاح ، حياة قائمة على أساس العمل والتآزر القومي ..

« أن في الحركة نهضة ، وفي العمل تقدم ، ولكننا بحاجة الى صفة نتصف بها اذا ما اقدمنا على العمل ، وهي تفاهمنا المتبادل ، واتفاقنا الدائم ،وبكلمة اخرى نحتاج الى تربية بيتية . فاذا فقدنا التفاهم والاتفاق كان العمل عبثا والحركة سدى . قل لي بربك أوننزل الى ساحة العمل ونحن لا نزال متفرقين طوائف وأحزاب . هذا ينضم الى حزب والآخر الى طائفة نجهز الاساحة ونعد هنه ، نتحمل الحرارة المحرقة المنبعثة من شعلة تلك الفروق راضخين تحت العدة للمشاحنات الطائفية والاحقاد المتأصلة بنا ؟ أوننزل ونحن على حالتنا وبلاتها !..

« التربية قبل العلم ، والاخلاق قبل الدرس ، التربية الصحيحة قبل درس الكيمياء ، والاخلاق الفاضلة قبل الطب . الكيمياء تعلمنا المادة وتركيبها ؛ والتربية تغرس فينا المحبة والاخوة . الطب بلا اخلاق يعلمنا كيف نمتص دم الفقير .. في التربية الصحيحة وحدة وفي الاخلاق الفاضلة تفاهم ..

« نحن نحتاج الى مدرسة التربية والاخلاق قبل مدرسة الطب والفلسفة . نحن نحتاج الى أمهات يعرفن كيف يربين شبابا احرارا ، يعتصمون بحبل المودة والاخوة الوطنية . مبدؤهم الاتفاق ، ومسلكهم التفاهم والتساهل . وهذا ما يدعو الى حصر اهتمامنا في تعليم الفتاة وتهذيبها تهذيبا صحيحا لكي تكون قادرة على تربية اطفالنا تربية صحيحة .

« ان واجباتنا كثيرة ، والاصلاح واجب ، على اني أرى اول واجب هو تهذيب الجنس اللطيف ، لان في المرأة الامل الكبير ، وعليها يتوقف بناء الامة، فهي مدرسة التربية الصحيحة ..

« اتكلم بكل حرية وأنتم أخوتي قد فهمنا معنى الحياة والواجب ، فدعوني اختتم رسالتي فاقول : دعوا عنكم يا ابناء وطني الحقد والفروق ، فكل منا اخ للآخر ان شاء أم لم يشأ .. وقد حان لنا ان نلتفت الى واجبنا نحو بلادنا التي طالما صرخت آثارها واطلالها تنادينا بارجاع مجدها الغابر . فقد أرتني سفرتي هذه ما للقومية من الاهمية الكبرى بين الشعوب المختلفة . وقد برهنت لي أيها الاخوان ان الفرد الذي ليس له أمة ينتمي اليها وينضوي تحت لوائها ذليل حقير ، وان المرء الذي لا بلاد له يفاخر بها ويباهي بمآثرها لا عز له ولا مجد ، لان عزه ومجده في قوميته ووطنيته ... »(٢)

---

(٢) نشرت هذه المقتطفات في مجلة عالم الغد ، ج٢١ ، ١ تشرين الاول ١٩٤٥ ، ص٢٤ .

٢ ـ انقسام بين الطلاب العراقيين في الجامعة الامريكية ببيروت

وفي جملة مراسلاتي مع اخواننا العراقيين في جامعة بيروت الامريكية رسالة وصلتني من فاضل الجمالي رئيس الجمعية العراقية في الجامعة الامريكية في بيروت ينوه فيها بوجود انقسام بين الطلبة العراقيين في جمعيتهم فبعثت جوابا على رسالته بكلمة مؤرخة في ٥ نيسان ١٩٢٦ هذا نصها :

عزيزي ، تسلمت رسالتك امس فكان لها اثر عميق في نفسي ، اذ ضربت على اوتار قلبي واسمعتني الحانا مبهجة ولكني ويا للاسف لم انته من تلاوتها حتى تغيرت الالحان الى نغمة محزنة نزلت على جوارحي كالصاعقة التي تنزل على الزهرة المنعشة فتمحو آيات البهجة والسرور المسطرة على وريقاتها ، فقد كان سروري بها شديدا اثناء فضها ، ولكن ويا للاسف لم يمض على تلاوتي بعض سطورها حتى تلاشى سروري شيئا فشيئا فخلف حزنا عميقا حين قرات ما ذكرته عن عدم اتفاق الطلبة العراقيين في الجمعية العراقية ببيروت فليس لدي الا ان اقول : نحن نختلف في اعمالنا وآرائنا ونقول هذه منافسة واحتكاك وكذا يكون التقدم والارتقاء ، ويا ليت الغافلين علموا انها ضربة قاضية ويا لها من ضربة ٠٠ جميل بنا ان نجد ونجتهد ، وجميل بنا ان نسعى ونعمل، ولكن الجهد والسعي بدون صفاء النية والاخلاص الاكيد لا يثمران غير الخراب والخسران ٠ اولا توافقني اذا قلت اننا بحاجة الى اتفاق الآراء وصفاء النية قبل الدرس ؟٠٠ أن حياة المرء النافعة في عمله لخدمة وطنه خدمة صادقة ولكنها تصبح عكس ذلك اذا نزع العمل حق الغير في التعبير عن آراءهم او جرح هذا العمل حواس زميلك ٠ عار والله وكل العار فيما ذكرته عن عدم اتفاق الاخوان في الجمعية العراقية ، فاذا تخاصمنا الآن في امورنا ونحن بين جدران الجامعة فكيف سنكون غدا يوم ندخل الى ساحة العمل الفعلي ؟ مع ذلك ان خيط الامل لا ينقطع وانا لا اؤمن بما قيل في بعض الاحيان : « اننا قد اتفقنا على ان لا نتفق ، وقد اتحدنا على أن لا نتحد » ، لاني أجد بارق أمل في اخلاص الكثير من الاخوان وصدق معظمهم فلا بد من ان يأتي اليوم الذي نرى فيه الكل قد التحم كالجيش المتراص من مختلف المشارب والميول للنهوض بالبلاد والدفاع عنها بأقدام ثابتة متناسين ما بينهم من خلافات ، ففيكم الامل وفي اتفاقكم تتحقق الاماني ٠

كلنا نموت ولكن القليل من يعيش بعد المنية ، ونحن نريد من مات وعاش، نرى المرء يقاتل ويعارك ويتخاصم فتحدث الشهوات ضبابا امامه تنسيه الهدف الامثل من الحياة ، فتنسيه بأن ليس في الحياة ما يدوم سوى الاعمال الطيبة والذكرى الحميدة ، كل عمل يموت مع الشخص ، ولكن العمل النافع هو الذي يخلد ٠ لقد فهمنا والحمد لله معنى الحياة ، ورأينا النور بعد الظلام ،

وما كان لنا ان نعود الى الظلام بعد ان راينا النور . انا لا احصر كلامي في شخص او اشخاص وانما اقول اننا بحاجة الى التربية البيتية قبل العلم ، فقد اهمل ذوونا تربيتنا ونحن اطفال فلنعتن بتربية اطفال الغد وهذا لا يتم الا بتثقيف فتاة اليوم ..

كلية تكساس الزراعية الميكانيكية
٥ نيسان ١٩٢٦

٤ ـ المراة في امريكا وفي العالم العربي

ان اكثر ما كان يجتذبني في الحياة الامريكية الجديدة الدور الرئيس الذي تلعبه المراة الامريكية في المجتمع الامريكي ، فكان هذا الدور يستأثر بتحسسي وتطلعي الى تحقيق عملية تحرير المراة العربية بوجه عام والمراة العراقية بوجه خاص من سجنها لتلعب نفس الدور الذي تلعبه المراة الامريكية على مسرح الاحداث في الحياة العامة وفي تربية الجيل الجديد . فانطلاقا من هذه الاحاسيس المرتبطة بحب الوطن والتفكير في بناء المستقبل كتبت مقالا مطولا عن « المراة في امريكا وفي العالم العربي » اجتزىء منه المقتطفات التالية :

المراة سر غامض في مجموعة أسرار هذا الكون جادت بكشفه الادمغة وبحث فيه الكتاب والشعراء ، فمنهم من وصفها بزهرة الحياة ومنهم من نعتها بربة الجمال والى ما هنالك من الاوصاف في هذا الصدد حتى اصبحت المراة محور بحثنا وموضوع حديثنا ومكتوبنا واحاسيسنا .

اجل ! ان المراة سر من الاسرار ، فهي ينبوع طموحنا ، وباعثة نشاطنا وسعينا واساس وجودنا . هي في نظري عماد الكون ومصدر الرقي والتقدم في مجالات حياة المجتمع ، فبكمالها نكتمل ، وبرقيها نرتقي ، هي مربية الجيل وقاعدة وجودنا ، فان كانت صالحة كنا صالحين وان كانت متاخرة ناقصة التربية كنا كذلك .

غوامض الطبيعة وما اعقدها ، لقد تناضلت العقول بسيوف المعتقدات حتى اختلفت الآراء في الكون وكيفية وجودنا .. اسرار هي الطبيعة وستبقى كذلك الى أبد الآبدين .. هي تلك الطبيعة عينها وبتأثيرها الخفي تشعل جذوة الاحاسيس في صدور الجنسين فيتقظ فيهما حس التعاون حتى باحتكاك آرائهما وتعاونهما ارتقت الامم الى مستوى الابداع والتقدم . فالشعب المتقدم هو الشعب الذي فتح بابا واسعة لذلك التعاون . ولذا نجد احترام المراة عند الامم المتقدمة في الحضارة اكثر منه في الامم المتاخرة .. ان الامم المتقدمة اخذت تطلق للمراة حريتها شيئا فشيئا حتى سلمت اليوم بمساواتها للرجل في كثير من المواقف التي كانت بعيدة عنه . المراة الامريكية تجدها اليوم مع الرجل في

مختلف نشاطاته ، هي الى جانبه في كل اعماله تشاركه فيها ، فتراها في المخزن كما انك تجدها في الدائرة والمحكمة عاونت الرجل ونافسته في صناعته حتى اصبحت مستقلة في آرائها واعمالها وحياتها · وهكذا فقد احست باستقلال شخصيتها وشعرت بمسؤولياتها في المجتمع ، وليس بغريب اذا نظرت الى الرجل مساويا لها في شتى مجالات الحياة ·

شبان قد شربوا كاس العشرين وفيهم من وضع شفتيه على قدح الثانية بل قل الثالثة والرابعة والعشرين يجلسون على مقعد واحد الى جنب الفتيات يستمعون واياهم الى محاضرة المدرس · ومن هو المدرس ؟ فتاة لم تناهز العقد الثالث من عمرها بعد متبوأة كرسي التدريس ·

ان عمل المرأة الامريكية لم يقتصر على ميدان الدرس والثقافة بل تعداه الى ساحة الالعاب الرياضية · الامريكي شديد الشغف بالالعاب الرياضية البدنية وأشد ميله الى لعب الكرة فالشعب عامة ينزل ذا المهارة والتفوق في الالعاب فوق منزلة ذوي الالقاب وذلك لحث الشبيبة على الاهتمام بالرياضة البدنية ، ترى الكبير والصغير ، المراة والرجل ، الشاب والفتاة ، كل حديثهم عن الالعاب الرياضية وأشهر اللاعبين ، حتى اذا كان من لعب هام في احدى المدن او الجامعات تقاطرت لمشاهدته الوف من الناس من كل ناحية وصوب · اما من لم يتهيأ له مشاهدة اللعب فالراديو يحمل له كل ما يحدث على ساحة اللعب · كانت تلك الالعاب مقتصرة على الرجل فيفاخر بقوته وعضلاته ومهارته في الالعاب ، أما اليوم فاخذت المرأة تروض بدنها حتى ساوت الرجل في كثير من الالعاب الرياضية ، فنجد المرأة الى جانب الرجل على شاطىء البحر برداء السباحة كما تجدها على ساحة اللعب بالرداء الملون الجميل ·

عام قد مضى منذ تحفزت ولاية تكساس وتاهب المواطنون لانتخاب حاكم ولايتهم ، فكثرت الخطب ونشطت الاحزاب وكتبت الصحف والصقت الاعلانات في كل مكان حتى لم يمض على الانتخابات مدة قصيرة حتى اعلن فوز « مدام فرجسون » بمنصب رئاسة الولاية ·

سنة كاملة قد مضت والمدام فرجسون متبوئة كرسي الحكم في ولاية تكساس · فلا تزال صور حادث يوم زيارتها لكليتنا عالقة في ذهني فكان لزيارتها اهتمام كثير اذ أصدر قائدنا الامر صباح ذلك النهار بوجوب التاهب لعرض يقام خصيصا لها · وها اني أنقل فيما يلي ما دونته في مفكرتي عن زيارة مدام فرجسون لكليتنا :

« الخميس ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٥ :

« لشعب الولايات المتحدة يوم وطني يطلقون عليه اسم « عيد الشكر » وفي الانجليزية (Thanks Giving Day) هو عيد وطني يقع عادة نهار

الخميس من الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) في كل عام يحتفل فيه المواطنون على اختلاف طبقاتهم ومعتقداتهم ، فتتوقف كل الاعمال في ذلك النهار وتقفل المحلات والمخازن والدوائر والمعامل رمزا للشعور القومي وشكرا لله على نعمه وخيراته التي اغدقها على الاهلين في خلال العام .

« قدمت مدام فرجسون تزور مدرستنا ذلك النهار فصدر الامر من قائدنا العسكري بالتاهب لاستعراض باللباس الرسمي والاسلحة الكاملة وقد اتفق وصول حاكمة الولاية في الساعة الخامسة بعد الظهر ، فما كاد يصفر القطار في المحطة معلنا وصولها حتى اطلقت فرقـة المدفعية احدى وعشرين طلقة متتابعة .

« كان مجموع الطلبة بفرقه العديدة حوالي الفي طالب كل فرقة تسير وراء حامل رايتها ، ولما كنت انتمي الى فرقة الخيالة فقد كنت بين الصفوف الاخيرة حاملا بندقيتي ومقمطا بالاحزمة فكنت أسير بين رفاقي وافكاري طارت باجنحة التامل الى تصور حالتنا في الوطن البعيد ، فتصورت ما اعتدت رؤيته، رايت ما أعهده من القيود التي ربطت المراة ، رايت الحجاب وما يتبعه من القيود فتجسم لي الوضع الذي تعيشه المراة عندنا بأجلى مظاهره ، واتضح لي تطرفنا في تقييد المراة وحرمانها من نور الحرية والثقافة ، فرسخ اعتقادي تلك الآونة بوجوب تحرير المراة عندنا شيئا فشيئا بعد ان تفتح لها المدرسة الباب لترى النور الذي حجبه عنها الجهل . لقد تطرف الغرب في اطلاق الحرية للمراة وتطرف أبناء الشرق في حرمان المراة حريتها وما من تطرف الا وعاقبته غير حميدة .

« انتهى الاستعراض فاقبل علينا رئيس فرقة الخيالة واثنى على همتنا ، ثم قال وهو يبتسم : لقد اصبحنا في عصر يستوجب حصر اهتمامنا في نيل رضا الجنس اللطيف . فضحك الكل واذن لنا بالانصراف . »

فتاة امريكا لا تفقد جنسيتها عند اقترانها باجنبي فهي تحتفظ بجنسيتها ولا تتبع جنسية بعلها عند الزواج .

ان المراة الامريكية تنظر الى الرجل كرفيق يتعاونان كلاهما في مسيرة حياتهما الزوجية حتى يبلغا طريق السعادة التي ينشدانها فان لم يتحقق ذلك فالدواء الطلاق وما اسهل الطلاق في امريكا فلم يمض على اقتران الزوجين شهر حتى تقرا اعلان افتراقهما .

وانا اذ اشرح بعض جوانب الدور الذي تلعبه المراة في امريكا في المجتمع الامريكي ارجو ان يكون في ذلك الحافز لغربلة أحوالنا في ضوء من سبقنا في مضمار التقدم فناخذ الصالح من الحضارة الغربية ونتجنب الطالح فيها في تطوير حالة المراة العربية الى ما فيه خير المجتمع العربي .

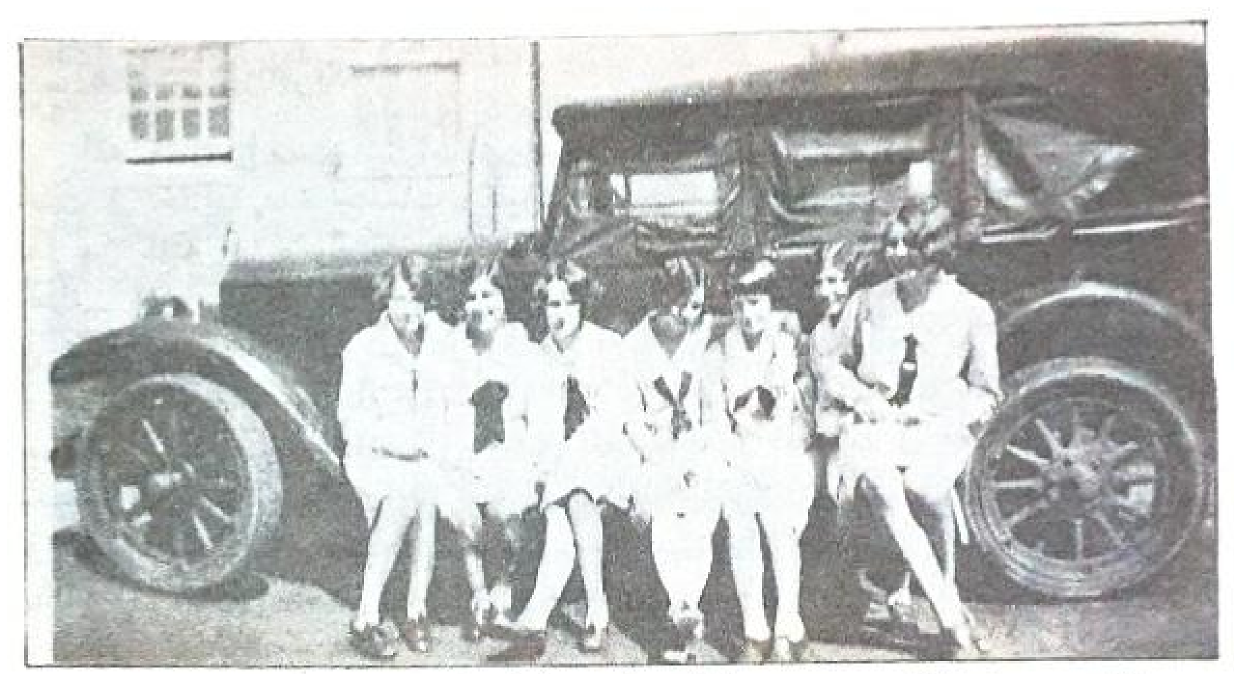
٥ ـ دراستي في امريكا

لقد قضيت ست سنوات في امريكا وذلك بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٠ دخلت في خلالها عدة جامعات وكليات في مختلف انحاء امريكا ، فساعد تنقلي هذا من كلية او جامعة الى اخرى على درس الحالة الاجتماعية والجغرافيـة في مختلف انحاء الولايات المتحدة الامريكية . مع العلم ان هذا التنقل لم يحدث اي تأثير في منهجي الدراسي او وضعي الاقتصادي لأن مناهج الدراسة الجامعية في امريكا موحدة فالنظام موحد في كل جامعـات وكليات امريكا مع فروقات بسيطة . فاذا داوم الطالب في احدى الجامعات او الكليات في فترة من الزمـن يستطيع ان يتحول الى اية كلية او جامعـة اخرى في اية ناحية من نواحـي الولايات المتحدة الامريكية مستصحبا معه استشهادا بقسم الدراسة التي اتمها في الجامعة الاولى ويعتبر هذا القسم جزءا من منهج الدراسة المطلوبة للتخرج على ان يداوم سنة دراسية كاملة في الجامعة التي يتخرج فيها في سـنته الاخـيرة حتى يحصل على شهادته منها ، وفي أكثر الجامعات دورات صيفية فاذا داوم الطالب دورة صيفية يكون قد أتم ما يعادل ثلث سنة دراسية كاملة . ولما كان وضعي الاقتصادي لم يتغير في غربتي سواء أكنت في جنوب امريكـا او شمالها ، في شرقها أو غربها حيث كنت أدرس على نفقتي الخاصة ، فتنقلت بين سبع جامعات وكليات وحصلت على ثلاث شهادات علمية عالية من ثـلاث جامعات بدوامي في كل منها سنة دراسية كاملـة ، وهي سنة التخرج التي يشترط قضاؤها في الجامعة التي يتخرج الطالب فيها . وقد استفدت من نظام الدورات الصيفية فدخلت ست دورات صيفية في مختلف أنحاء امريكـا وذلك بغية اكمال دراستي بأسرع وقت ممكن لاعود الى وطني باقرب وقت فاعتبـرت هذه الدورات الصيفية الست معادلة لدوام سنتين دراسيتين ، وبذلك اصبـح مجموع السنوات الدراسية التي أتممتها في منهج دراستي في امريكـا ثماني سنوات دراسية .

وهذه هي الكليات والجامعات السبع التي دخلتها في مختلف انحاء امريكا بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٠ :

١ ـ الكلية الزراعية الميكانيكية العسكرية في بريان (ولاية تكساس)
٢ ـ الكلية الزراعية في شمال تكساس في آرلينكتون (ولاية تكساس)
٣ ـ جامعة تكساس في اوستن
٤ ـ كلية كولورادو في كولورادو سبرنكس (ولاية كولورادو)
٥ ـ جامعة جورج واشنطن في واشنطن
٦ ـ جامعة شيكاغو في شيكاغو (ولاية ايلينوي)
٧ ـ جامعة جونس هوبكنس في بالتيمور (ولاية ماريلاند)

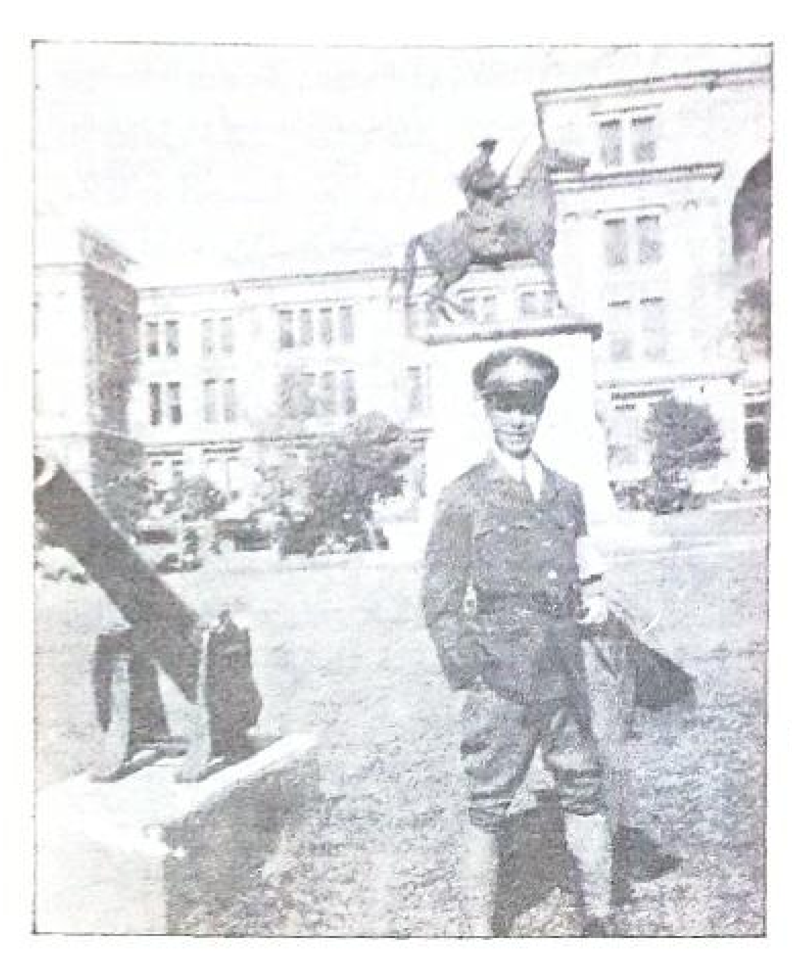
وفي جامعـة جورج واشـنطن حصلت على جائـزة ويدل للسـلم



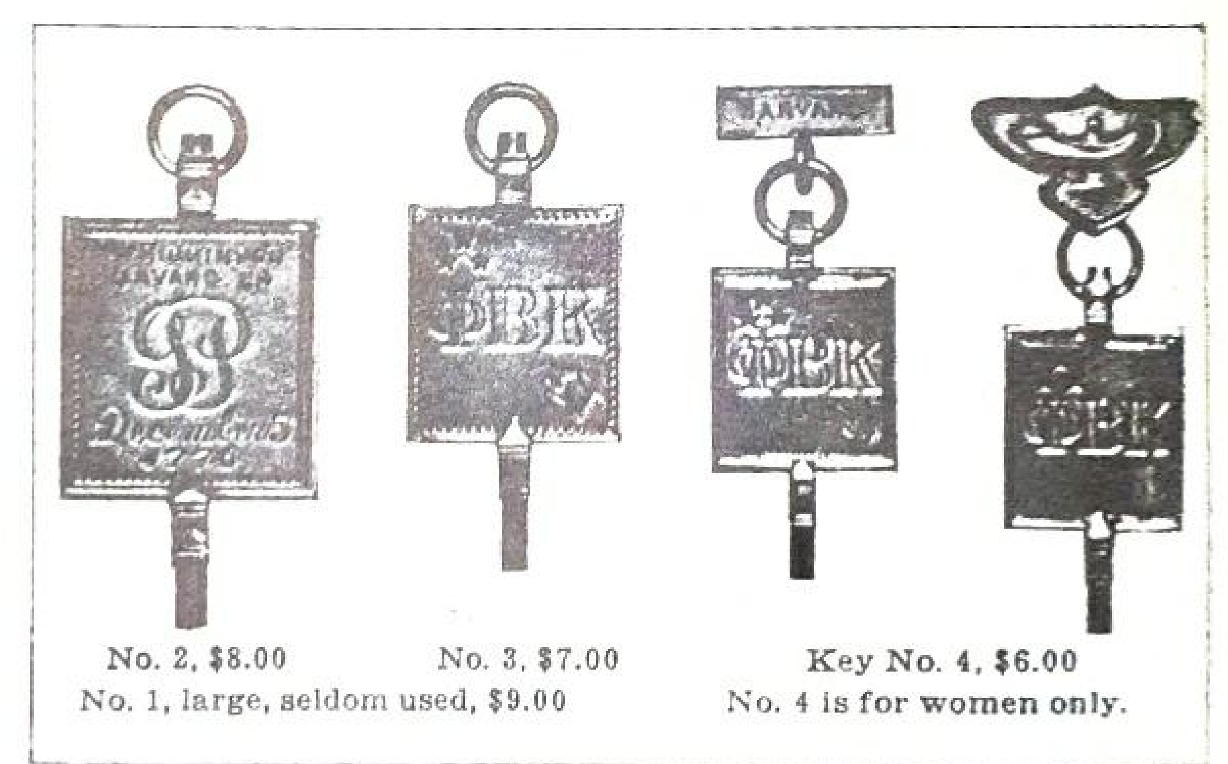
التصوير رقم (٤٢) ـ سرب من طالبات جامعة تكساس في احدى متنزهاتهن . .
(انظر الفقرة ٤)



التصوير رقم (٤٣) ـ المؤلف
في كلية تكساس العسكرية
(انظر الفقرة ٥)



التصوير رقم (٤٤) ـ المؤلف في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الامريكية .. (انظر الفقرة ٥) .



التصوير رقم (٤٥) ـ التاج الذهبي الذي يمنح لخريجي الجامعات في امريكا بتفوق (انظر الفقرة ٥)

(Wedael Peace Prize) بمبلغ خمسمائة دولار التي تمنح كل سنة لكاتب احسن مقال علمي في موضوع عام من شأنه ان يوطد عرى الصداقة والعلاقات الحسنة بين دول العالم • وكان من بين الذين شاركوا في هذه المباراة عدد من المدرسين الذين كانوا يواصلون دراستهم العالية للحصول على الدكتوراه • وكم كان اغتباطي عندما اعلنت اسماء الحاصلين على الجوائز في حفلة التخرج فكان اسمي من بينهم فتقدمت الى المنصة لتسلم الجائزة وسط تصفيق الحاضرين واذا بها كيس يحتوي على نقود ذهبية من ذوات الخمسة دولارات ، وهذه لا يتداول بها الا نادرا ، فاخذت الكيس في اليوم التالي الى البنك لتحويل النقود الى عملة ورقية ، فدهش الموظف المسئول وقال من اين اتيت بهذه النقود ؟ ولما اوضحت له باني طالب في الجامعة وقد حصلت عليها كجائزة علمية اطمان وعنـاني عليها واعطاني ما يعادلها بالدولارات الورقية •

وقد أتيح لي عندما كنت في جامعة جورج واشنطن ان احظى بمصافحة رئيس الولايات المتحدة الامريكية المستر هوفر وزوجته في البيت الابيض • وقد تم لي ذلك بوساطة استاذي في الجامعة الدكتور شارل هيل فاخبرني ذات يوم انه سيزور البيت الابيض هو وزوجته لتناول الشاي هناك ويمكنني مرافقته في هذه الزيارة ان رغبت في ذلك ، فشكرته مستجيبا لهذه الدعوة وفي الوقت المحدد ذهبنا الى البيت الابيض حيث كان جمع كبير مصطفا حتى ياتي دور كل واحد منهم فيصافح الرئيس وزوجته بعد أن يعرف نفسه لهما ثم يجلس على أحد المقاعد المعدة في القاعة وعندما جاء دورنا عرفني الاستاذ الى الرئيس وزوجته وقال لهما اني طالب من العراق (ميزوپوتاميا) ادرس في الجامعة للحصول على شهادة الماجستير فرحبا بي عندما صافحتهما • ثم جلسنا على المقاعد بجانب احدى المصاطب المنتشرة في القاعة وتناولنا الشاي في أكواب خاصة نقش عليها اسم البيت الابيض (رئاسة الجمهورية) •

وكان حصولي على جائزة ويدل للسلم حافزا لمواصلة الدراسة بشوق زائد وهمة فائقة حتى تم تخرجي في جامعة جونس هوبكنس وحصولي على شهادة الدكتوراه بشرف ، فانتخبت عضوا في جمعية فاي بيتا كاپا (Phi Beta Kappa) التي تمنح عضويتها لكل من يتخرج من الجامعات الامريكية بتفوق ولهذه الجمعية تاريخ حافل اذ ترجع الى زمن اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٧٧٦ فاسست لاول مرة في كلية وليام وماري في فرجينيا في ٥ كانون الاول ١٧٧٦ ثم اسست لها فروع في أكثر الجامعات الامريكية وفي سنة ١٨٨٣ اسس اتحاد لجميع الفروع ومركزه في نيويورك • ولكن العضوية في هذه الجمعية كانت مقتصرة على الرجال فقط ثم منح الحق للمرأة في الدخول في عضويتها سنة ١٨٧٥ ، ويتكون شعار الجمعية من وجهين،

الوجه الاول يحمل حرفي (اس وبي) وهما يمثلان الحرفين الاولين للكلمتين اللاتينيتين (Socetas & Philosophioe) أي جمعية الآداب الفلسفية ، ويحمل الوجه الثاني الشعار اليوناني « حب القيادة الى المعرفة » (Love of Wisdom the helmsman) ، وهناك اشارة الى ثلاثة نجوم ترمز الى الزمالة والفضيلة والأدب (Friendship, Morality and Literature)

وللعضو الحق ان يحمل شعار الجمعية المكون من مفتاح ذهبي عليه شعار الجمعية ولهذا المفتاح مكانة علمية متميزة للشخص الذي يحمله في المجتمع الثقافي الامريكي ، لذلك يشاهد الحاصلون عليه يحملونه في مكان بارز للعيان اعتزازا به ، وقد كان هذا المفتاح واسطة على فتاة امريكية على ظهر الباخرة في عودتي من امريكا الى العراق كانت تحمله حكم النصيب أن تصبح زوجتي وسيأتي ذكر ذلك فيما ساقصه عن اول زواجي بفتاة امريكية .

اما موضوع دراستي العالية في امريكا فكان الهندسة المدنية كما سبقت الاشارة الى ذلك ، فحصلت على شهادة ب٠ع٠ هندسة مدنية مع اختصاص في هندسة الري ، ثم رغبت في دراسة القانون الدولي فحصلت على شهادة الماجستير والدكتوراه في القانون الدولي مع اختصاص في الانظمة الدولية الخاصة بالانهر المشتركة بين الدول لما لهذا الموضوع من صلة مباشرة بانهر العراق وفي مقدمتها مشكلة نهر الفرات وهو مشترك بين ثلاث دول ومشكلة الانهر التي تنبع في ايران وهي مشتركة بين دولتين .

٦ ـ الامس واليوم !٠٠(٣)

قرب بابل خلقت ، وعلى ضفاف الفرات نشأت ، وسط احاطت به عظمة اجتذبت الفرنج اوروبا ، لما حوته من آثار ، هي أس معجزات حضارتنا ٠٠ اطلال وربى تحير عقل الزائر بجلالها ، تملأ نفس المرء اعجابا بمكنونها ٠٠

كم من مرات زرت بابل ، وكم من مرات مررت بنمرود(٤) ، فما كنت الهم غير اليسير من عظمة ماضيهما !!

في وسط الصحراء ، اطلال « الاحيمر »(٥) كان الافرنسيس ينقبون بين تلولها ، قصدتها وانا صبي ، فما كنت أرى غير الاكام جاهلا عظمة من عاصرها

---

(٣) كتبت هذه القطوعة في خلال مواصلتي الدراسة في كلية كولورادو الامريكية ، وانا في احدى المتنزهات على قمة احد جبال كولورادو الجميلة حيث الشلالات السبعة الشهيرة .

(٤) هي برس نمرود (مدينة بورسبا البابلية) تقع اطلالها وبقايا برجها الشاهق نحو ٩ـ١٠ اميال جنوب مدينة الحلة .

(٥) هي بقايا مدينة كيش التاريخية الشهيرة ، تقع اطلالها على بعد حوالي ٢٥ كيلومترا من شمال شرقي بلدة الحلة وزهاء خمسة عشر كيلومترا من شرقي بابل .

في سحيق الزمن ..

احببت الحلة ، فيحاني وحقولها ، فهي مسقط راسي ومنبت ذكريات خالدة ، وكعبة الاماني ، كم شربت من آبارها وهي محرومة من ماء الفرات العذب !. ثم بفضل مشروع سدة الهندية ارتوينا كما ارتوت ارض بابل العطشى .

لم تزل ذكريات ذلك اليوم الجلل راسخة في ذهني .. فقد امتطيت صهوة فرسي ولحقت بابناء الفيحاء وهم يقصدون (سدة الهندية) لمشاهدة الاحتفال بفتح ابوابها ..(٦)

للمرة الاولى جرت مياه الفرات في وسط الفيحاء ، فكانت مياها كدرة ، تدبي دبيب الأفعى ، حاملة من الزبد وفيرا ، ومن ورق الاشجار كثيرا .. فيا لها من ذكريات جميلة ، تثير من الشجون ازكاها ، ومن الاحلام الذها ..

احببت وما تعدت محبتي ما يحيط بمزارع الفرات ومن عاشها .. احببت رفاقي ، وبجلت كبار فيحاني ومشايخها .. من العلم ما عرفت الا اليسير ، ومن اللغة ما عرفت غير الكلام والقراءة .. ثم علموني التركية والفرنسية ، اما تاريخ الديار وغابر عهودها فما عرفت منها غير تلولها واكامها .. عرفت اليساري والخفاجي ، ألفتلاوي والحسناوي ، ومنهم تعلمت الحدو والتنشيد .

كان لي (معنكية) ، فرس يتغنى العربي بجمالها وتركيب تواقيعها ، سيالة الجبين ، محجلة الثلاث ، تعشقت بها عشق المحب بمعشوقته .. كم وكم من المرات وانا واياها سرحنا في البراري ، ومن نبات الشعير بيدي أطعمتها !.. كم من الليآلي والبدر فيها يصرع جيش الظلام ، وفي سكون الليل وصفائه ، كنت وبعض الرفاق على ظهر بنات الهوى نسير في وسط المزارع ، وكلاب الصيد آنا الى الوراء تعقب واخرى الى الامام تعدو !. ليال مقمرة ، وسماء ازرق جميل ، وكواكب منيرة ، سكون وهدوء يعترض صفاءه حفيف السنابل ونقيق الضفادع ، وبين آونة واخرى تسمع صدى حوافر الخيل ، وخرير المياه وعوى ابن آوى على كثب ، وبعد مضي الهزيع من الليل تباغتك ترانيم ديوك الضيع من بين الاغنام المطمئنة بزرائبها .. كنا وكل بدوره نتبادل الحدو والتنشيد ، واذا ما مرّ الاعرابي فسيان عنده عرفك أم لم يعرفك يقابلك بصدر ملؤه السذاجة والبساطة ، فتسمع صوته العذب يرن في صفوة الفضاء وهو يقول « السلام عليكم » ..

تلك هي ليالي تقرأ تاريخها على صفحات قلبي ، هي أيام صباي وضعت

---

(٦) انظر ما تقدم عن مشروع سدة الهندية في الفقرتين ٥و٦ من الباب الاول من هذا القسم.

حجر الزاوية لاساس حياتي ، مبداي ومعتقدي ، زملتني برداء الفطرة البدوية العربية ووضعت على جيدي طوقا بالروح العربية مرصّع .. ايام ولياليها مضت ولكن ذكراها في نفسي خالدة ، وصورها في جوف قلبي مرتسمة ..

سعيد وربي من عاش بين ترع الرافدين وزروعها ، ارض الرشيد هي محور الذكرى والاماني .. فاجعل لنا يا ذا الجلال روحا تويمة ، اتفاق الاعراب رائدها ، واعلاء شأن العراق مرادها .

أتت الوغى وويلاتها واذا بالافرنج باتوا بالقرب من الديار .. وصار دوي المدافع يرن بالاذان .. ثم جاءنا عاكف وعساكره ، فارانا من الذل والهوان ما لم تره الفيحاء طول عمرها .. نصب المشانق وأخذ يعلق ابطال الديار الرعيل بعد الآخر .. إراد الظالم موتهم ويا ليته درى بانهم احياء وقد خلفوا في قلب كل عربي حر من التبجيل ما يجعل موتهم حياة خالدة لا تموت .

مضت الأيام واذا بجيوش عاكف أخذت تتراجع الى الوراء ، فمالت الى اعز ما كان لي تريد اغتصاب « معنكيتي » .. هربت وفي وسط ضوضاء جيش منسحب سارت بنت الهوى وأنا ممتط صهوتها ، كأنها عقاب وقد دعاه جيش الظلام الى وكره ، فانقذت حياتي وبالتبادل من يد الاتراك انقذتها ..

جاءنا الانكليز بسياراتهم وطياراتهم فخلبوا عقولنا وبتلك المعدات بهرونا . رحب الناس بهم وهم يمنون بالتحرير وبتنفيذ الوعود يرقبون .. ولكن لم يمض وقت طويل حتى ماتت الآمال وخابت الظنون ، فثار أحرار الفرات وبالدماء خضبوا ماء نهرهم ، دفاعا عن حقوق مغتصبة وحبا بعز البلاد ومجدها قاتلوا .. رحم الله زيدان ان كان مائتا ، وأطال عمره ان كان حيا .. فما أرق صوته وما أعذب كلامه !. لقد اجتمع الاعراب حوله ذات ليلة حيث كانت أشعة البدر تضيء الفضاء ، فرفع عقيرته في ذلك الفضاء الساحر وهو يغني الى جانب « ربابته » الابيات العامية الآتية :

« اتانا الذل يا ليت الموت يدني ..
« الخادم طال واحنا (نحن) اكصرت (قصرت) يدنا ..
« وانچانك (ان كنت) محمد (صلعم) صدك (صحيح) جدنا ..
« فكنا من زمان الصوجرية (العسكرية الانكليزية) .

ثم اتانا كوكس بالوعود ، فساد السلم ، وعلى تنفيذ الوعود عقدت الآمال وركزت الاماني ..

جلس فيصل على العرش فاضطرمت في نفوس الشبيبة روح الوطنية تعالت في سماء العراق بعد افولها اجيالا كثيرة ، وبدات تسير قوافل الشباب أفواجا نحو اسوار المدارس ..

تلك هي الحوادث التي ضربت على أوتار نفسي ، فوثبت ومن قبر جهلي مشيت الى صفوف الجند وعدفي الارتشاف من مناهل العلم والعرفان ... وما أصعب الفراق !. فودعت الرفاق ومدمعي ملء الدموع قاصدا بلادا غريبة تاركا ورائي العزيز في الحياة من رفيق ونسيب ، صديق وقريب ، بلاد وديار ...

بلادي ، عزيزة بحلوها ومرها ، باتراحها وافراحها ، هي أم حنونة من ثدي الفرات سقتني ماءاً عذباً ، ومن حبوب بعرق الجبين اختمرت طعمتني عيشاً طيباً ، من ثمار اشجارها اليانعة أكلتني ومن لبان اغنامها عند اشتداد الحر شربتني .. ما اطيب خبز الشعير وهو من نبات ارض الرافدين مخبوز، وما الذ اللبان وهو من ثدي اغنام العراق مستحلب !.

بلادي ، ولها اضمر حباً يحاكي حب الرضيع مرضعته ، ولما اتى اوان الوداع اوحت اليّ هامسة : لك مني يا بني مزيد الحب والحنان ، فان عين البلاد نحو فوز غدك واعماله تنظر ، سر يا صبي والخالق يرعاك ، فاذكر العيش ولبان الصفر ، ولتكن ذكرى الوطن نصب عينيك اتى كنت وحيثما صرت ، فان الله يود الوفي ..

رحلت ، وقد سجلت دموعي وعداً هو دين عليّ ، فبالوفاء بالوعد اصبحت تدور آمالي وأحلامي ..

بلغت بلدة الرشيد ومنها قصدت الحدباء حيث وجدت في اطلال نينوى عظمة تحاكي عظمة بابلي .. ثم قطعنا أرض ما بين النهرين ، دجلة والفرات ، وبعد ان اجتزنا الفرات سرنا شمالا ، والفرات يلازمنا يمينا ، حتى بلغنا الشهباء ، ومنها امتطينا القطار فبلغنا بيروت حيث الجامعة الامريكية هدفنا. حياة جديدة ملأت صدري وحياً وطموحاً .. هناك لقيت أبناء الوطن وفيهم وجدت حبا املا وطموحاً .. ما مضى الاّ القليل حتى وجدتني وبلغة الضاد شغفاً متعلقا ، لغتي وعلم نحوها كان أسهل عليّ من شرب اللبان ، اعراب كان اساتذتي فباخلاصهم وعونهم احسنت النحو حتى أمسيت وبلغة فصيحة انشيء المقال .

جامعة امريكا وارتباطها بالعالم الجديد فتحت نافذة طموحي فاصبحت نفسي تريد التجوال في ارجاء العالم الغربي .. امتطيت مياه بحر الروم موليا وجهي نحو خضم كولومبس قاصدا ارض الهنود الحمر .. فوقفت ذاهلا للمرة الاولى امام ناطحات السحاب وانا ارتقب الناس وهم يتراكضون وكانهم زمر من النحل والى معقلهم مسرعون . رأيت ورأيت وكان كل ما رايت يمثل المدنية الصناعية الحديثة باسنى درجة تقدمها .

ستا من السنين قضيتها في الولايات المتحدة الامريكية ، آنا بجنوبها تجدني واخرى بغربها ، وتارة بشرقها وطورا بشمالها ، ولجت عددا من الجامعات والكليات في مختلف انحائها شغفا بدراسة المجتمع الامريكي دراسة عملية على أمل أن أساهم يوما ما مع العاملين في اصلاح شؤوننا واعلاء شان عراقنا الحبيب .

كم قلت يا ليتني بقيت جاهلا وفي الجهل دفينا !.. اراني العلم تاريخ دسائس وصراع جرت على مسرح ديارنا وقد كنت أجهلها . أراني العرب أبيض واسود ، وما كنت عرفت في وطني غير اننا حيوان ناطق والكل سواء .. هذه مدنية الغرب ، رايت فيها غرورا جنسيا ، يعزل فيها الابيض عن الاسود ، والغربي من الشرقي ، وما كنت عرفت في وطني غير المساواة .. يعزلون في بعض ولايات امريكا ابن حواء كما يعزل الرعاة أغنامهم ، فتجد محلا لا يدخله غير الأسود وترى في القطار للابيض محلا خاصا لا يمسه الاسود .

في الجهل والسذاجة كنت وجدت راحة النفس وسكونها ، وفي جمال الطبيعة كنت قد ألفيت ترويحا واطمئنانا ، رأيت الآن ناطحات السحاب وسواد الجو يعمي الابصار ، رأيت الناس تركض ومرامها التمويل ، رايت القوي يستعبد الضعيف ، رأيت غاصبا ومغتصبا ، ظالما ومظلوما ، غنيا يتباهى بمنتوج مدنيته الحديثة ، وفقيرا يتضور جوعا ، وما اكثر مشاكل المدنية الحديثة القائمة على المادة !. رأيت ورايت ، عرفت وعرفت ، فاتضح الخفي ، وباتضاحه غدا عذابي يكثر ، وكثيرا ما يكون الجهل مجلبا للسعادة ، وكثيرا ما يكون في المعرفة شقاء ..

رايت بلاد العز والمجد في الوراء بعد ان كانت منار البسيطة ، اللهم ، فكيف السبيل الى استعادة ذلك المجد الغابر ؟ أفي القعود والتقاعس ؟. لقد دنا الأوان يا بني العراق ، كنت كما كان الكثير منا نجهل واجب الوطن ومعنى الحياة ، فذاك زمن مضى وكالنجم افل .. لكم يا بني الاوطان بتاريخ الأمس فخر مجيد ، كفانا قعودا وبذاك الفخر نصوغ الاحلام ، هذا زمن عمل ومن لم ينهض ليعمل في سبيل فخر الغد فاقرأ على مجد الأمس السلام ..

مسئولية ويا لها من مسئولية كبرى تقع على عاتق كل فرد في مجتمعنا العربي .. واجب مقدس ـ هو واجب الاتحاد والتآخي لتقوية الروح العربية الحقة والتضحية الصحيحة . لنغذّ الشعور بتلك المسؤولية وذلك الواجب ، اذ بهما يزول ماء الذل فنعود وببحر المجد نسيّر بواخر النصر والمجد مرددين قول الشاعر :

لا تسقني كاس الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز كاس الحنظل

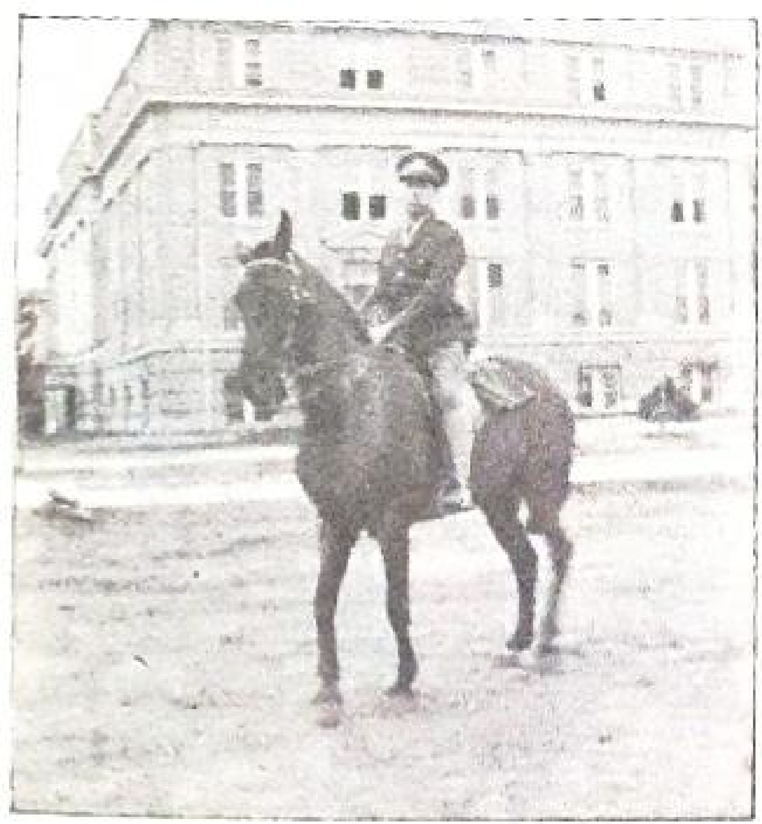
التصوير رقم (٤٦)

المؤلف في احدى حدائق كولورادو (انظر الفقرة ٦)



التصوير رقم (٤٧)

المؤلف في كلية تكساس العسكرية (انظر الفقرة ٦)



التصوير رقم (٤٨)

المؤلف في كلية تكساس العسكرية
(انظر الفقرة ٦)

٧ - مغامرات غرامية

ما من ذكريات ترسخ في ذهن المرء بعد بلوغه سن الشيخوخة مثل مغامراته الغرامية عبر مسيرة حياة الشباب • فقد صدق المرحوم الشيخ الشبيبي حين قال :

« عهد هوى كنا عهدناه
يفنى اصطباري عند ذكراه
لا انا أنساه فاسلو ولا
تذكره انت فترعاه • »

ان الحب مفتاح القلوب يخضع لسلطانه الغني والفقير ، الحاكم والمحكوم، القوي والضعيف على السواء ، فهو الذي يصمم جسر الحياة بين جرف الامل والسعادة وبين اليأس والشقاء ، فان وجد له تربة صالحة ازدهر وأثمر ثمارا يانعة ، والا كان نقمة ووبالا ••• وما اصدق قول الشاعر في ذلك ايضا :

« يا زمان الحب قد ولى الشباب
وتوارى العمر كالظل الضئيل
وانمحى الماضي كسطر من كتاب
خطه الوهم على الطرس البليل »

وانا لم أكن الا واحدا من هذه الزمرة البشرية التي تتأثر بعاطفة الشباب وتحس بشعور الحب والغرام ، وخاصة ما كان يحدثه تأثير انتقالي المفاجىء من محيطنا الشرقي المحافظ الى محيط العالم الجديد بما يتميز به من حرية وتطور فكنت والحالة هذه كمن كان نائماً ثم استيقظ فجأة ليواجه عالماً غريباً غير عالمه نبه كل حواسه • والعلاقات بين الجنسين تلعب دورا بارزا في المجتمع الامريكي • وأهم ما تأثرت به في هذا المجتمع الجديد ما كنت أشاهده على شاشة السينما من تبادل الغرام بين الجنسين واذا بي أشاهد ذلك يطبق عمليا تماما كما هو على شاشة السينما ، ولم أسلم من الاكتواء بناره فوقعت في شركه فعلا في أولى سني دراستي في امريكا وظل يلازمني سنة بعد أخرى حتى انتهى بزواجي • وانا اذ أقص هذه الحوادث الشخصية التي أسميتها بمغامرات غرامية انما استهدف من ذلك الكشف عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في امريكا ، تلك الحياة القلقة غير المستقرة التي يواجهها الطالب الشرقي في المجتمع الجديد حين يحتك به لاول مرة •

وخلاصة الحادث الاول اني تعرفت على أحد زملائي في الصف عندما كنت

في كلية ارلنكتون اسمه المستر بيكر كان هو وزوجته وطفله نازلين في بيت قريب من الكلية فدعاني لزيارته وعرفني على زوجته . وفيما كنا جالسين في الصالون دخلت فتاة رائعة الجمال فعرفني زميلي عليها وقال انها ابنة رب الدار واسمها ماكي‌لي وهو يرعى شؤون كنيسة البلدة ثم دخلت امها فعرفني عليها ايضا . واخذنا نتبادل الحديث في مواضيع مختلفة أكثرها عن العراق ، ثم طلب زميلي من الفتاة ان تشنف آذاننا بعزف قطعة موسيقية على البيانو ففعلت وقد صفقنا لها . وقد علمت من سياق الحديث ان الفتاة متخرجة من معهد الفنون الجميلة وهي وحيدة لاهلها . والفتاة آية من الجمال تقرأ على نضرة وجهها وحلاوة ملامحها الاحتشام وهي تمثل نموذجا من حياة العوائل الامريكية المسيحية القديمة وتعتبر محافظة بالنسبة للعوائل في المدن الكبرى من الولايات الامريكية . ومرت الايام وانا اتردد عليها بين حين وآخر فنخرج الى المتنزهات القريبة ، ثم كثرت لقاءاتنا فصرنا نلتقي يوميا دون انقطاع حتى تطورت علاقتنا الى حب وغرام . وكان صاحبي ينقل الي باستمرار اخبار الفتاة وشعورها نحوي وخاصة ما تبوح به لزوجته عن وقوعها في حبي، وكنت واثقا من انها تحبني حبا صادقا لا شائبة فيه وانها مستعدة ان تضحي كل شيء في سبيل تحقيق حلمها بارتباطنا برباط الزوجية ، وباختصار ان كلانا وقع في الشرك . وكم كنت اتمنى هذا الزواج لو كنت مستعدا له لان الفتاة كانت كاملة الصفات من جميع الوجوه وهي تحبني من أعماق قلبها وانا احبها وهنا أخذ يدور في ذهني التفكير في المستقبل : لقد تغربت عن وطني وقد جئت الى هذه البلاد لتحقيق هدف معين هو اتمام تحصيلي والعودة الى الوطن لانضم الى الاخوان في خدمته . فهل أضحي بكل ذلك ، هل أنسف كل احلامي وآمالي لالتهي بمغامرة مجهولة النتائج قد تجرني الى أن اهجر وطني لاعيش حياة الغربة طيلة حياتي ؟. لا . لا . لن يكون شيء من ذلك . ولن احيد عن الهدف الذي عاهدت نفسي على تحقيقه . فلا بد من انقطاع هذه الصلة والرجوع الى الوفاء بالعهد الذي قطعناه نحو الوطن . وهنا قررت الابتعاد عن مصدر هذا الشرك ومغادرة هذه الكلية باقرب وقت ، وقد تم ذلك فعلا ، فبعد انقضاء الدورة الدراسية مباشرة غادرت كلية ارلنكتون لالتحق بكلية كولورادو في غرب الولايات المتحدة الامريكية . وبعد وصولي مباشرة الى البلدة التي تقع فيها الكلية ارسلت الى فتاة أحلامي رسالة رقيقة ومؤثرة شرحت لها فيها ظروفي وهي ان واجب الوطن يدعوني بأن اكرس كل جهدي وطاقتي في سبيل تحقيق الهدف الذي جئت الى هذه البلاد من اجله اي اكمال تحصيلي والعودة الى بلدي الذي هو باشد الحاجة الى ابنائه من الشباب المثقف لينهض به الى ما يصبو اليه من تقدم وتطور ولما كان ذلك قد يستغرق عدة سنوات فلا يمكن ان يتم في مثل هذه الظروف زواجنا . لذلك ان الواجب يقضي بأن ننسى الماضي على الرغم من الألم الذي يخلفه لافسح المجال لها ان

بفقد رفيق حياتها وهي لا تزال في ربيع شبابها ، وودعتها بكلمات عاطفية رقيقة ولا ازال احتفظ بتصويرها وتصوير صاحبي وزوجته وطفله وهو الذي كان سببا في ورطتي دون قصد وهكذا انتهت مغامرتي الاولى بسلام .

ذهبت الى كولورادو ، وما اجمل كولورادو ، وما اروع مناظرها الساحرة الخلابة !. هي بلد الحب والغرام . فقد حباها الخالق بأسمى آيات الجمال حيث الطبيعة بازهى مظاهرها .. وكولورادو مشهورة بمساقطها السبعة (Seven Falls) أي شلالاتها السبع . وما كنت احسب حسابا للقدر الذي ما كاد ينقذني من ورطتي الاولى الا ليرميني باحضان ورطة ثانية لم استطع التغلب عليها والافلات منها هذه المرة فغلبت على أمري ولازمتني طوال السنوات التالية التي قضيتها في امريكا . وهذه قصتي الجديدة اشرحها باختصار :

كانت البلدة التي قصدتها تسمى « مساقط كولورادو » (Colorado Springs) نسبة الى المساقط السبعة التي تجاورها وهي تقع في ولاية كولورادو . وما ان وصلت اليها حتى راجعت ادارة الكلية فزودتني بقائمة باسماء العوائل التي تقبل عندها الطلاب . فاخترت احدى هذه العوائل القريبة من الكلية وهي تسكن بيتا جميلا مؤلفا من عدة غرف اخترت احداها ونقلت أمتعتي اليها . فأصبحت هذه الدار ملجاي الدائم طوال سنتين وجدت فيهما كل أسباب الراحة فضلا عن التمتع بالجو العائلي الذي فقدناه في غربتنا، اذ كان لدى العائلة طفلان جميلان يزيدان الجو العائلي زهوا وتعلقا . لم يمض أسبوع على وجودي في بلدة « مساقط كولورادو » حتى نزلت في نفس الدار في غرفة مجاورة فتاة جميلة ناهزت العشرين من عمرها ومعها أمها جاءتا في سيارتهما من كنساس سيتي في ولاية مزوري للاصطياف في بلدة « مساقط كولورادو » المشهورة ، فعرّفتني ربة الدار على الأم وابنتها وقد عرفت فيما بعد ان الفتاة وحيدة لاهلها مثل فتاتي الاولى واسمها « روبي » وان أباها أحد رجال الاعمال الامريكيين في حالة لا بأس بها من الرخاء . ولا يحتاج القارىء ان يتكهن ما سيحدث نتيجة هذا اللقاء غير المنتظر بين شاب وشابة في ربيع العمر يسكنان في بيت واحد ويجتمعان على مائدة طعام واحدة ويجلسان في صالون واحد للاستماع الى الموسيقى عدة مرات في كل يوم . وسرعان ما نمت صداقة والفة بيننا حتى صارت الأم وابنتها تدعواني لمرافقتهما في نزهاتهما اذ كانتا تذهبان يوميا في سيارتهما الى احدى المتنزهات في منطقة المساقط ، كما كنت انا والفتاة نخرج للنزهة مشيا على الاقدام في كل امسية بعد العشاء ونعود الى البيت في وقت متاخر وقد تطورت هذه العلاقة الى شبه تحابب بيني وبين الفتاة فصرنا نذهب الى المتنزهات لوحدنا في السيارة وقد ظهر لي ان الفتاة هي التي طلبت من أمها ذلك لكي ناخذ حريتنا . وكانت

هذه المرة الاولى التي نذهب فيها بالسيارة لوحدنا ، فصعدنا الى منطقة الشلالات وجلسنا هناك بين الاشجار في أجمل بقعة اخترناها الى جانب المساقط ٠ وما ان جلسنا حتى صرنا نتبادل الحب والغرام بصورة تلقائية كمن كان مكبوتا فانطلق من حبسه ، وكان ذلك بشكل مثير وعنيف جدا بحيث استأثر بكل حواسي وافقدني شعوري ، فاحسست اني وجدت الحب والحنان لاول مرة في حياتي ٠ وتكررت هذه النزهات بالذهاب الى نفس المكان يوميا فكنا نصحب معنا متاعنا ونقضي النهار كله متجولين بين المساقط والغابات مغتبطين بتلك العزلة الهادئة وتلك المناظر الساحرة ٠ وكانت الايام تنقضي بسرعة في غمرة هذا الجو الممتلىء بالحيوية والتآلف وسرعان ما دنت ساعة الفراق ساعة مغادرة روبي لتعود مع امها الى بلدهما ٠ فشعرت بفراغ تركه هذا الفراق لم يملأ الا بعد افتتاح الكلية في ١٢ ايلول ١٩٢٧ وانشغالي بالدرس ٠ ولكن لم تكن هذه النهاية بل هي البداية ، فقد تبع ذلك تبادل حب وغرام في مراسلاتنا المتواصلة استمرت طيلة السنة الدراسية حتى أصبح لدي كوم من الرسائل تحتاج الى خزانة خاصة ، هذا مع تبادل هدايا في مناسبات خاصة مثل يوم عيد ميلاد أحدنا أو يوم عيد من الاعياد مثل عيد (الكريسماس) وما الى ذلك من المناسبات الاخرى ٠ فكان كل منا ينتظر بفارغ الصبر حتى يحين موسم الصيف لكي يتم اللقاء بعد فراق قدر له ان يدوم تسعة أشهر ٠ وما ان حل هذا الموعد حتى جاءت روبي هذه المرة لا لتصطاف مع امها ولكن لتشبع من حبيبها ٠ فكان اللقاء مقرونا بحرارة الشوق والحب وأصبحت العلاقة أشبه بعلاقة الخطيب بخطيبته فكنا نتردد يوميا الى البقعة التي اخترناها بقرب المساقط ونرتاد نوادي الرقص حيث نقضي ساعات متأخرة من الليل ٠ وهذا كله لم يعزلني عن منهج الدراسة الذي قررته فكنت أواصل دراستي في خلال الصيف بالتحاقي في الدورة الصيفية ، فمرت هذه الصيفية بين الدرس والغرام بسرعة فتوطدت بيني وبين فتاة أحلامي رابطة قوية اتفقنا على أثرها الزواج حالما أتم دراستي وأحصل على شهادة الدكتوراه ثم نذهب سوية الى بلدي ، فوافق والداها على ذلك واستمرت مراسلاتنا بصورة متواصلة حتى حصلت على شهادة البكلوريوس في الهندسة من كلية كولورادو ٠ وقد دعيت في خلال هذه الفترة لقضاء عطلة عيد الميلاد عند أهل روبي ، فذهبت الى كنساس سيتي حيث تعرفت على والد روبي وبعض المقربين من الاهل حتى صرت اشعر وكأني احد أفراد العائلة وليس هناك أية قوة تستطيع أن تفرق بيننا ٠ وقد احتفى بي أهل روبي باعتباري خطيبها ، وما كان كل ذلك الا تكريما لروبي التي اختارتني رفيقا لمستقبل حياتها ومنحتني حبها ٠

وبمناسبة تخرجي في كلية كولورادو أرسلت العائلة الي برقية تهنئة ، ثم غادرت كولورادو متجها الى واشنطن حيث دخلت دورة صيفية في جامعة

واشنطن ، وفي طريقي الى واشنطن عرجت على كنساس سيتي حيث قضيت ليلة عند أهل روبي فخرجنا تلك الليلة الى أحد نوادي الرقص حيث قضينا وقتا ممتعا الى ساعة متأخرة بعد نصف الليل . فكانت كل أمنياتي وتطلعاتي مرتبطة بحبنا ومستقبلنا ، وهذا ما كان يدفعني أكثر فأكثر للانكباب على الدرس على أمل الانتهاء منه بأسرع وقت ممكن على أن لا ينتهي الا عند الدكتوراه وهو آخر ما كنت اطمح اليه .

حصلت على شهادة الماجستير من جامعة جورج واشنطن في شباط ١٩٢٩. ثم انتقلت الى جامعة جونس هوبكنس في بالتيمور للحصول على الدكتوراه منها. وفي خلال هذه الفترة بلغت بنبأ وفاة والد روبي فحزنت عليه وبكيته كما بكته ابنته الوحيدة . وقد كان لهذا الحادث الاليم اثره في اشتداد حبنا تعلقا. اذ أصبحت روبي تعلق كل آمالها ومستقبلها على صلاتنا وما وطدنا عليه النية من الزواج بعد حصولي على شهادة الدكتوراه مباشرة ، فارسلت الى روبي والى أمها برقية تعزية ثم رسالة اليها عبرت فيها عن عميق حبي لها وعن مستقبل حياتنا ، مما يعوض عن الفراغ الذي تركه موت والدها .

مرت الأيام بسرعة وأنا منكب على الدراسة فاستأجرت آلة طابعة وانصرفت كليا لطبع اطروحتي . هذا ومراسلاتنا متواصلة لم تنقطع وكلانا ينتظر اليوم الذي صبرنا عليه السنوات الطوال ، ولم يبق الا أسابيع معدودة حتى أتقدم الى الامتحان النهائي ومناقشة اطروحتي .

ومر كل شيء بسلام حتى تدخل القدر فانزل علينا فاجعة نسفت كل الأماني والاحلام والذكريات بل نسفت ذلك الحب الذي تأجج في نفسي طوال سنين .. نعم تلاشى كل شيء وانطوى الماضي بين وريقات حبنا . فيا لهول المصاب الفادح .

لقد كنت على مائدة الطعام حين سلمتني ربة الدار كتابا ، وما ان فضضته وكدت اتلو بدايته حتى وقعت عيني على دعوة لعقد قران فتصورته عقد قران أحد اقارب روبي ، ثم تفحصت الدعوة جيدا ، وما ان اتيت على آخرها حتى ايقنت ان الدعوة لعقد زواج روبي ذاتها على ... نعم عقد زواجها هي بالذات وهذه هي الدعوة التي كان مقررا ان تطبع باسمينا ..

هل اصدق ما شهدته عيناي ؟. تسمرت في مكاني فوقفت لقمتي في فمي وكان وقع الصدمة عنيفا على نفسي .. فتركت مائدة الفطور ولجأت الى غرفتي لاكون وحدي مع نفسي وانطرحت على الفراش وكاني في حلم ، فكانت الذكريات تتماوج في ذهني حتى صرت أهذي هذيان المريض في أشد حمته واتساءل في دخيلتي : بالله اهذا الذي قراته حقيقة واقعة ؟. رباه أنا لا اصدق. بالله اهذه هي حقا اتكون هي التي عرفتها من قبل واحببتها حب العبادة

والجنون ؟٠ وكنت أصك على اسناني وأستشعر الغضب يتأجج في نفسي ، اذ كان هذا الحادث طعنة لكرامتي ورجولتي وخيانة للعهد فاخذت الاحاسيس والمشاعر المتضاربة تغمرني فكرهت الحياة الامريكية وكرهت كل شيء امريكي ولعنت الساعة التي جاءت بي الى هذه البلاد لاتذوق هذا العذاب ، فاستولت عليّ نشوة من الغضب وتولدت عندي نقمة عارمة على النساء جميعا ٠

وبقي هذا الصراع يدور في ذهني اياما بلياليها حتى انتهى بانتصار العقل على العاطفة فادركت ان العلاج الوحيد هو الرجوع الى كتبي لأتم دراستي باسرع وقت كي يتسنى لي مغادرة هذه البلاد بسرعة غير آسف على تركي اياها ٠ وهكذا بدأ وقع الصدمة يخف شيئا فشيئا ، فكتبت رسالة مقتضبة مهنئا فيها فتاة احلامي بعقد زواجها متمنيا لها السعادة والهناء ٠ وفي الوقت نفسه جمعت كل رسائلها وأودعتها في حقيبة كبيرة وشحنتها في القطار ٠ ولما عرفت ربة البيت بقصتي وهي مطلعة على سابق علاقتي بروبي أخذت تنصحني بأن انسى الماضي وانصرف الى اتمام دراستي فعملت بنصيحتها وصممت على ان انجح وأتخرج في الجامعة بتفوق ثم اغادر هذه البلاد التي عشت فيها ست سنوات من ربيع الحياة خبرت خلالها حسناتها وسيئاتها غير آسف على مغادرتها ٠

ومرت الأيام بعد هدوء العاصفة واقترب يوم تخرجي بعد ان اديت الامتحان بنجاح كبير واذا برسالة تصلني من كنساس سيتي ، وما تناولت الرسالة حتى اخذ قلبي يدق ففضضتها بيد مرتجفة واذا بها من أم روبي تحمل بين طياتها خبر حادث خطير وقع لروبي أثار المشاعر من جديد ٠٠ ما هو هذا الحادث الخطير ؟٠ هاك نص خطاب أم روبي وهو يوضح ما حدث :

عزيزي ٠٠

الآن وانا اكتب اليك هذه السطور يتنازعني وخز الضمير لما اقترفته بحق روبي وبحقك ٠٠ فانا وحدي مسؤولة عن كل ما حدث ٠٠ ولا أدري كيف أكفر عن هذا الذنب الذي ارتكبته بحقكما ٠٠ لذلك جئت بهذا اطلب اليك أن تغفر لي عما جنيت عليك وعلى ابنتي روبي ٠٠ وان كانت هذه المغفرة لا تفي بشيء بعد فوات الاوان ٠

ان روبي هي الآن في بيتنا تركت زوجها بعد اول لقاء للزوجية وعادت الى بيتها تندب حظها ، لاني انا التي حملتها على الزواج من ٠٠٠ وهي لا تحب سواك ٠٠ وهي تصر على طلب الطلاق من زوجها ٠٠

ولما كانت روبي عاجزة عن ان تكتب اليك فجئت بهذا لاخبرك بما حدث فرجاني الآن ان تكتب لروبي وتوآسيها على مأساتها هذه وهي ترغب في لقائك

في اي حال من الاحوال فاذا استجبت لرغبتها اقترح ان يتم اللقاء في مكـان ما تتفقون عليه . هذا واكرر رجائي بأن تغفـر لي عما جنيت وارجو لك دوام التوفيق مع أخلص التمنيات .

المخلصـة
(...)

ولا حاجة لأعبر الى القارىء عما أصابني من الذهول بعد تلاوة هذا الخطاب من أم روبي ، فقد وقع وقوع الصاعقة على نفسي اذ هزني بعنف واثار كل مشاعري من جديد ، هل أصدق عيني بما قرات ؟. وهل البي الطلب بعد كل ما حدث ؟. فقد كنت في حيرة من أمري . ولكن كان عليّ أن اتخذ القـرار الحاسم فاتخذته دون تردد وهو : لا مراسلة ولا لقاء . فكتبت جوابا مقتضبا بهذا المعنى هذا نصه :

عزيزتي ..
تسلمت مع الشكر رسالتك . اننا كلنا نأسف لما حدث ولو كان للاسف والندم مجال لاصلاح الحال واعادة الامور الى مجاريها فباب الأمل في محنتنا هذه مغلوق . فعلينا والحالة هذه أن نواجه الحقيقة الواقعة وهي ان الواجب يقضي بقطع صلتي بروبي في الظروف الحاضـرة على أقل تقدير . فروبي متزوجة شرعا من شخص ثان وان افترقت منه ، ولهذا الشخص الحـق وكل الحق ان ينقم على من ينافسه على زوجته الشرعية فخير لكلينا أنا وروبي أن ننسى الماضي ويبدأ كل منا حياة جـديدة ، لان الماضي لن يعـود ثانية . تحيتي لروبي .

المخلص

لقد كنت أظن ان جوابي هذا سيكون خاتمة المطاف وسيسدل الستار عما مضى ولكن خاب ظني ، ففيما كنت منكبا اعـد امتعتي استعدادا للرحيـل والعودة الى الوطن واذا بنداء تلفوني من كنساس سيتي فنادتني صاحبة الدار وهي مطلعة على كل شيء وقالت اظنها روبي او أمها . تناولت السماعة وقلبي يخفق حتى صرت أسمع دقاته باذني .. فقد كانت روبي بالذات . قالت بصوت مكلوم وقد تحطمت معنوياتها فكانت كالقائد المنهزم في ساحة الحرب ، قالت : وهل لا تزال ناقما عليّ يا حبيبي ؟.. قلت هذا حكم القدر وقد شاء ان يختبر مدى حبنا وهو يهزأ منا ، فكانت تجربة قاسية علينا .. قالت اريـد ان اراك قبل مغادرتك للبلاد ولو للمرة الاخيرة فهل تسمح لي بالمجيء الى بالتيمور لاحضر حفلة تخرجك ؟

وهنا بدا الصراع بين العاطفة وتحكيم العقل فكانت تتنازعني عوامل الحب

والانتقام والعتاب ، قلت دون شعور : طبعا كيف لا اسمح لك ان كنت راغبة في ذلك ؟ وبعد ان عينت يوم مجيئها وساعة وصولها وكان ذلك يوم الحفل وقبل سفري بيوم واحد ودعتني بقولها : فالى اللقاء يا عزيزي ٠

عدت الى غرفتي وصرت اسائل نفسي مستعرضا شريط الاحداث : هل كان خضوعي للعاطفة ضعفا مني ؟٠ فهل اغفر لها استهتارها بعاطفتي وهجرها لي، وهل اغفر لها خيانة العهد ؟٠ ثم اعود فاقول لنفسي : كيف لا تتغلب العاطفة؟ فهل انسى تلك السنين التي قضيناها ونحن منغمسون في حبنا نتذوق اشهى طعام الغرام فيها ؟٠ فكيف انسى تلك الأعوام التي مرت كالسحاب امام هواء العاصفة ؟٠ فكانت الدنيا كلها ترقص وايانا على نغم حبنا حتى حلت المصيبة فقضت على كل آمالنا ٠ يا لها من ذكرى مؤلمة مريرة ٠٠ يا لها من حسرة لا تفنى حتى الموت ٠٠ لقد مر على تلك الحادثة خمس واربعون سنة ولا تزال روبي ماثلة امامي وهي مشتبكة في صراعها النفسي وعذاب الضمير الذي كان يؤنبها ٠

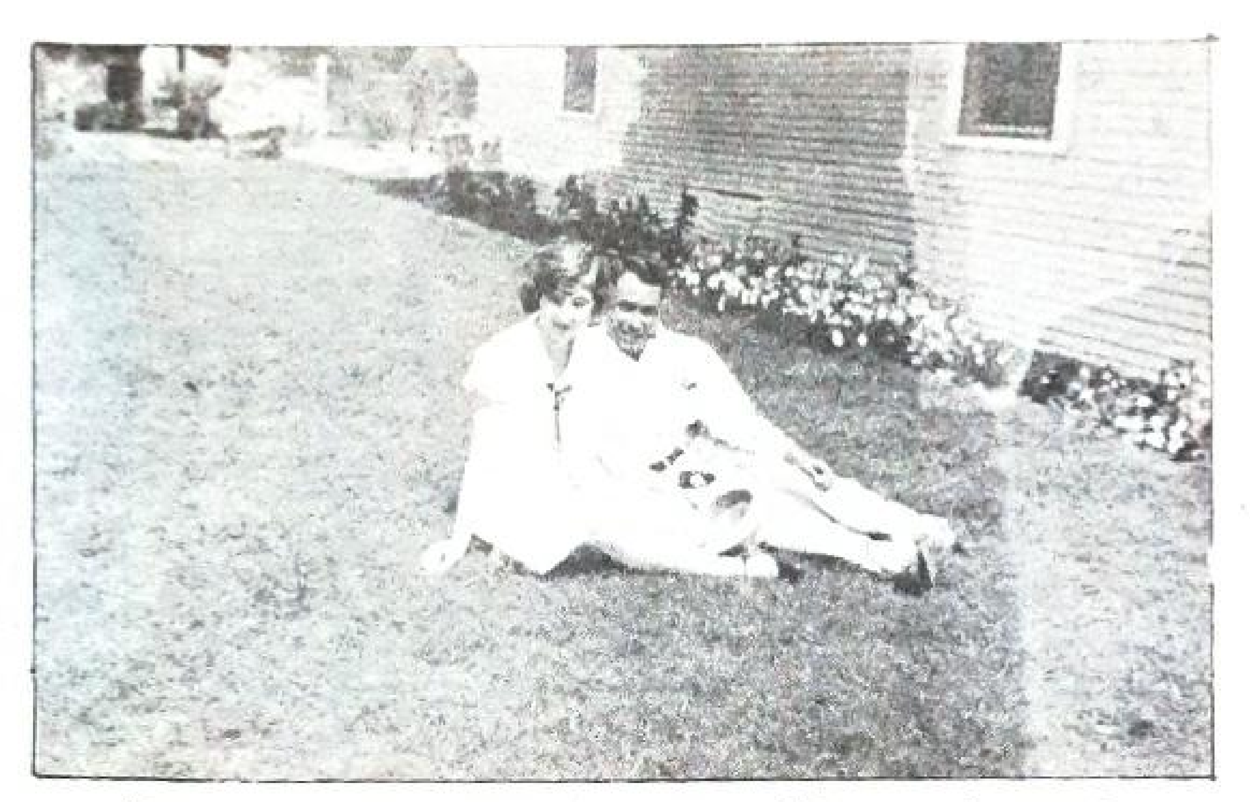
ذهبت لاستقبال روبي في محطة القطار فكانت تتصارع الخواطر في ذهني: هل لنا الحق ان نتحاضن عند اللقاء ؟ وهل تسمح لنا التقاليد المرعية بأن نعود الى الماضي ونستانف تبادل الحب والغرام ؟٠ استقبلتها وما كان مجال لتجنب التحاضن عند اللقاء فاضطررت أن أقضي كل وقتي معها فحضرت حفلة التخرج وهنأتني بقبلات حارة ٠ وفي اليوم التالي (يوم ١٧ حزيران ١٩٣٠) ذهبنا الى الباخرة التي ستقلني الى فرنسا (S.S. De Grasse) فكانت روبي ترافقني وأنا انقل امتعتي الى الغرفة المحددة لي ٠ فجلسنا على الاريكة ، وهنا اخذت تدور في ذهنينا خواطر وذكريات ، فقد كنا ننتظر هذه الساعة بفارغ الصبر لنحتفل بزواجنا ونأتي الى الباخرة التي ستقلنا الى اوروبا لقضاء شهر العسل ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، فكانت مشيئة القدر ان نجتمع على الباخرة لتوديع آخر لقاء بعد ان حدث ما حدث من تطور قلب الامور الى هذه النهاية المحزنة ٠ وفيما نحن نطلق العنان لهذه الخواطر اطلقت الباخرة آخر صفاراتها فدنا وقت الرحيل فودعتني روبي بقبلاتها الحارة وغادرت الباخرة والدموع تسيل من مآقيها مدرارة فتارة تمسحها بمنديلها وتارة تجهش بالبكاء وهي تندب حظها الذي حطم كل آمالها فطلبت عنواني في باريس وفي العراق فاعطيتهما لها وقالت أنا ماضية في سير معاملة طلاقي من هذا الزواج الذي ارغمت عليه وارجو ان لا تحرمني من اخبارك ٠ ثم وقفت عند سياج الباخرة لاتابع خطوات روبي وهي تغادر الباخرة فوقفت عند الرصيف واخذت تهتف بيدها وقد ظلت واقفة تتابع تحرك الباخرة من مراسيها حتى غابت عنها في عمق البحر ٠

رجعت الى غرفتي فكنت متعبا وكانت اعصابي متوترة نتيجة السهر

اواصل لاعداد اطروحتي والتحضير للامتحان النهائي ونتيجة ما اصابني من ارهاق بسبب الخاتمة المفجعة التي انتهى اليها صراع حبنا فحطم آمالي وتطلعاتي لمستقبل سعيد مع فتاة أحلامي . فلجات الى وحدتي التمس الراحة لاول مرة بعد ست سنوات قضيتها في امريكا تحت ضغط حياة مرهقة لا تعرف الراحة والهدوء . انسطحت على السرير واخذت استعرض في مخيلتي شريط الاحداث التي مرت وما كان من نهاية علاقتي بروبي وزواجها وقد كان للمادة دور رئيس فيها ، فقد ارادت أم روبي زوجا من اصحاب البنوك لابنتها فحطمت مستقبلها وهدمت كل ما كانت تصبو اليه من حياة زوجية سعيدة في ظل الحب والحنان . مرت تلك الخواطر في ذهني كما يمر البرق الخاطف وانا اسائل نفسي واقول : أهذه هي الحياة التي عشتها ست سنوات في امريكا خبرت حسناتها وسيئاتها تجولت في كل أنحائها وتغلغلت في صميم حياتها الاجتماعية ، فهل تعتبر هذه الحياة القائمة على المادة الحياة التي يتمناها المرء لضمان سعادته واستقراره النفسي ؟ وهل هذه هي الحياة التي تمثل التقدم البشري ؟ وفي الوقت نفسه كنت اسلي نفسي بقرب عودتي الى الوطن وانا أحمل أعلى شهادة بل أول شهادة دكتوراه يحملها عراقي من امريكا بشرف ما يؤهلني للدخول في ميدان الخدمة العامة وهو الهدف الذي من اجله تحملنا مشاق حياة الغربة السنوات الطوال .

وحياة الباخرة تمثل عالما مستقلا قائما بذاته ، عالما عائما فوق سطح الماء ، يضم مسافرين من أنحاء العالم كافة ، تجمعهم الباخرة فوق سطح واحد ، ورفقة الباخرة ترسخ في ذهن المرء وتوطد أواصر الصداقة العالمية . وليس اجمل من حياة الباخرة خاصة اذا كان البحر هادئا .. فكنت أنسطح على الكرسي المستطيل وأتأمل مياه البحر ذلك العمق الذي لا نهاية له فلا ترى غير الماء والسماء يبعثان بلونهما الازرق الصافي جوا من السكينة وراحة الاعصاب وهدوء البال ، فصرت اتمنى أن تطول رحلة الباخرة لاشفي غليلي من هذا الجو الرائع فاعوّض فيه عما تحملته من التعب والارهاق .

وانا في مثل هذا الظرف كنت اتصور كل شيء الاّ شيئا واحدا ، وهو ان ادخل في مغامرة جديدة مع فتاة اميركية جديدة بعد الذي حدث ، ولكن حكم القدر والنصيب هو اقوى من الارادة ، وهو الذي يفرض حكمه في أمور الناس ، وما أصدق المثل العامي القائل (كل شي بالقسمة والنصيب) .. وهكذا فقد لعب القدر لعبته واعد خطة ليطرحني في غمرة مغامرة غرامية جديدة مع فتاة اميركية جديدة كانت على ظهر الباخرة . وهذه الفتاة الجديدة ظهرت على الباخرة وهي في طريقها الى باريس وكانها كانت على موعد مع روبي جاءت الثانية لتودعني والاولى لتحل محلها . فما اغرب حكم القدر (والقسمة) . وهنا تبدأ قصتي الجديدة شهدت الباخرة أولى أدوارها وانتهت هذه المرة



التصوير رقم (٤٩) ـ المؤلف مع ماكي لي في مغامرته الغرامية الاولى .. (انظر الفقرة ٧)



التصوير رقم (٥٠) ـ تصوير آخر للمؤلف مع ماكي لي في مغامرته الاولى ..
(انظر الفقرة ٧)



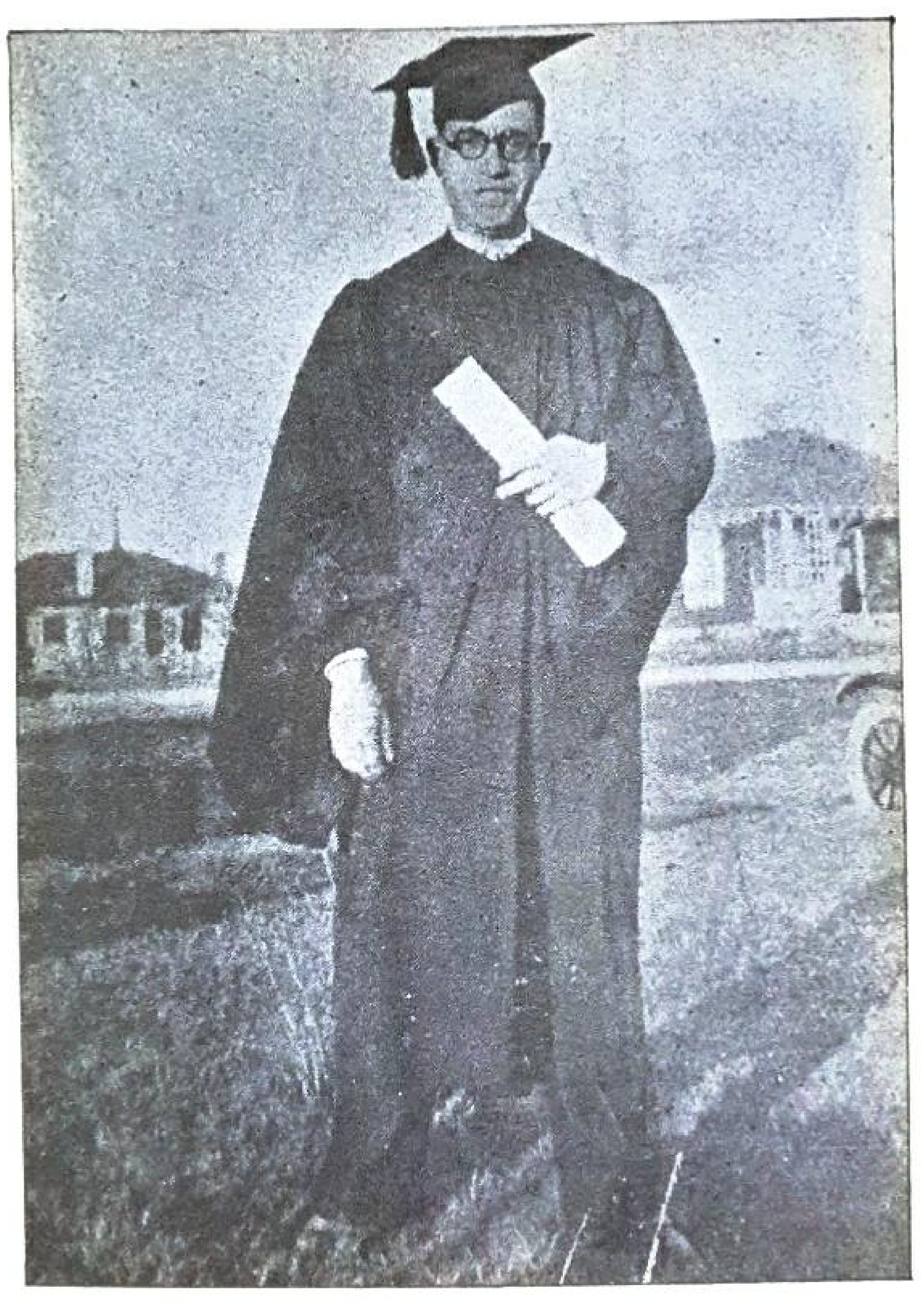
التصوير رقم (٥١) - المؤلف مع روبي في مغامرته الغرامية الثانية في حدائق كولورادو . (انظر الفقرة ٧)

بالزواج من الفتاة الجديدة وهذه خلاصتها :

دخلت ذات يوم الى صالة الرقص حيث تقام حفلات الرقص كل مساء ، فيجتمع ركاب الباخرة في هذه الصالة رجالا ونساء على اختلاف أعمارهم ، فبعضهم يتمتع بالرقص والبعض الآخر يجلس على المقاعد لمشاهدة الرقص وسماع الموسيقى . فدخلت الصالة لاقضي بعض الوقت فصادف جلوسي الى جانب فتاة امريكية ، وما أسهل التمييز بين الامريكي وغير الامريكي فسلمت عليها وأجابتني بلطف ، نظرت اليها واذا بها فتاة ممشوقة القد ، رشيقة الجسم ، بيضاء الوجه ، كستنائية الشعر ، انيقة الثياب ، قد ناهزت الرابعة او الخامسة والعشرين من عمرها ، كان يبدو على وجهها سيماء الخجل والحرج مما يدل على انها من عائلة محافظة تخرج لاول مرة خارج بلادها . وفيما انا انظر اليها لمحت انها قد علقت على صدرها المفتاح الذهبي الذي يمنح لمتخرجي الجامعات بتفوق ، أي انها عضوة في جمعية (فاي بيتا كابا) التي اتمتع بعضويتها(٧) ، فسألتها مشيرا الى المفتاح الذهبي في صدرها عن الجامعة التي تخرجت فيها فذكرت انها تحمل شهادة الماجستير من جامعة آيوا الامريكية وهي الآن تدرس اللغة الفرنسية في نفس الجامعة التي تخرجت فيها وانها ذاهبة الى باريس لقضاء العطلة الصيفية وممارسة الفرنسية بين

---

(٧) انظر ما تقدم في الفقرة ٥ من هذا الباب « دراستي في أمريكا »



التصوير رقم (٥٢) ـ المؤلف في زي التخرج من جامعة جونس هوبكنس سنة ١٩٣٠

مرسبين . وما ان ذكرت لها اني عضو في جمعية « فاي بيتا كابا » ايضا واحمل شهادة الدكتوراه من جامعة جونس هوبكنس حتى نظرت الي بدهشة تجاه هذه المصادفة غير المنتظرة . فكانت هذه العضوية عاملا مشجعا على تبادل الاسئلة والاجوبة ومعرفة الشيء الكثير عن سيرتها فادركت ان هذه الفتاة تختلف من كل الوجوه عن الفتيات اللواتي عرفتهن فازداد اهتمامي بها . وكانت وحيدة لأهلها مثل روبي ولكنها تختلف عنها في عدة نواحي فهي ناضجة متفتحة في جانب احتشامها ، ورزانتها قد تربت في الريف على مزرعة عائلتها التي تنحدر من العوائل الانكليزية المسيحية القديمة التي هاجرت الى امريكا في اواخر القرن السادس عشر للميلاد . أما اسمها فماري اليزابث تومسون .

والغريب في هذه الفتاة انها لم تزل محافظة على تقاليد عوائل أهل الريف من الامريكان الاصليين فهي لم تحسن الرقص ولم تمارس التدخين او شرب الخمر ، والاكثر من ذلك أنها لم تختلط طيلة حياتها الجامعية مع الشبان وقد حذرها اهلها من الرجال وخداعهم بحيث صارت تخشاهم لا تأمن صحبتهم ؛ كما كانت تعتقد مع ثقافتها الحديثة بانه لا يجوز للفتاة ان تتبادل الحب مع غير خطيبها الذي يزكيه أهلها . وقد لاحظت فيما بعد انها كانت تمتنع من القيام ببعض الاعمال يوم الاحد محتفظة في ذلك بالعادات القديمة التي تمارس في الريف . وخلاصة القول انها كانت تجمع بين التقاليد الشرقية المحافظة والثقافة الغربية الحديثة .

خرجت وإياها من صالة الرقص الى سطح الباخرة ، فكان النسيم عليلا ، والسماء صافية الأديم ، والبدر أسدل أشعته الذهبية على وجه البحر الساكن الهادر فجلسنا على الكراسي المستطيلة وأخذنا نتبادل الحديث في شتى المواضيع ؛ فظهر لي انها كانت قلقة محرجة بوجودها منفردة مع شاب غريب دون رقيب لذلك كنت أحاول أن استميل ثقتها بأحاديث تبعث الاطمئنان في نفسها فقلت لها : أنا الآن متعب وفي حالة تكاد تنهار فيها اعصابي وغاية ما انشده هو الراحة والهدوء بعد حوالي عشر سنوات قضيتها في الدراسة وانقضت عليها ما حدث لي مع روبي مما جعلني أن أزهد في الحياة والابتعاد عن كل ما يثير الشجون وقلت لها اني وجدت فيها خير رفيق ينسيني الماضي وما فيه من بواعث الاضطراب النفسي . ذلك ما طمنها باني لست من نوع الرجال التي تخشاهم . ثم صرنا نلتقي يوميا سواء على مائدة الطعام او صالة الرقص او على سطح الباخرة ونمت بيننا صلة الفة وصداقة بريئة واستأثر بنا الشعور بأن كلا منا بحاجة الى الآخر في صحبة السفر . فقالت انها لا تعرف احدا في باريس يعينها في رحلاتها وجولاتها ويسعدها ان تكون برفقتي في خلال مدة وجودي في باريس . فقلت هذا ما يسعدني ايضا لأني اود ان اقضي بضعة أيام في باريس لاطلع على معالمها السياحية والتاريخية قبل ان اعود

الى بلادي وارتبط بعملي . وهكذا كان فلم نفترق بعد نزولنا الى البر في مرفا الهافر في شمال فرنسا فركبنا القطار توا قاصدين باريس . ولما وصلنا الى باريس نزلنا في فندق واحد في غرفتين متجاورتين ، فلم اتذكر اسم الفندق ولكنني اتذكر انه كان يقع في شارع ضيق وبنايته واسعة مؤلفة من طابقين فقط وغرفه واسعة وسقفها مرتفع على النحو الذي كانت عليه البنايات القديمة . وقد وضعنا منهجنا وهو ان نقوم كل يوم بزيارة الى الموقع الذي نحدده لذلك اليوم . وكنا نتناوب بيننا في تولي مسؤولية الصرف على جولاتنا وعلى طعامنا فيوم اتولى انا هذه المهمة ويوم تتولاها هي . وفي المساء كنا نذهب الى السينما أو المتنزهات العامة أو نقضي سهرتنا في الفندق ، فلم نترك مكانا سياحيا عاما او متحفا أو معرضا أو موقعا تاريخيا الا زرناه واخذنا لها بعض التصاوير ، فمضى أسبوعان ونحن نسير على هذا المنوال حتى دنا وقت الرحيل فشعرت بأني باشد الحاجة الى الركون الى الوحدة والانفراد للتمتع بالراحة والنوم الكافي لاستعيد صحتي ونشاطي ، فصممت على الذهاب الى سويسرا لقضاء بضعة أيام هناك ، ثم الذهاب الى لبنان لقضاء بضعة ايام هناك أيضا قبل عودتي الى العراق ، فكانت صاحبتي ترغب في مرافقتي في رحلتي هذه ولكنني لم اشجعها على ذلك لاني كنت أود أن أتمتع بوحدتي كما ذكرت . فودعتها دون ان أقبلها وان كنت أشعر بأنها كانت ترغب في ذلك ، وقد تعمدت عدم تقبيلها استجابة لما كانت تعتقده من أنه لا يجوز للفتاة ان تمنح القبلة الاولى لغير خطيبها ، فودعتها وأنا أشعر بفراغ تركته رغم رغبتي في الانفراد والركون الى الراحة والهدوء . ولم يخطر ببالي حينذاك فكرة الزواج واهم ما كنت أرنو اليه هو الراحة والاستجمام ، وكنت اظن ان انتهى بي المطاف الى هذا الحد ولكن النصيب يعود فيتدخل القدر كما سنرى فتتطور الامور حتى تنتهي بزواجنا .

قضيت عدة أيام في سويسرا متجولا في مناطقها الجميلة ، ثم ذهبت الى لبنان مسقط راس دراستي الاولى وانا أعود اليه بعد غياب ست سنوات ، وأول شيء اجتذب انتباهي ما كان يدور في الاندية والصحف آنذاك حول موضوع فلسطين المنكوبة ووعد بلفور المشئوم فاثار احساسي وسخطي على الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية مما حملني على كتابة مقال نشرته في جريدة الاحرار البيروتية في عددها الصادر يوم ٢٨ آب ١٩٣٠ بعنوان « فلسطين بين العرب والصهيونيين » شرحت فيه المطامع الاستعمارية البريطانية ودورها في تبني مشروع استعمار فلسطين على يد الصهيونيين ودعوت في نداء وجهته الى اليهود العرب الى شجب واستنكار وعد بلفور وتوحيد الجهود في سبيل مناهضة المساعي لاستعمار فلسطين العربية وتشريد سكانها العرب

والنيل من حقوقهم في بلدهم.(٨)

وفي لبنان قصدت زحلة حيث كنا نقضي صيفياتنا عندما كنا طلابا في الجامعة الامريكية في بيروت ، وهنا استاثرت بي ذكريات ايام دراستي الاولى ، فاعادت الى ذهني صورا من صور تلك الايام المبهجة التي كنا نقضيها مع اخواننا العراقيين ، اذ كانت تجمعنا رابطة الوطن الذي كان يعاني من طغيان الانكليز وتعنتهم ، وخاصة في أعقاب الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين) تلك الثورة التي بعثت الحماس والطموح والاندفاع لتحقيق الوحدة العراقية المتماسكة والوحدة العربية الشاملة . ولم تكن هذه الثورة الا مظهرا من مظاهر حركة التحرر من نير الاستعمار الغاشم الذي سلب العرب استقلالهم وحريتهم وكرامتهم . وما ان تشكل الحكم الوطني المزيف في العراق حتى وضع



التصوير رقم (٥٣) - المؤلف في زحلة مع الاخوة العراقيين وهم من اليمين : المؤلف ، المرحوم الشاعر الشيخ مهدي البصير ، عبدالوهاب كمونة ، علي الوائلي ، عبود شلاش (اخذت في ٢٩ تموز ١٩٣٠)

---

(٨) انظر الملحق (٢) « فلسطين بين العرب والصهيونيين »

الانكليز مخططاتهم فرسموا السياسة التي اناطوا مسؤولية تطبيقها بزمرة من اهل البلاد . وهكذا شرعوا التشريعات حسب ما يقتضيه منهج مخططهم هذا الذي ضمن لهم ما يبغون من امتيازات ومواثيق تربط العراق بعجلة المصالح الاستعمارية البريطانية . ثم أخذوا ينفثون سمومهم باحداث التفرقة بين ابناء الشعب وتشجيع النعرات الطائفية ، فغرسوا في النفوس الحقد والبغضاء، ليتمكنوا من التلاعب بمقدرات بلاد العرب وفق مصالحهم .

كان هذا الغليان مستحوذا على أوضاعنا السياسية والاجتماعية حين رجعت الى العراق فولد في نفسي خيبة امل ورد فعل ، وفي غمرة هذه التاملات وردتني رسالتان ، رسالة من روبي تقول فيها انها على وشك أن تنهي معاملة الطلاق من زوجها وتطلب اليّ ان اكتب اليها واوافيها بأخباري ، والثانية من ماري رفيقة الباخرة وباريس ، فبعثت جوابا على الرسالة الثانية واهملت الاولى ، وبعد أيام قلائل وصلتني رسالة ثانية من روبي تخبرني فيها انها حصلت على طلاقها وهي ترجو أن اراسلها . وشاء القدر ان تتطور علاقتي مع ماري بعد تبادل رسائل بيني وبينها اكثر من سنتين فنمت بيننا علاقة متبادلة من الود والتقدير . وكلما كانت تمر الايام كلما زادت قناعتي بان ماري هي الفتاة الشرقية الغربية التي جمعت الصفات المطلوبة لاتخذها رفيقة حياتي ، ومع أن رسائلها كانت تعبّر من طرف غير مباشر عن ميلها اليّ لم أكن متاكدا من موقفها فيما اذا فاتحتها بطلب الزواج ، ففاتحتها في ذلك ؛ وكم كانت دهشتي حين جاءني الجواب بأنها كانت تنتظر بفارغ الصبر ان أتقدم بهذا الطلب وقد كانت تخجل ان تفاتحني في أمر حبها لي قبل أن تتأكد من شعوري نحوها ، وهكذا فقد ربطت ماري حبها ومستقبلها بي مضحية بكل ما كانت تتمتع به من توافر وسائل العيش لتعيش في بلد غريب ومجهول مع من أحبته عن صدق واخلاص ، فتركت وظيفتها واهلها وجاءتني الى بيروت حيث عقد زواجنا في القنصلية الامريكية ببيروت بتاريخ ٩ مايس ١٩٣٢ . وقد وقفت ماري موقفا حازما أمام معارضة اهلها حتى اضطرتهم الى الرضوخ لارادتها . وهكذا فقد حكم النصيب (أو القسمة) كما نعبر عنه بهذا الزواج وكانت نهاية المطاف بان ارسلت بطاقة مطبوعة بالانكليزية تحمل خبر زواجي من ماري الى روبي لاحاطتها علما بذلك فتكف عن مراسلتي . وبهذا فقد سلكت نفس الطريقة التي سلكتها في مفاجئتي بخبر زواجها بدعوتها اياي لحضور حفلة زواجها وكانت تبادلا دعوةً بدعوة .

وكان عليّ بعد عودتي الى الوطن مع ماري ان نعيش لوحدنا وذلك لمقاطعة الأهل لنا ، فاستأجرت دارا صغيرة في بغداد واشتريت بعض الاثاث البسيطة بقدر الحاجة وامضينا بعض الوقت على هذا النحو حتى انيطت بي مهمة هندسية خارج بغداد ، فكنت بين امرين ، اما ان اتركها لوحدها في بغداد

واما ان أستصحبها لتعيش معي في الخيمة التي كانت مقر عملي ، فصرنا تارة نعمل بالطريقة الاولى وتارة أخرى بالطريقة الثانية وكانت تتحمل كل ذلك من غير أن تتذمر • وفي غضون ذلك انصابت ماري بداء الخناق ، وهو مرض معد نادرا ما يصاب به الكبار ، فعزلنا في دارنا ولم يسمح لأحد ان يتصل بنا او يزورنا ، فكاد يقضي هذا المرض عليها لولا الاهتمام والعناية الخاصة من احد الاطباء الانكليز يومذاك يدعى الدكتور كراهام على ما اتذكر ، فكان يزورنا يوميا وفي بعض الاحيان مرتين في اليوم حتى أنقذ حياتها بعد أن يئسنا من شفائها ، ولم يتقاضى منا أي أجر بل كان يزودنا بالادوية المطلوبة دون أن يتقاضى ثمنها • فبقيت ممرضا لها طيلة ايام مرضها الذي دام حوالي خمسة عشر يوما لم يدخلنا في خلالها احد غير الطبيب • وكنت اقوم بنفسي باحضار الطعام وتنظيف الدار وغسل الالبسة ، وكان خادمنا ياتي مرتين كل يوم يجهزنا بما نحتاجه من المؤن ويسلمه لنا من الباب دون أن يدخل الدار • وكانت زوجة مديرنا البريطاني (مدير الري) تاتي يوميا وتجهزنا من الباب بطعام خاص لماري دون ان تسترجع الاواني فتجمعت عندنا ، وعلى اثر شفاء ماري تم تعقيم كل شيء في الدار •

كانت هذه اول صدمة اعتورتنا في حياتنا الزوجية الاولى قاومنا مصاعبها بحزم وثبات ذللها لنا ذلك الطبيب الانساني العظيم فكان نموذجا للمثل الاعلى الذي يجب أن يتصف به كل طبيب ، هذا بغض النظر عن الدوافع التي حملته على قيامه بهذه العملية الانسانية النادرة ، اي الرابطة القومية التي تربطه بها • وقد كانت ماري تقول في أثناء مرضها انني ساتحمل كل شيء كي ابقي حياتي وحبي لك واني واثقة بعون الله اني ساشفى • وقد زادت هذه الحادثة رغم آلامها تعلق ماري بي حتى صارت تستهون كل العقبات في سبيل تكييف نفسها للمحيط الجديد • قضينا بعد ذلك قسطا من الراحة والاستقرار فترة من الزمن في بغداد رزقنا في خلالها بطفل ذكر سميناه (فيصل جميل) وكان ذلك في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٣٤ المصادف لليوم الثالث من عيد الفطر المبارك • ثم بعد ان بلغ الطفل حوالي الشهر الثامن من عمره صدر الامر بنقلي الى بعقوبة مهندسا مسؤولا عن منطقة ري ديالى وهي اول مسؤولية فنية مستقلة ذات صلاحيات يتسلمها العراقيون الفنيون من المهندسين البريطانيين ، فمكثنا في بعقوبة حوالي ثمانية اشهر بين ١٩٣٤/٩/٢٠ و١٩٣٥/٥/٢١ ثم نقلت الى الحلة مسقط رأسي ووطن صباي مهندسا مسؤولا عن منطقة ري الفرات واشرف على ادارة مشروع سدة الهندية الذي واكبته وهو في مرحلة البناء في عهد الصبا ، ذلك المشروع الذي اوصل الماء الى بلدة الحلة بعد انقطاعه عنها•(٩)

---

(٩) انظر ما تقدم عن هذا المشروع في الفقرة (٥) من الباب الاول من هذا القسم •



التصوير رقم (٥٤) ـ ماري في بغداد قبل اصابتها بالخناق اخذت في تموز ١٩٣٢ (انظر الفقرة ٢٧)

وهنا بدا القدر يشاكسنا فبدات المشاكل تظهر فاصيب الطفـــل بمرض عجز الاطباء عن تشخيصه ، اذ كان يموع تدريجيا في طريقه الى لفظ انفاســه الاخيرة بدون جدوى من ادوية الاطباء ، اذ جربوا أنواع الادوية دون أن يحصلوا على أي تحسن في صحة الطفل • وأعقب ذلك مرض امه متأثرة بحالـــة طفلها اليائسة فاشار عليّ الاصدقاء أن أذهب بماري وطفلها الى أهلها في امريكـــا فعملت بنصيحتهم • وكان الموسم في لب الشتاء فكان عليّ أن أنتقــل مع زوجي وطفلها وأمتعتنا على مراحل بالسيارة اولا ثم بالباخرة ثم بالقطـار بعد الوصول الى بر امريكا ثم بالسيارة الى المزرعة حيث اهل ماري ، في ذلك البرد القارس ، ولكنني تغلبت على هذه المشاكل بطول الأناة والصبر على الملمات حتى بلغنا الهدف ووصلنا ثلاثتنا بسلام الى مزرعة أهل ماري في (فنتون ـ ايوا) • وما ان وضعنا اقدامنا على عتبة باب بيت أهل ماري حتى شـــعرنا بأن الحياة عادت الينا من جديد ، وكانت هذه المرة الاولى التي التقي بوالدي ماري • وأول عمل قامت به العائلة انها استدعت طبيبها الخاص تلفونيا فجاء على عجل واخذ يفحص الطفل فحصا دقيقا وهو في حالة شبه احتضار ، وصار يسال ماري عن تفاصيل أعراض المـــرض وعن وصفات الاطباء في علاجـــه ، فشخص المرض في الحال وعيّن العلاج اللازم وأعطى التعليمات الخاصة بالعناية







التصوير رقم (٥٥) ـ فيصل جميل وهو في السنة الثانية من العمر

اللازمة من حيث استعمال الدواء ومن حيث نوع الطعام الذي يعطى للطفل . وكان الطبيب يستوضح تلفونيا بين ساعة واخرى عن حالة الطفل اثر العلاج الذي وصفه له فصار يتحسن بسرعة مدهشة اذ لم تمض ثلاثة ايام حتى استعاد الطفل صحته وازدادت شهيته للطعام . وانا لا ابالغ حين اقول ان ما كابدناه من الهم والقلق في خلال حوالي ثلاثة اشهر من الزمن قد زالا نهائيا في خلال ثلاثة ايام بفضل العصا السحري الذي جاء به الطبيب الامريكي .

تضينا بضعة أيام في دار أهل ماري في المزرعة ولم اكن اعلم ما كان يخفيه حكم القدر بعد ذلك ، ففيما كنت استعد للعودة الى الوطن مع زوجي وطفلي بعد ان شفيا واستعادا صحتيهما فوجئت بماري تطلب اليّ بل تتوسل ان ابقى الى جانبها بحجة ان الاطباء قرروا ان مناخ العراق لا يوافقها صحيا ، ولكني ابيت ، واخذ ابواها يضمان توسلاتهما الى توسلاتها واضعين تحت تصرفي ثروتهما .. فابيت أيضا . وجاء دور الطفل وهو ينصت للحديث فبادرني قائلا : « الى اين تذهب يا (داد) اي يا ابتي ؟!. لماذا لا تبقى معنا ؟ » فكان موقفا مثيرا جدا وحرجا جدا .. وكان لا بد من قرار :«البقاء مع الغنى ومجال العمل » او « العودة الى الوطن مع الكفاح » وهو يعني خسارة زوجي وولدي ايضا .. وكان القرار الحاسم « العودة الى الوطن » . وهكذا كان . فغيّر ذلك القرار مجريات حياتي كلها وسار بي القدر الى ما انا عليه اليوم .. وانا لست بنادم على ما فات ولا على ما اخترته في حينه ، وان كان الحنين والشوق الى تلك الزوج وولدها يكوياني بنارهما .. الوطن عزيز وان جفاك ، وما اجفى حياة المرء في ديار الغربة حتى مع اوفر الظروف المعاشية المادية .

مرت الأيام وتلتها الشهور والسنون وانا اشعر بفراغ بعد أن هجر عني اعز ما املك في حياتي ، فلم أطق احتمال العزوبة طويلا فخطبت فتاة من عائلة محافظة متوسطة الحال لم تتجاوز دراستها الابتدائية . والزواج عندنا (حظ ونصيب) كما يقال . فاما ان يحظى المرء ببنت حلال تسعده طول حياته واما ان يسوقه القدر الى زوجة تنغص عليه حياته كلها . ولحسن حظي ان ساقني النصيب الى زوجة صالحة ذات خلق رفيع وتربية اسلامية بيتية فائقة ، كان زواجي منها يوم ٩ مارت ١٩٣٩ فملأت الفراغ الذي كنت احس به وزاد تعلق بعضنا ببعض بمرور الزمن ، غير أن هناك امرا كان ينغص علينا الحياة وهو اننا قضينا عدة سنوات دون ان نرزق بطفل يزهي الجو العائلي ويقوي الوشيجة الزوجية لان المراة بطبيعتها تشعر بالنقص فيها اذا ما كتب لها ان تكون عقيما ولكن الحظ قد حالفنا فاستجاب الى مرادنا بعد مرور عشرة اعوام فرزقنا بابنة يوم ٢٨ نيسان ١٩٤٩ سميناها عالية ، ثم رزقنا بمولود ذكر يوم ٣٠ حزيران ١٩٥١ فسميناه علي واكتفينا والحمد لله بهما وعنينا بتربيتهما كل



التصوير رقم (٥٦) ـ صورة بيت ماري في المزرعة في « آيوا سيتي »

العناية الممكنة ضمن حدود وضعنا المالي الثابت حتى تخرجا من الكلية ٠

هذا ما مر بي من أحداث عائليـــة بعد افتراقي من زوجتي الاولى مـاري وابنها ، ولنعد الآن اليهما لنرى ما حل بهما الدهر ٠ فماري صممت على ان تبقى عانسا وان تعيش مع ابنها وفية لحبها الاول واستأنفت عمل التدريس الذي كانت تمارسه قبل زواجها وظلت تمارسه ١٣ سنة ٠ وفي غضون ذلك توفي والداها الواحد بعد الآخر ٠ أما جميل فكان يواصل دراسته وقد تجاوز الثامنة عشرة من عمره ففوجئت ذات يوم برسالة منه هذا نصها مترجمة الى العربية :

ونتون ـ ايوا

٢٠ حزيران ١٩٥٢

دادي العزيز(١٠)

انقضى أكثر من شهرين وانا مغلول اليد عن مكاتبتك تارة بانهمـــاكي في دروسي وتارة أخرى بالاعتلال عما يضمره لنا المستقبل ، وقد سبق ان شرحت لك تفاصيل هيامي بغرام «جودي» ومدى تعلقي بها وما بنيناه من أمـان عذاب بعد ان نتخرج من الكلية حين يتم زواجنا ٠ ولكن شاءت الاقدار ان تعاكسني فجعلت الغيوم تتراكم في سـماء علاقتنا الغرامية بما وضعته من العراقيـل في طريق تحقيق أمنيتي ٠

---

(١٠) « داد » اصطلاح عامي امريكي يقابل كلمة ابي او ابتي عندنا .

ولا ادري يا (دادي) كيف ابدا رسالتي هذه ومن اين ابداها ، لأني اخشى ان يكون وقع الصدمة عنيفا عليك . لقد تركتني وانا في الثانية من عمري ، وقد مر الآن اكثر من ستة عشر عاما على افتراقنا وان امنيتي في الحياة ان اراك وتراني قبل ان يقضي الدهر عليّ او عليك ، كما ان «جودي» تحمل في قلبها ذات الامنية وهي تدعو من الباري تعالى ان يمتعنا بنعمة الحياة فنقضي شهر العسل في ربوع العراق حيث بغداد مسقط راسي في كنف عطفك الأبوي .

ولم يبرح من ذاكرتي رغم صغر سني ذلك اليوم الذي تركتنا انا وامي وانا طفل ابن حولين آنذاك اتوسل اليك ان لا ترحل عنا وكنت تؤملنا بالعودة الينا . وها انا ابن عقدين تقريبا شاء القدر ان يحرمني طيلة هذه السنين من عطف الوالدين وما زلت اعيش في حلاوة ومرارة تلك الذكريات السعيدة والأليمة . وقد اصبحت الآن في غمرة من الياس والقنوط من تحقيق امنيتي باللقاء بعد ان اتخذت قراري الذي ابسطه عليك فيما ياتي :

لا شك في انك سمعت باندلاع نار الحرب في كوريا وان الولايات المتحدة الامريكية هي التي اخذت العبء الاكبر في هذه الحرب الضروس ، وقد اذيع علينا نحن الطلاب بيان رسمي يدعونا الى التطوع في سلك الخدمة العسكرية والالتحاق فورا بمعسكرات الجيش الامريكي لتلقي التدريب اللازم هناك قبل الاشتراك في المعارك الدائرة في كوريا ، وتلبية هذه الدعوة او عدمها مقرونة بالاختيار الشخصي لا يجبر عليها الطالب . وقد لبى الدعوة غالبية رفاقي من طلاب صفي ، وبقيت انا في حيرة من امري فكان عليّ ان اختار احدى الطريقتين: اما البقاء حيث انا لاتم دراستي وانعم بزواجي من «جودي» التي انغمست في حبها او الالتحاق مع رفاقي ملبيا نداء الواجب تاركا مصير المستقبل الى يد الاقدار وما كتبه الله لنا . وبعد تفكير ملي ومداولة طويلة مع فتاة أحلامي «جودي» تغلب الشعور بالواجب الوطني برغم حبنا للحياة في كنف الرابطة الزوجية ، فاستقر راينا من غير اي تردد ان احذو حذو اصحابي بالانخراط معهم في سلك الطيران الذي اتخذته كفرع اختصاصي في تدريبي العسكري . وقد تم تسجيلي فعلا بتاريخ ٢٧ حزيران بعد ان اجتزت الفحص البدني كمتطوع بمحض ارادتي في الجيش الامريكي لمدة اربع سنوات . وليس هناك من لا يحب الحياة يا والدي العزيز ، خاصة بالنسبة لنا نحن الشباب واننا ما زلنا في عنفوان وجودنا نتطلع الى المستقبل امامنا ، مبعث طموحنا ومصدر آمالنا وامانينا في العيش الرغيد في ظل مدنيتنا العظيمة الجبارة . وقد اتخذت هذا القرار قبل ان استشيرك والاستئذان منك لعلمي الاكيد بأن ما قررته ينال رضاك ، وهل ترضى ان يقال عن ابنك انه جبان ؟. ولا حاجة لي ان اؤكد لك ، يا والدي العزيز ، انني لا استطيع ان استغني عن توجيهاتك المفيدة

وعطفك وارشادك رغم تجاوزي السن القانونية التي تخولني حرية الاختيار في شؤوني الشخصية ، وأرجو ان تثق بأنني حريص كل الحرص على الواجب محتفظ بكل ما تحبه من شريف المبادىء ومكارم الاخلاق ، وانا دوما بحاجة الى عطفك ودعاك .

فاستودعك الله وادعو الباري تعالى ان يمد بعمرك ويحفظ حياتي في مغامرتي من أجل المصير والواجب وان يجعلك راضيا عني . واذا قدر لي النجاة فسأعود اليك والى جودي وسوف نلتقي كلنا بين احضان السعادة والهناء ، واما اذا ناصبنا الدهر العداء وقضى عليّ فسيكون هذا الفراق الاخير الذي لا لقاء بعده ولا رجعة ، وساحمل معي في كل مكان صورتك وصورة جودي رمزا لمودتي ومحبتي الصادقتين لكما ولالقي عليهما آخر نظرة قبل توديع الحياة ان كتب لي ذلك .

ولدك المطيع (جيم)

وما ان تلوت هذه الرسالة حتى انهمرت الدموع عليها وثارت في نفسي العاطفة الأبوية وصرت اهذي بيني وبين نفسي مرددا قول الشاعر :

امن اجل ان يسلم الواحد
تطل الدماء وتفنى الألوف

ويزرع اولاده الوالد
لتحصدهم شفرات السيوف

امور يحار بها الناقد
وتدمي فؤاد اللبيب الحصيف

فيا ليت شعري متى نفهم
معاني الحياة واسرارها ؟

واي والد يستطيع ان يملك نفسه ومدامعه وهو يرى بأم عينه فلذة كبده يساق الى الموت وسط حرب ضروس لا ترحم ولا تشفق .. واي ذنب ارتكبته تلك الأرواح البريئة حتى تساق الى الموت سوق النعاج الى جزارها ؟.. بل واي جرم اقترفته هذه الأنفس المطمئنة وقد غمرها حب الحياة حتى تساق سوق الاغنام الى ميدان القتال لتلقي حتفها أو لتصاب بجرح خطير يقعدها طول العمر ؟. واي ذنب جناه اولئك الشبان وهم في عنفوان شبابهم حتى يقادون الى اتن الوغى ؟. فما اقسى الانسان على بني جنسه !. فحتى الوحوش الضارية لا تفترس الا اذا جاعت ، وهي لا تقدم على افتراس اصنائها من جنسها .. فالانسان اذن اضرى منها واشرس ولا يحق له أن يدعي لنفسه

التفوق على الحيوان في تصرفه هذا ، اذ اخذ يستخدم عقله وادراكه في التفتن بكيفية ازهاق روح اخيه الانسان ويبذل كل جهده وطاقته في اكتشاف وصنع اقوى الوسائل فتكاً لحصد بني جنسه بالجملة ٠٠ ان تاريخ الانسانية منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا تاريخ أسود مليء بحوادث الصراع الدامي والظلم الغادر ، إن هو الاّ قصة متسلسلة لا نهاية لها من الغزو والقتل والاخضاع والاستعباد والحقد والظلم ٠٠٠ وهل من يستطيع ان يغير طبيعة البشر هذه بالاقلاع عن المجازر والمصارع الانسانية ؟٠

اما جميل فبعد أن بعث برسالته المتقدمة انقطعت عنا اخباره فترة من الزمن ، وقد كنت أتوقع بين لحظة وأخرى تسلم خبر نعيه لما كان يتعرض له الطيارون من الاخطار نتيجة اسقاط طائراتهم من الجو ٠ وفيما كنت أترقب ساعي البريد والقلق قد اخذ مني ماخذه واذا برسالة تصلني من اليابان وهي معنونة بخط جميل فكانت مبشرة بالاطمئنان ، ففضضت الرسالة وقد كانت قصيرة لا تتجاوز بضعة سطور ينبئنا فيها انه على أحسن حال وانه قدم الى اليابان مع بعض رفاقه لقضاء فترة استجمام فيها ، كما افاد فيها انه ارسل الينا رزمة تحتوي على بعض الهدايا من اليابان ، وقد تسلمنا الرزمة فعلا بعد بضعة ايام فكانت تحتوي على رداء من النوع الذي يلبس فوق الثياب وهو رداء حريري في منتهى الجمال لما كان يحتوي عليه من نقوش وزخارف يابانية زاهية الالوان ، وكان مع الرداء هدايا صغيرة أخرى ٠ ثم مر أكثر من سنتين لم يصلنا شيء عن أخباره حتى فوجئنا ذات يوم برسالة وصلتنا من امريكا معنونة بخط جميل مما يشير الى انه لا يزال في قيد الحياة ٠ وقد أنبأنا فيها انه اعيد الى امريكا ليقضي فيها المدة الباقية من السنوات الاربع التي تطوع للخدمة فيها ، فاطمأن بالنا ٠٠ وما أصدق قوله تعالى (قل لن يصيبنا الاّ ما كتبه الله) وقوله تعالى (وسيجعل الله بعد عسر يسرا) ٠

وهكذا فقد اراد الله لجميل سلامة العودة فاكمل دراسته بعد تسريحه من الجيش وتزوج من خطيبته جودي ورزق منها ولد في ٢٣ تموز ١٩٦٨ اسماه « جيفري » عمره الآن أكثر من سبع سنوات ٠ وهو يعيش مع امه وزوجه وولده على مزرعة العائلة حيث يقوم بادارتها ٠

والآن وقد أدركني ختام هذا الحقل فخير ما أختم به قصة مغامراتي الغرامية وعلاقتي العائلية معبراً عن ذكريات الماضي قول الشاعر :

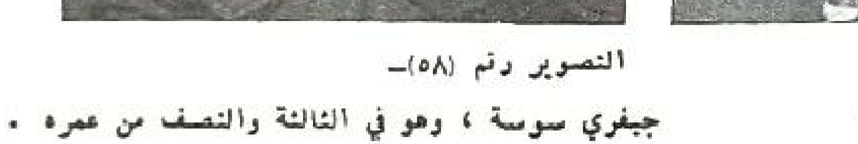
يا زمان الحب قد ولى الشباب
وتوارى العمر كالظل الضئيل

وانمحى الماضي كسطر من كتاب
خطه الوهم على الطرس البليل



التصوير رقم (٥٧) ـ
فيصل جميل وزوجته «جودي»





التصوير رقم (٥٨) ـ
جيفري سوسة ، وهو في الثالثة والنصف من عمره .



التصوير رقم (٥٩) ـ
اول لقاء بين فيصل جميل
وبين اخته عالية عندما كانت
تتمتع بزمالة في امريكا سنة
١٩٦ .

الملحق الاول

دراسة مقارنة بين الاسلام والمسيحية

الاســلام والنصـرانية (١)

عن الانكليزية ــ مقال وضعه المؤلف في ســنة ١٩٢٩
اثناء دراسته في جامعة شــيكاغو الامريكيــة

(يلوح اننا نحن المسيحيين متصفون بهذا العجز الذي لا يطيق التسـامح
م من ينشق عن مبادئنا الدينية ، فقديما كنا نحرق من خالفنا في معتقدنا ،
ما اليوم فبالرغم من نيلنا الحرية الدينية لانفسنا في الغرب فاننا لم نفلـح
بعد حتى في النظر الى كافة الاديان والاجناس بنظر التســامح الرحب الذي
يمتاز به الاســلام)

(كلير برايس في كتابه « نهضة تركيا »)

مضامين البحث :ـ

(١) المقدمـة (٢) الاسـلام والنصرانية (٣) الاســلام وتعدد الزوجـات
(٤) الاسلام وكيفية انتشاره (٥) الاســلام والاصلاح (٦) ملاحظات وخلاصة

المقدمـــــة

كان قد اغفل شأن الاسـلام في الأعصر القليلة الماضية ولم تدرك الأمـم
الغربية خطورته الا في سني الحرب العالمية بحيث اضطرت الدول الكبـرى اذ
ذاك لا الى الاعتراف بخطورته فحسب بل السعي الى خطب وده واجتـذابه
الى جانبهم ، فتلك الشعوب التي كانت تعتبر جاهلة متأخرة وليست خليقة

---

(١) كان قد انشيء هذا المقال اصلا في اللغة الانكليزية من قبل المؤلف وذلك اثناء دراســته موضوع « مقارنة الاديان » في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة في سنة ١٩٢٩ على يـد استاذ اللاهوت المعروف وهو الدكتور هيدن وقد ترجمه الى العربية حضرة السيد وهبي توفيق المترجم في وزارة الاقتصاد والمواصلات وان النص المنشور في هذا الكتاب هو النص بعد ان نقح من قبل المؤلف نفسه ، ويود المؤلف بهذا الصدد ان يعبر عن شكره وامتنانه الى المترجم الذي كان المشجع المباشر لنشر المقال في اللغة العربية ، وكان المؤلف قد قدم المقال الى الاستاذ هيدن مع كتاب وجهه اليه اليك نصه ادناه :ـ

جامعة شيكاغو في ٢٢ آب ١٩٢٩

عزيزي الدكتور هيدن :

بعد ان قضيت عدة سنوات في هذه البلاد وبعد ان اتيح لي الالتحاق بســت جامعات راقية في مختلف ولايات الاتحاد الامريكي اني اشعر للمرة الاولى باني حر للتعبيــر عن

الا بأن تحكم قد استيقظت من سباتها العميق ثائرة على الظلم والاستعباد واضعة قلبها وروحها في مطاليبها للحرية والاستقلال والعدل والاعتراف بكيانها ، فها هي الافغان تتمتع بمزية الاعتراف بها كامة اسلامية مستقلة ، أما تركيا فليست تتمتع بهذه المزية فحسب بل انها طردت النفوذ الاجنبي الذي كان متغلغلا فيها الى الاعماق مدى عصور ، وها هي ذي مصر في طريقها الى الاستقلال التام وقد افلحت ايران في تقويض هيبة الاجانب غير انها مع ذلك لم تفتها قيمة المشورة الغربية المخلصة فاقبلت تتلمسها على ايدي اميركا ، وهو ذا موطن الف ليلة وليلة فان الانظار متجهة اليه وقد يكون مكمنا لسيادة مجيدة في المستقبل القريب . ان ديار العرب هي مهد لاعظم المدنيات وهي تناضل اليوم من أجل كيانها كامة عربية تستمد قوتها وسلطانها من قلب الجزيرة العربية وليس ببعيد ان يأتي يوم يحدث فيه التدخل الغربي الطامع حافزا لتاليف مصلحة مشتركة تكون من القوة بمكان بحيث توجد اتحادا من الامم الاسلامية ضد الاستغلال والاستثمار الاوروبي بالرغم من الخلافات الكائنة فيما بينها الآن في أمور اللغة والثقافة والمركز الجغرافي وذلك

◄ آرائي في المقال الذي اقدمه لكم مع كتابي هذا ، وذلك لما وجدته في شخصكم من سعة التفكير وبعد النظر والتسامح ، فلي وطيد الثقة بانكم ستنظرون الى ما في المقال بنظر واسع خال من التحيز والانتقاص .

ولعلكم تظنون من مجرى البحث في المقال باني مسلم فاحيطكم علما باني لست مسلما واني قد تطرقت الى البحث دون التحيز الى جهة ما وانما قد حافظت على واجب سرد الحقيقة والانصاف حسب ما ترآى لي من نتيجة تنقيبي ودراستي .

المخلص لكم

وقد يتساءل القارىء عن الداعي لتوجيه مثل هذا الكتاب وله الحق في ذلك الا اذا تصور الوضع في الولايات المتحدة ، فان الكنائس وجمعيات التبشير المنتشرة في اميركا قد جعلت عامة الاميركان يعتقدون بان الاسلام هو مثال الضلال وشيء من الوثنية وعليه فمن يظهر حقيقة الاسلام او يكتب عن حقيقة امره فاول شيء يخطر على بال الاميركي انه مسلم .

— واما الاستاذ هيدن فقد اعاد المقال الى المؤلف مع مطالعته التالية عليه :-

« اني لاقدر روح التفاهم والتسامح ، انه لمقال مفيد . »

ولا يغرب عن البال ان هذا المقال كتب اصلا في اللغة الانكليزية وفي بلاد غربية للقارىء الاميركي مع مراعاة تاثيرات المحيط وذلك بالاستشهاد بما دونه الغربيون انفسهم في الموضوع . وعليه فلو كان المؤلف يكتب هذا المقال في اللغة العربية لكان حرره في غير هذا القالب والاسلوب . هذا كما ان لا يخفى ان المقال قد كتب في امركا كرسالة مطلوب تقديمها من قبل كل تلميذ قبل انتهاء الدورة التدريسية وقد كانت مصادر المطالعة كلها كتب اجنبية لكتاب غربيين .

ان المصالح المشتركة يمكن ان تؤلف وحدة حتى بين العناصر المعادية بعضها لبعض كما انها قد تنذر الخلاف والخصام بين اشخاص وجماعات كانوا دواما على ود مقيم .

وعليه فلا غرابة فيما نجد من اتجاه الانظار وبذل الاهتمام الزائد في دراسة الاسلام خلال السنوات القلائل الماضية ، وليس قليلا عدد الكتب التي صدرت حديثا عن هذا الموضوع ومصداق ذلك ما قاله المستر جون موت في هذا الباب بكلماته التالية :ـ

« في الواقع ان اهتمام المسيحيين يتجه اليوم نحو الاسلام اتجاها لم يسبق له مثيل منذ غارة المسلمين على اوروبا وان موقف اتباع الدين الاسلامي وبسرهم لهما تاثير حيوي على علاقات البشر من الناحية الدولية والجنسية ومن ثم على سلام العالم . » وان العالم ليلتفت الآن الى الوراء الى ذات البقعة التي ترعرعت فيها الروحية والرسالة التمدنية لتكون حافزا مباشرا لتكوين النية الطيبة والتفاهم بين المسلم والمسيحي ، بين الشرق والغرب ، ومن المؤكد ان في هذا الامر خطورة جوهرية للسير في سبيل السلام العالمي ، وبهذا الصدد يقول الدكتور جاسترو في كتابه « المسالة الشرقية وحلها » ما يلي :

« لم تنته الحرب بعد ، كلا ولن تنته ما لم تحسم المسالة الشرقية وانه ليس ادعاء طائشا ان نقول بوجوب اعتبار المئتين وخمسين مليونا من اتباع محمد (ص) قوة كبرى يجب مصافاتها قبل ان يكون في الوسع حل المسالة الشرقية . ان العالم الاسلامي اليوم برمته في غليان شديد وثمة انقلاب هائل يجري الآن على قدم وساق وسيتمخض عن نتيجة لا بد أن تؤثر على البشر كافة . » .

وغالبا ما سمعنا من منابر الكنائس كما قرانا في افتتاحيات الصحف لا سيما في اميريكا وبالاخص خلال فترة الكفاح العالمي وهي الفترة التي بلغت فيها الدعاية اقصى ذراها ان المسلم متوحش بربري وانه يذبح المسيحي وديدنه السلب والنهب والاغتصاب وان دينه دين قوة وسفك دماء وهكذا فان الراي العام الذي بنى معلوماته على هذه الاقوال اخذ يطالب بوجوب استئصال قوة الاسلام وانه يجب ان يجرد من مزية الحكم واخيرا فان « تركيا العاجزة عن قيامها بواجبها الانساني يجب ان تخرج من قائمة الامم . » ذلك هو الراي العام الاميريكي وهو ما يزال راي الكثيرين ممن لم يبصروا نور الحقيقة بعد .

هذا وان الاعتقاد في كون الاسلام عقيدة زائفة وان مؤسسه دجال قدنال درجة من الرواج لدى عامة القراء الاميريكيين بحيث يظهر انه اصبح من الصعوبة بمكان بيع كتب ادبية تحبذ الاسلام او بالحري تذكر عنه الواقع الحق .

ان القرآن الذي كان قد ترجمه « سيل » الى اللغة الانكليزية قد اصدر حديثا بطبعة جديدة من قبل شركة « برت » بيد ان مقدمته التمهيدية التي دبجها يراع « سيل » المندمجة مع الترجمة الاصلية قد حذفت بالمرة وحل محلها في الطبعة الصادرة اخيرا مقال بعنوان « حياة محمد » بقلم (فردريك ماينون كوبر) • وثمة دليل كاف لليقين بان الدافع الذي ادى الى هذا التغيير مرتبط بغرض الكسب التجاري والرواج لان المقال الجديد الذي كتبه المستر كوبر احتوى على اسطورة دارجة مما يرويه خصوم الاسلام عن الديانة المحمدية • ولقد اطلق المستر كوبر لقلمه العنان وكتب ما شاء ان يكتب في محاولة البرهنة (وهو ما عجز عنه في الواقع) على أن محمداً (ص) دجال وقاس وشرير وان قرآنه تزوير واضح بحيث انه لم يذكر فعلا اي شيء عن الموضوع الرئيسي الذي يشير اليه في عنوان مقاله • ولقد كتب المستر كوبر ما كتب بصفته كاتبا لكي يشبع شهوته الذاتية ويسجل رايه المتحامل الا انه لم ينجز اي شيء جدير بالالتفات اذ ان معالجة موضوع ما بروح غير نزيهة وغير مجردة عن الغرض والتحيز لم تبق ثمة اية قيمة ادبية تاريخية للبحث ، واني احيل ما كتبه المستر كوبر الى الواقفين على دراسة الاسلام ليحكموا انفسهم في امر تحيز الرجل في بحثه • واقول انه ربما لا توجد كلمات قيلت في هذه المناسبة افضل من الكلمات التالية حول سوء استعمال اللغة من قبل بعض رجال العلم اذ قيل :ـ

« اذا اراد اي امريء ان يتامل الاخطاء والارتباك والغموض والاغلاط التي تنشر في العالم عن طريقة اساءة استعمال الكلام فسيجد سببا للشك فيما اذا كانت اللغة ـ على قدر ما يتعلق الامر بطريقة استعمالها ـ قد ساهمت في تحسين المعارف بين الجنس البشري ام في تاخيرها الى الوراء • »

وليس بين المطلعين على الديانة الاسلامية من يقرا مقال المستر كوبر دون ان ترتسم على شفتيه ابتسامة السخرية ، وهذا المقال على كونه يحمل عنوان « حياة محمد » فان مضامينه لا تحتوي في الواقع على اية حقيقة تاريخية بل لا تتطرق فعلا الى البحث في تاريخ حياة محمد الذي يعرفه المطلع ، ولقد ذهب الكاتب برايه المتحامل المتعصب على طول الخط ومن ثم فقد بنى افتراضه على أن محمداً دجال وشرير وان « الله اقامه لارهاب الجنس البشري وارغامه على الشر والسوء • » وانه لمن الميسور ان يبني المرء فرضاً أو اعتقادا بيد ان النجاح الحقيقي انما يكون في مجال التحقيق والاستشهاد والتدليل ففي هذا المجال كان نصيب الكاتب الاخفاق التام •

ولكي يدلل المستر كوبر على افتراضه فقد ركن الى الاساطير والخزعبلات التي يرويها خصوم الاسلام ولكن هذه الروايات لا تقنع غير الجاهل بشؤون الاسلام والذين لم يقفوا على حقيقته ، هذا ويدعي الكاتب ايضاً ان الاسلام

غير جدير بأن يسمى دينا وقد ذهب الى ان الاسلام في طريق الانحلال ومن المؤكد ان هذا الزعم وحده كفيل بان يقدم دليلا كافيا على نقص معلومات المستر كوبر من الناحية التاريخية لموضوعه وجهله الحقائق الملموسة لأنه لو تسنى له أن يدرك كم هو عدد المسلمين الذين تنصروا واصبحوا مسيحيين وذلك بمراجعة تاريخ نشاط واعمال البعثات التبشيرية في الاقطار الاسلامية لاتضح له بكل تاكيد خطأ مدعياته ٠ ومن الغريب ان المستر كوبر جاء بأمر كون محمد (ص) اقترن من الارملة الغنية خديجة دليلا للحط من شأن نبي الاسلام وللبرهنة على انه دجال فقد قال :

« لو لم تكن مرامي الدجال الطموحة بالنسبة له لتحل محل كل شيء آخر لما كان من المرجح أن يقترن بامراة تكبره اثني عشر عاما بيد ان ثروتها الطائلة فتحت أمام عينيه الآفاق المبهجة للوصول الى جني ثمار أعذب رغباته ٠ »

وهكذا يعود المستر كوبر فيظهر نقصاً في معلوماته عن تاريخ حياة محمد٠ لأن التاريخ ينبؤنا ان محمداً ضحى بكل شيء من أجل رسالته اذ أتيحت له مرات فرصة الاختيار بين أمرين أولهما حياة راحة وهناء وغنى على ان ينبذ انجيله وثانيهما حياة عسر واضطهاد مقرونة بنشر رسالته وقد فضل الامر الثاني لأن ايمانه برسالته كان قوياً وكان قد أوحي اليه بانه قد اختاره ربه لبث هذه الرسالة الى الانسانية جمعاء فكان ما أراد الله له ٠

وعلى اساس مثل هذه التلفيقات التي تنشر على الدوام وتلقى على مسامع الجهلاء فقد صار الاسلام بحد ذاته ينقل الى ذهن عامة الاميركيين فكرة البربرية والقسوة والجهل بغض النظر عن كلمة « الاتراك » التي لا يفهم الاميركي منها سوى التجرد عن البشرية والخيانة ، ولم يمض زمن بعيد حينما احتج عدد من الرعايا الامريكيين ذوي المكانة على تصريحات المستر كوليدج فيما يخص الموافقة على دخول السفير التركي الى الولايات المتحدة وقد بني احتجاجهم بصورة رئيسية على الادعاء القائل بأن السفير المذكور ساهم في المذابح الارمنية في تركيا وعلى أن الاتراك يجب الا تعترف بهم حكومة الولايات المتحدة بالنظر لما ارتكبوه من الجرائم ضد الانسانية ٠ ان وقفة تامل وامعان حول هذا الموضوع كفيلة بأن تفهم المحتجين بأن « المسؤولية الكبرى عن وضع الأرمن الحالي يجب أن تقع على عاتق الدول الكبرى(٢) وان الجيش العثماني النظامي كان بريئا كل البراءة من مذابح الأرمن ٠ ولقد تجوهلت الحقيقة جهلا تاماً وهي أن المانيا المسيحية كانت تسيطر على دفة البلاد التركية والقوات العسكرية هناك والتي كان في يدها حياة الاتراك وحياة الأرمن على السواء

---

(٢) ميرز في كتابه « تركيا الحديثة »

كان في وسعها بدون اقل صعوبة الحيلولة دون تلك الكارثة وليلاحظ كذلك ان الاتراك قد ذبحوا على أيدي الأرمن بذات القسوة والفظاعة التي ذبح فيها الاخيرون على أيدي الاولين ويقول اللورد كرزن بهذا الصدد :

« لا بد من الاعتراف والجزم بان الأرمن خلال اسابيع ١٩٢٠ لم يتصرفوا تصرف الحمل البريء كما يتوهم بعض الناس اذ انهم في الواقع قاموا بسلسلة من الهجمات الوحشية واثبتوا على انهم قوم متعطشين الى الدماء . »

ومن المهم ان نلاحظ اننا لو راجعنا تاريخ قيام وسقوط الامبراطورية العثمانية لوجدنا انه حينما كان المسيحيون يقومون بالمذابح كانت أعمالهم تنعت بمجرد الظفر والانتصار الا انه من الجهة الاخرى حينما كانت ذات الطريقة تجري على أيدي المسلمين فعندئذ تكون المذابح مذابح حقيقية بالحرف والمعنى ، وحيث أن المجازر في كلا الوجهين ليست سوى البادرة البارزة للظفر فان المسيحيين كانوا على الدوام بمنجاة من تهمة القسوة والفظاعة وكانوا يهنأون على ما نالوه من انتصار في حين كان الاتراك يلعنون ويتهمون بأنهم ارتكبوا جرائم بربرية . وهي جرائم تقع مسؤوليتها على عاتق المدعين انفسهم في أغلب الاحيان . ان فكرة الاصغاء الى جانب واحد فقط في المسألة التركية قد عبر عنها الماجور باول تعبيراً رائعاً اذ قال :ـ

« اننا نستنكر الاتراك ونحن في ذلك محقون كل الحق وذلك لما ارتكبوه من المذابح تجاه الارمن واليونان ناسين الآلاف التي لا تحصى من الاتراك الذين ذبحوا على أيدي الارمن واليونانيين في آسيا الصغرى وعلى أيدي الأرمن والروس في القوقاس واليونانيين والألبانيين في البانيا وكريد واليونانيين والصربيين والبلغاريين في ماكدنيا وتراقيا والحقيقة هي أن الشعب الاميركي قد ضللته واعمت بصيرته دعاية ضد الاتراك تآمرت فيها الصحف ومنابر الكنائس دعاية ندر أن تضاهى في وقاحة الكذب ومهارة التمويه والتضليل ، ويا لها من دعاية منظمة توفر فيها الغدر والمخاتلة وأستغل الدعاة عن طريقها تعصبنا الجنسي والديني بحيث سلمنا بها دون تمحيص موقنين ان التركي هو كل ما نعته به أعداؤه . »(٢)

الاسلام والنصرانية

من الواضح لكل من وقف على مبادىء الاسلام ان معظم ما قيل عن الديانة الاسلامية من قبل رجال الدين الغربيين مبني على الأغلب على العاطفة ويكاد لا يوجد دليل لاثبات وجود أي اتجاه للركون الى الحقائق في مجال التاريخ

---

(٢) عن كتاب « الكفاح من اجل السيادة في آسيا الاسلامية » لمؤلفه اي . ا . باول .

الاسلامي . ان الاسلام ديانة شرقية وكذا المسيحية ، وفي الواقع فهنالك على مدى غير بعيد من التربة التي كان الناصري يلقي فيها عظات انجيله وقف النبي العربي مبلغاً رسالته الى شعبه بل الى الانسانية جمعاء ، وبينما لا يزال الكثيرون ممن يجهلون تعاليم محمد الاساسية - وذلك بنتيجة المعلومات التي سداها التعصب ولفقها الغرض - متمسكين بالفكرة ان الاسلام هو الوثنية على صعيد واحد على التقريب فان الحقيقة الماثلة هي ان الاسلام ينطق بحرارة وبهاء بالاعتراف في الديانتين المسيحية واليهودية وانه مبني اساسيا على قاعدة التوحيد وعبادة الله رب الجميع ، وانه لمن المستحيل تضمين هذه العجالة سردا مسهبا لحياة محمد والديانة التي أنزلت عليه لذلك نقتصر على موجز من القول وقد تكون أفضل خلاصة ما كتبه السر ريجارد برتون في كلامه عن محمد اذ يقول :

« انه لشاب ذو نسب نبيل وكموسى الرسول والمشرع الاسرائيلي فانه اشتد عوده عن طريق الاسفار والوحدة والتامل فقد كان جبل حيرة له بمثابة جبل حوريب (حربّه) لموسى وكان يفكر تفكيراً قوياً رائقاً ولقد كان سيد الفصاحة والبلاغة واكسبته نزاهته لقب الأمين فمكنته سجاياه السامية أن يقترن بالارملة الغنية ، وبعد مضي زمن طويل من التامل وقد التهب غضباً من جراء تعصب اليهود الديني السخيف وخرافات النصارى من السوريين والعرب وعبدة الأصنام الافضاظ من مواطنيه عزم وهو الملتهب حماسة - وأية روح كبيرة لم تكن متحمسة وثابة - على اصلاح هاتيك المفاسد التي جعلت الوحي الالهي والايمان امراً مزرياً لدى العقلاء ومجحفا مضرا لدى السوقة ولقد برز لجماعة من أقربائه ورفاق قبيلته كرسول نزل عليه الوحي والالهام . »

فيما خلا الثالوث وبعض نقاط ثانوية ان الاسلام يعترف بالنصرانية ونبيها ويبجل الاسفار المسيحية وكذلك اليهودية مع انه يوضح بعض التحريف فيها. ان كلا من النصرانية والاسلام مبني على ذات المبدأ الجليل وهو كون الله خالق الكون ولا يختلفان الا في كون الاولى تتصور رمز القربى للشخص بالله وهكذا تسمو بالانسان الى مستوى الاله في حين ان الثاني ينزل الانسان الى اضعف المراتب بالنسبة الى خالقه رافعاً سمو الاله الى مستوى لا نهائي غير محدود « الله أكبر ، لا اله الا الله » هكذا يقول المسلم . ان الثالوث الذي يلمح الى وجود بشر الهي وقربى لله قريبة الاواصر من المرء تزيل في اعتقاد المسلم العقاب البشري ويكون مفادها بالضرورة ان الانسان يجب ان لا يؤدي حساباً عما تجنيه يداه ، ولا بد ان نشير بهذا الصدد الى اننا اذا راجعنا تاريخ بلدة بوستون الاميركية لوجدنا انه كانت في وقت من الاوقات جماعة من المسيحيين تدعى بالانتينومين الذين ادعوا أن المسيحي لا يمكن ان يرتكب منكرا او جريمة وانه يجب ان يكون بمنجاة من القانون وطائلة العقاب،

وقد يبدو هذا الاعتقاد شبيها بحركة فوضوية وعليه فليس من المستغرب ان يكونوا قد نفوا من أوطانهم ٠

ومن الجهة الاخرى فان الاسلام يوصي بالخضوع المطلق لارادة الله الاكبر والذي له السلطان على كافة أفعال البشر ويتوسل المسلم الى الله ومن الله فقط يرجو المساعدة في أفراحه واتراحه وسرائه وضرائه ٠ ذلك هو الخلاف البارز بين الاسلام والنصرانية ٠

وما يزال بعض المؤلفين يذهبون الى ان الاسلام دين التعصب ولا يعترف بدين غير الاسلام ٠ أما الحقائق فتبرهن على نقيض ذلك لأن الاسلام لا يقوم حامياً على اهل الكتاب فحسب بل انه أيضا يصادق على تعدد الأديان وذلك بقوله تعالى :ـ

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحده ولكن ليبلوكم في ما اتاكم فاستبقوا الخيرات » (سورة المائدة) وقد قيل بهذا الصدد بأن « بدعة النبي السياسية الرئيسية كانت الاعتراف بالأديان الأخرى وابداء التسامح معها ٠ » (وزارة الخارجية الانكليزية ، القسم التاريخي كتب السلام المجلد العاشر رقم ٥٧ ص١٢) ٠ هذا وفي القرآن عدة آيات تضمن حماية أهل الكتاب وتجعل الاباحة والاعتراف بمعتقداتهم كأمر الزامي وليس ثمة كلمات أشد ايضاحا وصراحة في تبيان احترام نبي الاسلام لأديان أهل الكتاب من التعاليم التالية الواردة في القرآن الكريم :ـ

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠ »

« قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون ٠ » (سورة البقرة)
وهاك آية قرآنية أخرى في نفس الموضوع :ـ

« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ٠ » (سورة المائدة)

كما احترم نبي الاسلام المسيحية كذلك يفعل كل مسلم صادق ومع انه قد يظهر ذلك لخصوم الاسلام أمرا مستغربا فان الحقيقة التي لا تنكر هي أن المسلم الورع لا يذكر قط اسم المسيح (سيدنا عيسى) دون أن يضيف عليه جملة (عليه السلام) ٠

فهل يمكننا ان نستنتج مما اوردناه أعلاه سوى ان الاسلام دين تسامح

لا يرضى بالتعصب السخيف الذي اتصفت به بقية الأديان وانه لا يوصي بالحط من كرامة المسيح كما ادخل في عقل الكثير من الناس ؟٠٠٠ ومصداق ذلك ما ذكره الفيلسوف الاشهر توماس كارلايل حول علاقة الاسلام بالمسيحية حيث قال :ـ

« نحن سمينا الاسلام ضرباً من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان في سرعته الى القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق لأيقنا انه كان خيرا من تلك النصرانية التي كانت اذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك الاقطار والبلدان ـ تلك النصرانية التي كانت تصدع الراس بضوضائها الكاذبة وتترك القلب ببطلانها قفراً ميتاً !٠٠ وعلى كل حال فلنا ان نكرر أن دين محمد هذا ضرب من النصرانية وفيه للمبصرين اشرف معاني الروحانية وأعلاها فاعرفوا له قدره ولا تبخسوه حقه ولقد مضى عليه مئتان وألف عام وهو الدين القويم والصراط المستقيم لخمس العالم وما زال فوق ذلك ديناً يؤمن به اهله من حبات افئدتهم ولا احسب أن أمة من النصارى اعتصموا بدينهم اعتصام المسلمين باسلافهم ٠ » (كتاب الابطال لمؤلفه توماس كار لايل) ٠

وختاماً دعنا ندون ادناه ما ذكره الدكتور ماركس دورس حول نبي الاسلام ورسالته اذ قال :ـ

« اليس محمد نبياً ؟ فمن المؤكد ان له اثنتين من اهم الخصائص المؤهلة للنبوه ، فلقد رأى الحقيقة عن الله ـ تلك الحقيقة التي لم يرها أصحابه ـ ولقد كان له دافع داخلي لا يقاوم في سبيل نشر هذه الحقيقة ، اما فيما يخص السجية الثانية فلمحمد أن يقارن بأشجع الابطال من أنبياء اسرائيل ، سبيل الحقيقة غامر بحياته وقاسى اضطهاداً مستديماً سنوات عديدة ، ثم ذاق مرارة النفي وضياع ما يملكه وحسن معاملة مواطنيه وثقة أصدقائه وقصارى الكلام فلقد قاسى ما يقاسيه من ذاق صنوف الآلام خلا الموت الذي لم ينجو منه الا بفراره ، ومع ذلك فما انفك يبشر برسالته ولم يسكته اي وعيد او رشوة او اغراء ومما قاله :ـ

« والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » (هيوس « قاموس الاسلام ») .

الاسلام وتعدد الزوجات

هناك عدد من الاتهامات التي يتخذها خصوم الاسلام ذريعة لموقفهم العدائي وان ابرز هذه الاتهامات هي قضية تعدد الزوجات في الاسلام ، ولا نرانا بحاجة للاسهاب في شرح حالة الجزيرة العربية في الوقت الذي ظهر فيه

النبي الاسلامي حاملا رسالته الى شعبه ، ويتضح لمن يحملون فكرة صحيحة صادقة عن المحيط والظروف ابان نشر الدعوة الاسلامية ان أهمية الخطوة المتخذة من قبل النبي العربي في مجال الاصلاح الاجتماعي والأدبي لا يمكن التفريط في تقديرها ، ونكتفي بالايجاز دون التطرق الى التفاصيل فنقول انه حسبنا ان نذكر في هذه العجالة بعضاً من العادات التي حرّمها الاسلام كتضحية البشر وتعدد الزوجات غير المحدّد وشرب الخمرة والقمار والقسوة في معاملة العبيد ووأد البنات ٠

لا جرم ان هذه العادات كانت ستجري مجراها دون ما تعرض لو لم يظهر راعي الصحراء النبي العربي الذي وضع حياته على مذبح الاصلاح والتنوير فلقد الغى عادة الزواج بأرملة الأب او بالأقرباء القريبين وذلك بقوله تعالى :ـ

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائكم اللائي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً ٠ » (سورة النساء)(٤) ٠

نستنتج من هذه الآية الكريمة ان العادات التي حرمت فيها كانت متبعة في الجزيرة العربية كأمر معتاد قبل أن يضع محمد لها حداً ، وان من ضمن الأمور الأخرى التي قضى عليها الرسول هي عادة تعدد الازواج اي زواج الامرأة بعدد من الازواج التي كانت في انتشار واسع فقد قيل عن احدى النساء المسماة « أم شريجة » انها امتازت باتخاذها أربعين بعلا ، ولقد كانت المرأة في ديار العرب قديما محض متاع مجرد ذكرها أمر ممتهن ٠ هكذا كان الوضع حينما برز سائق الجمال العربي على المسرح ناشرا انجيله وحقاً انه قد رفع مقام المرأة في آسيا من وضع المتاع الحقير الى مرتبة الشخص المحترم الذي له الحق في الحياة حياة محترمة كما أن له الحق في أن يملك ويرث المال ٠ قال توماس كارلايل :ـ

« وقد قيل وكتب كثيرا في شهوانية الدين الاسلامي وأرى كل ما قيل وكتب جوراً وظلماً فان الذي أباحه محمد مما تحرمه المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه وانما كان جارياً متبعاً لدى العرب من قديم الأزل وقد قلل محمد هذه الأشياء جهده وجعل عليها من الحدود ما كان في امكانه أن يجعل ٠ »

---

(٤) ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد بان الديانة اليهودية لا تحرم الزواج ببنات الاخت او بنات الاخ ٠

ولنعد الآن الى قضية تعدد الزوجات فنقول ان الاسلام في الحقيقة يبيح هذا التعدد ولكنه قد حدد عدد الزوجات باربع على شرط العدل مع تفضيل الزوجة الواحدة لمجرد الخوف من عدم العدل وفي الوقت نفسه التاكيد بان العدل غير مستطاع وعليه فان تعدد الزوجات في الاسلام قد حلل على طريق الاستثناء وبموجب قيود أوجب مراعاتها ، ولا يغرب عن البال بأن تعدد الزوجات كان امرا محبذا ان لم يكن ضروريا عندئذ في الوقت الذي كان معظم المؤمنين يستشهدون في القتال عدا الاوبئة والثورات التي كانت تحصد الكثير منهم ، لذا فقد امنت اباحة تعدد الزوجات اعالة الأرامل من النساء مع اطفالهن كما انها كفلت استبقاء الجنس وهو امر حيوي لتامين بقاء الرجال المطلوب في حياة البداوة المحفوفة بشظف العيش وعسره •

وعدا ذلك فقد صانت المجتمع من تفشي البغي والفجور وقد قال اسحق تيلر بهذا الصدد :ـ

« واذا قلنا بمضار تعداد الزوجات فانا نرى لها منافع تفوق تلك المضار لانها ازالت واد البنات ومنحت كل أنثى حمى شرعيا تخلصت بها البلاد الاسلامية من الحرف المقوتة التي خزيها في المسيحية اشد وأكثر من تعداد الزوجات ـ فيا حبذا تعداد الزوجات المنتظم في البلاد الاسلامية فانه اقل اهانة للنساء وأكثر حصانة للرجال من البغي والفجور الذي هو خزي عظيم على البلاد المسيحية وهذا البغي غير معروف لدى الامة الاسلامية فهل والحالة هذه يمكن لبغاة الانكليز أن يرشقوا المحصنين الاسلاميين بحجارة الطعن والملام فلنخرج الحبر أولا من اعيننا قبل أن نخرج القذى من عين اخواننا • »

ومما يدل على ان الاسلام هو دين أبدي قد انزل لكل وقت ومكان نجد ان عادة تعدد الزوجات لم تعد تتبع في كثير من الانحاء الاسلامية الا ما ندر وقل ذلك لسبب التطور الذي طرأ في حياة معظم الجماعات بحيث جعل العسر الاقتصادي والظروف الحالية تعدد الزوجات متعذرا تطبيقه وبكلمة اصح ان المؤمن اصبح غير قادر على أن يعدل فيما اذا اتخذ له أكثر من زوجة فاعتصم امتثالا لكلامه تعالى بعدم تجاوز الواحدة ، هذا واذا دققنا كم هي النسبة المئوية من المؤمنين بالدين الاسلامي الذين يطبقون عادة تعدد الزوجات في الوقت الحاضر نجد فعلا انها نسبة جد قليلة واشد ما يكون هذا التطبيق بروزا في الاقطار النائية حيث لم يدخل الا تغيير بسيط في نظم جو الماضي الذي هم فيه الآن يحيون •

ومن الغريب أن في البلاد المتمدينة (ونعني بالمتمدينة البلاد التي اقتبست الحضارة المادية الحديثة) التي اصبح من المتعذر على المسلم وفقا لتعاليم القرآن تطبيق عادة تعدد الزوجات فيها لسبب حياة المدنية المرتبكة الحالية

وعدم امكانه العدل نجد اتباع الطائفة المعروفة بطائفة « المورمون » وهم غربيون يعيشون في وسط المدنية الغربية الحديثة لا يزالون يمارسون عادة تعدد الزوجات واليك ما يقوله الميجر باول في هذا الباب اذ يرى :ـ

« ان عادة تعدد الزوجات لا يطبقها اكثر من اربعة في المائة من مجموع النفوس في تركيا الاسلامية في حين ان في الوقت نفسه نقرا بكل هدوء ودون ما استغراب حول ممارسة ابراهيم ويعقوب وسليمان وآخرين من انبياء التوراة هذه العادة او البعض من ملوك المال وأقطابه الاميريكيين الذين قد أعدوا لهم مؤسسات خاصة لنسائهم العديدة بصورة لا تختلف عن تطبيق عادة تعدد الزوجات في سوى عدم مشروعيتها وكونها تجري وراء الستار ، ومن المهم ان نلاحظ بهذا الصدد ان عادة تعدد الزوجات لم تمنع في الولايات المتحدة الاميريكية الا بعد ما يقارب القرن بعد الثورة وكانت تمارس في مدينة «يوتاه» علانية قبل زمن قليل جدا ، وحينما توفي احد الوجهاء المشهورين من «يوتاه» منذ مدة ليست ببعيدة جلست نساؤه الأربع بجانب نعشه اثناء اجراء مراسيم الدفن . »

لقد كان من الضروري ان يعتاد قوم يعيشون في مثل مناخ الصحراء حيث تقصر مدة البلوغ وفي كل نظام اجتماعي ينطوي على حروب مستمرة يتعرض معظم السكان الذكور فيه الى الموت على ممارسة عادة تعدد الزوجات لكي يتسنى لهم محافظة الجنس وحينما حدث التطور الهائل في القسم من هذا المحيط فبات هذا غير ممكن ، ويروى عن نابليون قوله « ان محمداً كان اول مشرع شرقي حاول فرض قيد على تعدد الزوجات اذ هذه حقيقة يجب وضعها نصب الأعين . » وقد عزا السر ريجارد برتون في كتابه « الاسلام » ممارسة تعدد الزوجات وتعدد الازواج الى العامل الجغرافي ، وقد عبر تعبيرا رائعا عن استنكاره الشديد للخطأ الشائع القائل بأن الاسلام دين شهوة اذ قال :ـ

« من الصعب التوصل الى معرفة كيفية حصول هذا التقدير المتناهي من الخطأ ولا ارى تعليلا لحصول ذلك غير الجهل المطبق ولربما كان هذا الاستنتاج الشرير الفاسد قد بني على الزعم ان جنة المسلم جنة شهوة وعليه فلا حد لشهوانية المسلم في هذا العالم ، ومن الممكن ايضا ان العناصر التي لا تتزوج بغير امراة واحدة والتي تقطن الاصقاع الشمالية ـ لأن الزواج بزوجة واحدة وتعدد الازواج والزوجات من الامور التي تتحكم فيها الجغرافية ـ قد صدمتهم اباحة الاقتران باربع زوجات الا انهم قد اغفلوا ـ لدى تفسير سنة محمد ـ الحدود الدقيقة التي اودعها فيها فيما يخص حياة الترف والشهوة ، اذ ليس للمسلم ان ياخذ لنفسه زوجة واحدة ما لم يكن قادرا على اعالتها واكسائها وارضائها وعليه ان يعامل افراد البيت بصورة يتمثل فيها عدم التحزب الصارم متحاشيا بكل دقة ان يظهر اي افضلية في غير محلها الواحد على الآخر ولقد

ابيح له الاقتران باربع زوجات رغبة في ان يزيد في عدد افراد قبيلته ويضاعفها، ان الرجل القاطن في المحيط الحار والذي يتدرج نحو سن البلوغ والنضوج مبكرا ويفقد القوى التي تغريه على سوء التصرف فيها عاجلا لن يكون قادرا على تكوين اسرة كبيرة اذا كان بعلا لزوجة واحدة يجب ان يكون شانه شان اليهود فيخول مبدأ تعدد الزوجات ويمنح صلاحية الطلاق ، ان هذه الصلاحيات ضرورية لزيادة الجنس البشري في الشرق وليس ثمة دين يستطيع ان يسن شريعة يكون من شانها كبح جماح ذلك التكاثر الطبيعي الذي هو أساس كل تقدم ومدنية . واذا ضربنا صفحا عن هذه الاعتبارات هل في وسعنا ان نرمي بالشهوانية دينا يحظر على الرجل النظر الى تمثال او صورة ويندد بتعاطي المسكرات حتى اذا كانت على أبسطها ، هذا الدين الذي يحتم على معتنقيه اداء الصلاة خمس مرات في اليوم في كافة المواسم ، في الافراح والاحزان ، والمرض والصحة ، هذا النظام الذي يفرض اعطاء الزكاة بصورة غير منقطعة ويحرّم الربى كيفما كان والذي غالبا ما يصبح صيامه السنوي تجربة من اصرم التجارب التي يتعرض لها الانسان ، ذلك الدين الذي يحتم بصورة الزامية حج البيت القصي بكافة متاعبه ومصاعبه مرة واحدة في الحياة على الأقل والذي نادى نبيه كما نادى مؤسس المسيحية قائلا « الفقر فخري » والذي علم أتباعه موضحاً لهم أن أمرين يدمران الانسان وهما الثراء المفرط والكلام الكثير ، على أولئك الذين يعرفون الاسلام معرفة جيدة ان يرثوا خمرة التنسك والتقشف التي ينطوي عليها هذا الدين بدلا من أن يرموه بالشهوانية . »

الاسلام وكيفية انتشاره

لم يكن ثمة تحامل بين خصوم الاسلام اشد شيوعاً من الاتهام الباطل القائل بأن الاسلام دين قوة وارهاق ، هكذا كانت استنتاجات معظم علماء اللاهوت الغربيين ولا يزالون مستمرين على بثها بالرغم من كونها ادعاءات سخيفة لا يقرها الواقع ، وانهم ليجزمون أيضاً بأن العرب يهوون الشدة وان نبيهم جعل العنف أمرا قدسياً ، وثمة ادعاء آخر ذلك ان حركة محمد برمتها كانت مشربة بالروح العسكرية .

القوة !. اجل . ولكن اية قوة كان في وسعها ان تجدي لشخص محاط بالآلاف المؤلفة لمقاومته ؟ أهي القوة التي اكسبت محمدا نصره الأبدي ؟.. لا وربي ، فما كانت القوة التي ضمنت نجاح محمد في بث دعوته ، والادعاء بخلاف ذلك هو باطل وتلفيق وعدوان ... نظرة فيما يدونه التاريخ والتاريخ بالحقائق عليم وبالاختلاف هو الحكم المعني !. نظرة الى أتباع محمد وهم يتجشمون وعثاء السفر الى الحبشة القصية لتخليص انفسهم وحتى في ذلك المكان القصي طالبت قريش باستردادهم !.. لا ، فلا القوة ولا العنف

كانا سر انتشار الدين الاسلامي ولقد كان صدق دين محمد وليس شيء آخر سوى قوة ذلك الصدق الذي أثر في نفس نجاشي الحبشة فجعله يرفض والدموع في عينيه تسليم المنفيين المحمديين . ولنتصور محمداً نفسه مختفياً في الغار مصحوبا بابي بكر ثلاثة أيام عجاف يتبعه المطاردون من قريش لازهاق روحه ولما ان بلغ القريشيون الغار قال أبو بكر وقد اخذ منه الخوف ماخذه : « لسنا إلا اثنين » فأجابه محمد : « هنالك ثالث انه الله نفسه . » ولنتصور محمداً وحيدا مزدرى به وقد رميت العراقيل في طريقه مرجوماً بالحجارة كلما مرّ ... حقاً ان محمدا ليس مديناً بظفره الى السيف ولكن لا جرم انه مدين بذلك الى صدق رسالته والى سمو رائده . وليس لنا الا ان نجزم ان الجيوش كانت واسطة التقدم ولكن بعد كل ذلك فان محمدا لم يرغم احدا من أهل الكتاب على اعتناق دينه ولقد كان يسمح للاقوام المقهورة أن تنتخب أي الأمرين أما دين محمد أو اداء جزية معينة وفي حالة اختيار هذه الاقوام الامر الثاني فانها كانت تمنح مطلق الحرية في العبادة . وفعلا قد منع استعمال الارغام في سبيل الهداية الى الدين الاسلامي في القرآن الكريم وذلك بقوله تعالى :ــ « لا إكراه في الدين . »

والآن فلنسأل هل طوت المسيحية كشحاً عن الركون الى الحسام حينما آتتها الفرصة على ذلك ؟ لا شك في أن الجواب بالسلب ! ونضيف الى ذلك انها حينما سنحت لها هذه الفرصة خابت في البرهنة على ان المسيحيين هم اكثر كرماً ورحمة بالاسلام من هؤلاء باولئك . ان البابا اوربان الثاني لدى اثارته أتباعه على خوض المعارك ضد الاسلام كان يقول لهم : « اذا كان لكم أن تريقوا الدماء فاغسلوا أيديكم في دماء الكفار ، اني مكلمكم بشدة لأن مركزي يرغمني على ذلك . أي جنود جهنم كونوا جنود الله الحي . » تلك هي التعاليم العسكرية المسيحية ازاء رسالة محمد التي تنطوي على وجوب مراعاة الرفق في القتال حتى مع عبدة الاصنام . ولا أدري كيف يعلل اعداء الاسلام ادعاءاتهم الباطلة ومفترياتهم السخيفة حينما يقرون العنف والقوة الغاشمة الى الدين الاسلامي وكان الأحرى بهم ان يراجعوا ما صرح به مؤسس المسيحية حيث قال :ــ

« ما جئت لألقي سلاماً على الارض بل سيفاً . » (عاشر متي ٣٤)

« وهل توقف موسى من وضع السلاح بأيدي قومه ؟. فقد صادق المشرع الاسرائيلي الكبير على اراقة دم النساء والاطفال من اليسرى هدرا ، وحتى الملوك بترت رؤوسهم جهارا . ان هذه الفظائع كلها حرمها محمد بكل صرامة ولم يكتف بذلك بل حرم حتى استعمال الارغام والشدة في سبيل الهداية الى الدين الاسلامي وقد كان الذين تحت سطوته وحمايته من غير المسلمين

يدفعون جزية ضئيلة فيسمح لهم بحرية العبادة كما تنص عليه شريعتهم . فضلا عن ذلك فلو كان النبي قد ابتكر هذا النظام الجديد لنشر دعايته بحد السيف لما ترك وراءه تلك الأسفار الخالدة التي كان من السهل ان تصبح طعاما للنار بعد موته . كلا ! لقد كان الرجل كموسى يعتقد بكل صدق وايمان بأنه ينطق بوحي من الله . » (كتاب اليهود والاسلام لمؤلفه السير ريجارد برتون ص٣٣٢)

ولا بد ان نقول بهذا الصدد بانه لو كان الاسلام دين سيف وقوة لأباح مؤسسه ذبح اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في دائرة نفوذه . بيد ان التاريخ ينبئونا انه في الوقت الذي كان المسيحيون آخذين بخناق بعضهم البعض منصرفين الى اضطهاد اخوانهم المسيحيين وبينما كان اليهود مضطهدين في المجتمع النصراني كان محمد نبي الاسلام يبيح لغير المسلمين حرية العبادة في وقت كانت له فيه من القوة والسلطان ما يمكنه من ارغامهم على التنصل من عقيدتهم واعتناق دينه . فهل يمكن ان يعد مثل هذا التسامح جورا ؟ الم يكن في وسع محمد ان يعمل السيف في رقاب اليهود الذين قاوموه ماديا ومعنويا ؟ الم يكن قادرا على اضطهاد اليهود والنصارى وتحريض أتباعه ضدهم ؟ نرانا في غنى عن أن نجيب على هذا السؤال اذ مما لا ريب فيه على الاطلاق انه كان في وسع محمد أن يضع مثل هذا العمل موضع التنفيذ بكل سهولة بيد ان شهامته وكرم أخلاقه وعلو نفسه وتسامحه ـ كل هذه العوامل كانت من القوة بحيث تكفي للتحكم من تصرفاته .

ويعود المستر كوبر فيحاول في مقاله « حياة محمد » الملمع عنه آنفا اقناع قرائه في كون الاسلام دين سيف بقوله :ـ

« ان الوعاظ المسلمين ما زالوا معتادين على القاء مواعظهم على الناس وعلى يمينهم سيف لا لكي يكون رمزا للكيفية التي نشر فيها ذلك الدين فحسب بل لكي يكون نذيرا بما سيتوقعه كل من تحدثه نفسه في الارتداد عن دين محمد او النكول عن الدفاع دونه وان لمثل هذا التهديد يعود الفضل في انتشار الدين الاسلامي المترامي الاطراف ولبقائه الطويل الأمد اذ لا يجرأ احد على التبرأ منه دون أن يضع نصب عينيه الموت في أفظع صوره . »

والظاهر ان المستر كوبر يجهل كون الاسلام كالعقيدة البروتستانية ليس له وعاظ بالمعنى الذي يعرفه المسيحيون ، وان المسلمين في علاقاتهم مع بعضهم البعض ليسوا متساوين دون ان يمتاز احدهم عن الآخر بشيء فحسب بل انهم يعيشون كاخوان في شكل خاص من الحياة الديمقراطية بحيث ليس لهذه الحياة مثيل في اي نظام ديني آخر ، ومن الأمور الطبيعية ان يذهب المسلم او المسيحي الى الحرب حاملا سيفه الى جنبه ولا سيما في ذلك العهد العصيب

الذي كانت الحياة فيه مهددة من كل النواحي فقد كان على المسلم ان يحمل سيفه دوماً ، وعلى قدر ما نستطيع ان نراه نقول ان زعم المستر كوبر لا يثبت الا كون المسلمين لم ينسوا إلههم حتى في حروبهم مما يدل على تعلقهم في دينهم وايمانهم به ايماناً لا يزعزعه غير المنون ، وعليه فقد اثبت المستر كوبر في زعمه هذا فضيلة للاسلام الا وهي اداء العبادة الى الله حتى في وقت القتال ، ومن الواضح ان المستر كوبر هذا يجهل انه لم يسبق ان اقبل قوم على عقيدة ما بشغف شديد كما اقبل المسلمون على الدين الاسلامي اذ لا شيء سوى الموت في وسعه حمل المسلم على هجر عقيدته ، ولو كان المسلمون قد اسلموا بحكم السيف فلم لم ينقلبوا نصارى حينما غزا هؤلاء بلادهم ولم لم ينفضوا أيديهم عن الاسلامية ولم آثروا الموت على الارتداد عنها حينما اتيحت لهم فرص كثيرة هذا فيما اذا صدق قول المستر كوبر بانهم اعتنقوا الدين الاسلامي على حد السيف ؟. كلا ! ان اتباع محمد قد اعتنقوا الدين الاسلامي عن طيبة خاطر وهم أشد اخلاصاً وتفانياً وخضوعاً لعقيدة نبيهم العربي من اتباع أي دين آخر ، وهذا أمر يمكن تحقيقه بسهولة من قبل من احتكوا بالحياة الاسلامية . ان في الاسلام قوة وهذه القوة ليست السيف بل انها صدق العقيدة وشدة الايمان بها وأخال انه ليس ثمة من قدم جوابا عن هذه النقطة أقرب الى الحقيقة من توماس كارلايل حيث قال :ـ

« ما أكثر ما قيل في شأن نشر محمد دينه بالسيف غير ان اذا جعل الناس ذلك دليلا على صدق دين ما أو بطلانه فشد ما اخطاوا وجاروا فهم يقولون ما كان الدين الاسلامي لينتشر لولا السيف ولكن ما هو الذي أوجد السيف ؟ هو قوة ذلك الدين وانه حق ، والراي الجديد اول ما ينشأ يكون في راس رجل واحد فالذي يعتقده هو فرد ـ فرد ضد العالم اجمع فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام في وجه الدنيا فلا يجديه فتيلا ، وأرى على العموم ان الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال ، او لم ترون ان النصرانية كانت لا تانف أن تستخدم السيف احياناً وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون وانا لا احفل أكان انتشار الحق بالسيف أو باللسان أم باية آلة اخرى فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة او بالنار لندعها تكافح وتجاهد بايديها وارجلها واظافرها فانها لن تظفر بشيء لا يستحق الظفر به وليس في طاقتها قط ان تفني ما هو خير منها بل ما هو احط وادنى فقط والطبيعة في هذا الكفاح الأعظم تكون الحكم والقول الفصل دون أن تخطىء او تنحرف الى المحاباة ولعمرك ان المذهب الذي تتاصل جذوره وتورق فروعه في الطبيعة ذلك الذي نسميه الحقيقة انما هو وهو وحده الذي يبقى نامياً زاكياً . »

وختاماً نورد بهذا الصدد حادثة تاريخية تعود بنا الى تاريخ عهد

النهضة الاسلامية فتوضح لنا شهامة المسلمين وما اتصف به الاســــلام من الفضائل وحسن النية في فتوحاته وذلك انه حينما فتح الخليفة عمر القدس عام ٦٣٧ بعد الميلاد لم يحدث ان دمرت أية املاك أو أموال ولا اريقت دمـاء خارج ساحة المعركة والحركات العسكرية خلال الحصار ففي أبان الفتـح وبعده كان السلم ناشرا رواقه على المدينة المقدســـة ولقد شوهدت مظاهر أواصـر الصداقة والتفاهم بين المسلمين والمسيحيين خلال المحادثات الودية بين الخليفة الظافر والبطريرق حول تاريخ المدينة حينما كان الاثنان يتجهان نحوها ، والمقول ان البطريرق دعى عمراً الى الصلاة في كنيسة القيامة بيد ان هذا رفض هذه الدعوة خشية أن يتخذ اخلافه هذا الامر حقاً مكتسباً وبذلك يكونون قـد هدروا حرية العبادة التي كان يحرص على ضمانها للســكان ٠ هكذا كانت العلاقات بين المسيحيين والاسلام حينما سقطت الارض المقدسة لاول مـرة بيد المسلمين الفاتحين ٠ ومن المهم أن يلاحظ المرء بهذه المناسبة ان التقاليـد التي تقضي بأن يكون حارس باب كنيسة القيامة محمديا يعود الى ايـام فتـح المدينة المقدسة على يد عمر وذلك تذكارا لشهامته ونبل غايته حينما ابقى على حياة السكان وصان كنيسة القيامة من العطب والدمار ، ولما ان استســلمت القدس عام ١٩١٧ الى الجنرال اللنبي بعد مضي ١٣ قرنا اضاف الجـنرال الظافر الى منشوره فقرة تتضمن تخويل المسـلمين الذين توارثوا حراسـة الكنيسة ابا عن جد حق الاستمرار على مزاولة هذه الحراسة وذلك اعترافا منه بشهامة عمر ٠

ومما يبرهن على كون المسيحيين اقل مراعاة للواجب الانساني هو اباحتهم كل منكر في المدينة المقدسة حينما انتصروا على المسلمين وانتزعوا ســلطتهم منها وذلك انه عندما هاجم الصليبيون تلك المدينة عام (١٠٩٩) واحتلوهـــا أباحوا السلب والنهب والقتل بما في ذلك قتل النساء والاطفال لمدة ثلاثة أيام بلياليها وذبح ٧٠٠٠٠ من المسلمين استشهد عشرة آلاف منهم في جامع عمر نفسه ، وما هو الا زمن قصير حتى دار الفلك دورته وقلب للصـليبيين ظهر المجن فغادروا القدس وأصبحت تحت رحمة صلاح الدين عام (١١٨٧) ٠ فهل عمد الظافر الى الانتقام ؟ كلا ! لقد كانت شهامة عمر نبراساً لاعمالـــه فقد اباح الحرية للاسرى بعد ان استوفى منهم الجزية وسمح للنصارى الافرنـــج بمغادرة المدينة دون ان يلحق بهم ضررا كما سمح للنصارى الشرقيين بالبقـاء والسكنى فيها بسلام وطمانينة فساد في المدينة جو السلام والصفاء(٥) هذه هي

(٥) ومما يجدر بالذكر بهذا الصدد انه بعد غزوة خيبر طلب اليهود من النبي محمـد (ص) ارجاع صحائفهم المقدسة فامر بتسليمها لهم وذلك لما لهذه الصحف من المكانة العالية في نفس الرسول بخلاف ما حدث في عهد الرومان حين فتحوا بيت المقدس سنة ٧٠م فقـد

حقيقة لا يمكن نكرانها ولكن الغربي المتعصب يتجاهل شهامة الاسلام وسموه وفضائله . ان الاسلام ارفع من أن ينعت من قبل المتعصبين المغرضين بالقسوة والعنف فانه بالعكس نصير الضعيف والبريء وقد أوصى القرآن بوجوب الرفق بغير المحاربين اذ قال :

« لا ينهاكم الله من الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . » (سورة الممتحنة) .

تلك هي روح هذا الدين الذي كثيرا ما روج عنه البعض انه دين السيف . فالى ضميرك ووجدانك ايها القارئ يرجع الحكم فاحكم لنفسك وانصف وان الله يحب المنصفين ..

الاســلام والتقـدم

ما اكثر ما قيل وكتب حول تعاليم الاسلام وكونها تعارض أي تطـور أو تقـدم وكون الاسلام دين ركود وجمود . هكذا كان راي معظم خصوم الاسلام وما زال كذلك ، ولو كانت الفكرة صادقة لما شاهد العالم انقسام مفكـري الاسـلام الى شيع عديدة كل لها رايها الخاص كما لا شك ان العالم لم يكن ليشاهد الاصلاحات الجارفة التي أدخلت في العالم الاسلامي خلال العشرين سنة الماضية واننا لنجد تعابير شائعة « كالعالم الاسلامي الجديد » « والعالم الاسلامي اليوم » والى ما هنالك من العناوين المشابهة كلها تؤيد وجود التقدم والتطور في دائرة الادب الاسلامي ، فاذا كانت الحال كذلك فهل يمكـن أن يكون الاسلام منافياً او معاكساً لمجرى التقدم ؟!

ومن الكتاب من يذهب الى أبعد من هذا فيدعون أن الاسلام والجهـل على صعيد واحد وللاثنين صلة وثيقة ويقول الدكتور بارتون تعليقا على هذا الزعم: « لو كان هذا حقاً اذن لوجب علينا أن لا نتوقع غير تأثير تافـه على العـالم الاسلامي من جراء حدوث الاحتكاك مع المدنية الغربية وان الحقيقة الواقعـة هي ان ثمة أصلاح وتطور بارزين قد طرآ في العالم الاسلامي لا يمكن نكرانهما سيما في هذا العصر . »

ان ما الصق بنبي الاسلام بانه بشر بركود الفكر ولم يقبل التطور والرقي حجة مردودة تنقضها احاديثه المأثورة عنه واليك بعضها أدناه :ـ

« من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة »

« اطلبوا العلم من المهد الى اللحد . »

احرقوا الكتب المقدسة وداسوها بارجلهم وقد حذا حـذوهم النصارى في الاندلس حيث اتلفوا صحف التوراة ايضا ولا ريب في ان القارىء ليقدر البون بين مسلك الفاتحـين من النصارى وسيرة رسول الاســلام .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . »
« اطلبوا العلم ولو بالصين . »
« الحكمة ضالة المؤمن يطلبها اينما وجدها . »
هذا وان القرآن الكريم قد ايد ذلك اذ جاء بقوله تعالى : « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » « وقل رب زدني علماً » . وادل على ذلك قول الامام علي بن ابي طالب « علموا اولادكم علوماً غير علومكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم » .

فهل يمكن ان يكون دين ينادي فرقانه ورسوله بمثل هذا البلاغ دين جهل وجمود ؟ وان ثمة احاديث أخرى كثيرة تعزى الى محمد وكلها توفر حجة وسندا للحسم النازع الى التقدم . ان اللهفة التي يبديها المسلم العصري نحو العلوم والثورة الهائجة ضد الجمود والجهل والخرافات والظما الى العلوم العصرية ان هذه الظواهر التي تبدو للعيان اليوم في طول العالم الاسلامي وعرضه ليست سوى دليل واضح على ان الاسلام يقبل الاصلاح والتقدم بل انه يميل الى الانخراط والسير في مجال النهوض والتنوير .

لقد جاء الاسلام بتربة خصبة للاصلاح والتسامح وكما قال خودا بوخش « ان المسلمين غير مقيدين في اتخاذ كلما هو مستحسن من اية مدنية وان كافة الاديان متماثلة في مبادئها الاساسية وليس في تعاليم محمد ما يتنافى مع التجدد والتمدن الحديث . » وختاماً يحسن في هذا المقام ان نورد ملاحظات الدكتور بارتون الذي يقول :ـ

« ان الاسلام الجيل الأخير يدخل حياة جديدة وثمة ثورات اجتماعية ودينية وثقافية قائمة على قدم وساق في العالم الاسلامي وهذه الحركة أوسع مدى وأرصن أساساً من اي حركة دينية مماثلة منذ حركة الاصلاح الديني في اوروبا . »

ملاحظات وخلاصة

وقصارى الكلام لنا ان نقول انه لا يوجد دليل على ان العالم الاسلامي يكافح المبادىء المسيحية الجوهرية او انه يمقت العقيدة المسيحية بل انه بالعكس يحترمها احتراماً وفيرا ، وقد برهن الاسلام على تسامح وتساهل ديني تجاه المسيحية واليهودية لم يسبق لهما مثيل في تاريخ الديانات البشرية وذلك بالرغم من الموقف العدائي الذي اتخذته الديانتان المذكورتان تجاه الاسلام .
ان ما يستنكره الاسلام هو غير المسيحية وفي الحقيقة انه يناوىء الشكل الجديد للمسيحية ـ تلك المسيحية التي تطورت لملائمة رغبة الغربي في ممارسة مختلف شرور المجتمع الحديث ، لقد خابت اوروبا المسيحية في اظهار دليل يبرهن على كونها راعت جوهر المبادىء المسيحية في معاملتها للعالم

الاسلامي ونرانا في غنى عن ان نستعرض ذكريات الحـــوادث التاريخية بين المسـلم والمسيحي وانا لنشير الى الادوار التي لعبتها الـــدول الغربية على مسرح السياسة اذ ليس قليلا هو عدد المرات التي سارت فيها قوات المسلمين والمسيحيين جنبا الى جنب كحلفاء امناء ضد جيوش مسيحية معادية ، ولقد استعمل الدين آلة للدعاية واثارة الراي العام ضد المســـلمين حينما كانت الضرورة تتطلب تغيير سياسة التفاهم أو التحالف مع الدول المسلمة ٠

وفي الواقع ان المسالة ليست مسالة دين ٠٠ ان ما يحاربه الاســلام هو الروح الاستعمارية الغاشمة وليست المسيحية ٠ ان المسيحية دين شرقي وان الاســلام ليعترف بهذه المسيحية الأصلية كما ورد وصفها في القرآن الكريـم واما المسيحية التي حورت وادخل عليها كثير من التحريف والتعاليم لكـي تلائم الاوضاع السياسية والنفسية الغربية فهي هذه التي لا يقر بها الاسلام ٠

ويجدر بنا ان نشير بهذا الصدد الى ما ذكره (المغفور له) جلالة الملك فيصـل حينما سئل عن رايه في رجال السياسة العصريين فقال :ـ

« انهم كالصور الزيتية العصرية يجب ان يعلقوا في القاعات وينظر اليهم من بعيد ٠ »(٦) ذلك هو راي مسلم عربي قح ـ مســلم مؤمن لقن لكي يكون مخلصاً للعهود وصادقاً للمواثيق ـ في المخاتلة المسيحية العصرية ٠

وعلى كل فان المسيحية قد حرّفت لملائمة الاطماع الاستعمارية وتبـــرير الادعاءات كادعاء (الحق للقوة) و (اخضاع الضعيف من عمل الطبيعـــة) و (الابيض النورديك هو الســيد الســـامي) الخ٠٠ ان الألوان كالأبيض والأســود والأصفر والأسمر لم تكن معروفة لاتباع المسيح الاولين ومع ذلـك فانك تراها في انجيل المسيحية الحالية ٠ ولنا أن نقول بهذا الصـــدد بان مبادىء الحب والأخوة التي تنادي بها المســيحية في بعض تعاليمها والتي لـم تتعد حدود النظريات ينفـــذها الاســلام بالفعل وبكل دقة ٠ ان الاســـلام لا يعرف جنساً أو لوناً وكل المسلمين ســواء غنيهم وفقيرهم أبيضهم وأسودهم كلهم متســاوون نظرياً وعملياً ٠ ان الروح الديمقراطية الحقة التي حــاول العـالم المتمدين تقريرها فخــاب داخلة في صلب الاســلام ومرعية من قبـل المســلمين ٠ ونورد فيما يلي انتقادا لقاضي مســلم في بنغال بشأن المســـيحية العصرية اذ قال :ـ

« نحن لا نعترف بان المسيحية العصرية المطلاة بفلسفة اليونان تمثل الدين الذي بشر به المســيح ونرى ان الاســلام يمثل المسيحية الحقة ، انا لا نعتقد

---

(٦) انظر مجلة آسيا لشهر آب ١٩٢٠.

ان المسيح الذي عاش مع الفلاحين وصيادي الاسماك فاه باي تلميح يبرر اتباع التحريف والزينة الفخمة في العبادة المسيحية العصرية بما يتبعها من ذيول خداعة تحير العقول وتحول القلب عن عبادة الله الاكبر . »(٧)

لقد أساء معظم علماء اللاهوت الغربيين تعريف الاسلام وهذا ما يؤسف له لأن ذات الرجال الذين تقع على عاتقهم مسؤولية نقل الصدق قد افلحوا في توجيه الرأي العام شطر وجهة نظر خيالية خداعة غير حقيقية عن الاسلام.

ولقد نسبت الى بعثات التبشير اقتراف اخطاء عديدة أهمها جهلها الأديان الشرقية والظهور بمظهر التفوق والكبرياء وفي الواقع قليلون هم الغربيون الذين عاشوا عيشة شرقية ودرسوا الحياة الاسلامية درساً وافياً ولم يعربوا عن تقديرهم وتعظيمهم للمبادىء الاسلامية .

ان ما يحتاجه العالم هو ذلك الصنف من الرجال ذوو الفكر الواسع وبعد النظر الذين يحملون استعدادا لمعالجة الموضوع بروح غير متحيزة او مغرضة وتكريس حياتهم من أجل خدمة الانسانية ـ تلكم الخدمة الصادقة التي تنطوي على التفاهم المتبادل والتعاون الاخوي في سبيل اظهار الحق والحقيقة . فلكي يسود السلام والتفاهم بين الناس يجب أن يفهموا بعضهم بعضاً . ان العالم لينادي رافعاً صوته من أجل السلام ولكننا نغض النظر مهملين أفضل طريقة للتقارب ان لم تكن الطريقة المرضية الوحيدة ، فما أكبر الخدمة التي في وسع كبار الوعاظ اسداؤها الى البشرية لو انهم استغلوا نشاطهم وفصاحتهم في بث انجيل التفاهم والاخوة واظهار فضائل الديانات الأخرى بدلا من ان يوجهوا عنايتهم ويبذلوا كل ما في استطاعتهم من الجهود في محاولة التاثير على عقول السذج وتهويل اخطاء المذاهب غير المسيحية أمامهم !

لا يمكن اخضاع الاسلام بالقوة لان للمسلم حياة مفعمة بالاباء والمشمم وله ماض مجيد يجعله يفضل الموت على حياة الذل والهوان . وفي الوسع اخضاع المسلم وقهر قوته اما روحه الصميمية وايمانه الثابت ويقينه الصادق فلا تخضع ولا تقهر ، وان الطريقة الوحيدة للنفاذ الى روحه واكتساب قلبه هي الثقة والصدق والصراحة . لقد ارتضى المسلم بالاسلام له ديناً وقبل عقيدته الروحية ، فاقبل عليه بصميمية نادرة وشغف نفسي بلغ درجة جعله يصبح مثالا باهرا للصدق والصميمية والاخلاص . والقليل من الدول من

---

(٧) ومن الغريب ان بعض الكتاب الغربيين لا ينكرون بان المسيحية الغربية التي يدين بها الغرب هي غير المسيحية السامية التي يعرفها الشرقي وان كانت مشتقة منها ويؤيدون هذه الفكرة لتبرير مزاعمهم وغلوهم في تفوق العنصر الاري وانقطاع صلاته بالمرة مع مذهب السامية .

حاول التقرب من المسلمين من هذه الناحية ، فقد فرض الغرب على العربي الأبي وضعاً مزرياً ، فضربوا عاصمة الأمويين التاريخية بالقنابل ودمروا غوطتها وحدائقها الذائعة الصيت وقتلوا الأبرياء واعملوا السلب والنهب في دورها غير المحصنة كما انهم ادخلوا شراذم اليهود من الصهاينة الى البلاد العربية تحت تهديد الحراب ، وقد استعملوا القوة ضد الفلاح الاناضولي في محاولتهم تجريده من أرض آبائه واغتصابها منه وحرضوا جيرانه المسيحيين ضده لكي يضمنوا مصالحهم ويشبعوا شهواتهم ومطامعهم ، وعلى ذلك فلا مجال للاستغراب اذا راينا الشعوب المسلمة تنضم الى الصفوف المعادية والقائمة بوجه أساليب الدول المسيحية .

واود ان اعيد ما صرح به المستر ٠ڊ٠ر٠بي٠ سميث الذي يقول : « في الحق انه اذا كان للمبشرين المسيحيين ان يفلحوا في كسب المسلمين الى صفوف المسيحية فان عليهم أن يغيروا اساليبهم وذلك لا يكون عن طريق الحط من شأن النبي العربي العظيم ولا بالقاء بذور الشكوك والريبة في رسالته بل عن طريق اداء الاكرام الذي هو به جدير وبيان كيفية تماثل المسيحية والاسلامية لا اختلافهما ... بهذه الطريقة وبها دون سواها تستطيع المسيحية ان تكسب ود الاسلام وليس بمحاولة اكتساحه لان الصدق الذي يحمله في رسالته ـ وهو كثير ـ لا يمكن ان يمحى او يندثر . »

علينا ان نلاحظ في هذه المناسبة ان العالم المسيحي اخذ يدرك اهمية روح التسامح المشربة بالتآزر ويسير البعض من مبشري الاميركان في طليعة هؤلاء الغربيين لأنهم باتخاذهم سياسة التفاهم والاحترام ازاء الدين الاسلامي قد افلحوا في كسب ثقة العالم الاسلامي ووده . وقد لا يكون ثمة دليل او مثال انصع بياناً لخطة مثل هذه الارساليات الاميركية من الجامعة الاميركية في بيروت . وللمرء أن يقول دون ما تردد انه لم يسبق لأية مؤسسة مسيحية ان اكتسبت المودّة وحسن الثقة التي تتمتع بهما هذه الجامعة في العالم الاسلامي ، فلقد كانت منذ نصف قرن مضى منارا لمسلمي آسية الغربية ، فسورية والعراق ومصر وفلسطين وايران كانت وما تزال تبعث طلابها الى هذا المعهد وقد تخرج منه معظم الزعماء المنورين الوطنيين . فاية خدمة في وسع العالم المسيحي اسداءها الى المسلم يمكن أن تكون اشد فائدة واقرب الى الانسانية من المهمة التي اخذتها هذه المؤسسة على عاتقها !. الدين !.

اجل . ولكن ماذا عسى ان يفعله التبشير بالمسيحية لشعوب تحاول خلع نير العبودية المسيحية عن كاهلها ؟! وماذا عسى ان تكون نتائج الجهود لتنصير شعوب قد لاقت الويلات من هؤلاء الغربيين الذين يسمون انفسهم مسيحيين؟! في الحقيقة ان المسلم لا يرى في هذه المحاولة ـ محاولة التبشير بالدين

المسيحي - الا وسيلة لتعليم الحر كيفية الخضوع والاستسلام ، ومن المؤكد انه لا يفهم منها سوى أن المبشرين يحاولون اقناع من يطمح بارجاع مجده الغابر بقبول الذل والوضاعة . هذه أمور أدركها الاميريكي الثاقب الفكر .
لذلك فلا غرابة اذا كانت رغبته في خدمة البشرية قد دفعته الى اتخاذ سياسة العطف والتفاهم . وارى ان الرجال الذين كرّسوا حياتهم في تنفيذ هذه السياسة منتظرين ما تأتي به الأيام من مصير جديرون بشكر عميم من البشرية اذ لا جرم ان ما ادوه من خدمات للبشرية أثمن من أن يقارن باعمال معظم الواعظين الذين يحرقون الأزم والأرم سعيا منهم وراء المناداة بنقائص الأديان غير المسيحية ناشرين جراثيم التحامل والتعصب والمغالطة .

ان جامعة بيروت الاميريكية تحاول - على عكس المؤسسات الاخرى - ان تجعل من الحدث المسلم مسلماً صالحاً ومن الشاب المحمدي رجلا مخلصاً لوطنه بصورة خاصة وللانسانية بصورة عامة ، وهي مع بعدها عن أي غرض او نية تنطوي على فرض التقاليد او اللغة الاميريكية على تلامذتها ومع بعدها عن التحسس بأي تعصب او تحامل ديني فقد استطاعت ان تنجز في نصف القرن المنصرم المقاصد والغايات الكبرى التي كان في عزم المستر اندرو كارنيجي واضرابه من محبي الخير للبشرية تحقيقها بواسطة الملايين من الدراهم التي اراقوها في مجرى الانسانية .

ومما يبشر بالتفاؤل ان عدة مؤسسات اميريكية في العالم الاسلامي قد احتذت بخطة الجامعة البيروتية وانا لنأمل من اعماق القلب أن تتخذ الإرساليات الغربية الأخرى هذه السياسة في البلاد الاسلامية الشرقية .

وختاماً أقول انني أود أن لا يبرح عن ذهن القارىء أن الاسلام هو آخر دين عالمي عظيم وانه يكوّن جسر المثل الاعلى للنهضة الروحية يوصل بين العقيدتين الأساسيتين ، أي اليهودية والمسيحية ، فلما كان كذلك فانه يجب أن يعطى المركز الذي هو به جدير في تاريخ الجنس البشري . ان الاسلام ليدعو الى التسامح والتفاهم ولقد حان الوقت الذي يجب على العالم المسيحي ان يجيب على هذه الدعوة بروح التعاون وحسن النية . وليس الا بعد أن يتفق الفريقان ويلقن المسيحيون المسلمين ان يحيوا كمسلمين صادقين مقدرين للدين الاسلامي حق قدره ويلهم المسلمين المسيحيين لكي يعيشوا كمسيحيين حقيقيين حتى يمكن أن يسود التفاهم والتضافر بين هذين الدينين الرئيسيين .

ان الاسلام بالرغم من اهتمامه القليل باعمال التبشير فانه مع ذلك قد عاش وظل حيا ولن يموت . اما محاولات بعض المسيحيين الرامية الى استئصاله والقضاء عليه فقد باءت بالفشل والخذلان وان مجرى الحوادث تدل بكل جلاء ان العالم المسيحي يجب ان يقلع عن خصومة الاسلام وان يستبدلها بالصداقة

والتفاهم لكي يتسنى وضع الحجر الاساسي للعلاقات الودية والتوفيق بين الشرق والغرب . يحمل الاسلام بلاغاً سامياً ورسالة مقدسة الى النصرانية كما ان هذه تحمل رسالة معترف بها ، ففي طريق التسامح والتفاهم المتبادل وبهذه الطريقة فقط يمكن ان تحل روح الاخوة محل خصومة العقيدة والمذهب .

الملحق الثاني

فلسطين بين العرب والصهاينة



فلسطين بين العرب والصهيونيين
مقال للمؤلف نشر في جريدة الاحرار البيروتية

بتاريخ ٢٨ آب ١٩٣٠

ما عرف التاريخ في جزيرة العرب منذ ظهور نبي الاسلام (ص) منشورا شديد الأثر كالمنشور الوجيز (منشور بلفور) وهل أعلنته حكومة انكلترا حباً باليهود او مقتاً للعرب ، او دفاعا عما للامبراطورية البريطانية من المآرب والأغراض في شرقنا العربي ؟!

لا وربي ، فما الشغف باليهود ولا المقت للعرب ما دفع انكلترا لاعلان عهد بلفور !!

قبل أن اتقب صفحات التاريخ اقول : ان غرض انكلترا الاول هو القبض على ابواب البحور ولا غرو فحياة انكلترا قائمة في سلطانها على ظهر المياه ، إذاً فمن واجب كل انكليزي وطني ان يضحي بنفسه في سبيل حفظ سلطانها هذا . واهم ميدانه في البحر المتوسط ، فهو الجادة القريبة التي تجمع انكلترا بالهند .

وهذا جبل طارق يخضع لارادة انكلترا ، وهكذا قناة السويس !. وبعد التفكير نجد ان حفظ قناة السويس يستوجب القبض على ساحليها من جهة مصر ومن جهة فلسطين وهذا يفسر لنا سبب اندفاع حكومة انكلترا في ارسال القوات وانفاق الاموال لانشاء القطار بين مصر وفلسطين والقبض على الاخيرة ، فضلا عن ان ميناء حيفا مركز حيوي من اهم القلاع على ساحل البحر المتوسط . فالقبض عليه لا يستهان به سيما وقد كان في بال الانكليز ان مصر ماشية بسرعة نحو استقلالها .

نأتي الآن للجواب عما يتساءل القارىء ازاء غرض انكلترا من اعلان منشور بلفور ، وما أبسط جوابه ! ان انكلترا تحكم الهند الواسعة دون قوات جسيمة ، تحكمها بجراثيم المشاحنات الطائفية التي تستقي غذاء النمو من ذهب انكلترا ، وهكذا اراد دهاة بريطانيا العظمى أن يقبضوا على فلسطين بجراثيم المشاحنة والقتال بين ابناء العرب والصهيونيين وما اجملها من فكرة ؟ فان كانت جراثيم المشاحنات الطائفية في الهند تستمد نموها من ذهب انكلترا فجراثيم القتال بين اليهود والعرب تستمد غذاءها من ذهب يهود العالم ، والنتيجة المطلوبة ان يبقى الانكليزي حاكما ما دام هناك مشاحنة واضطراب .

إذاً فالحركة الصهيونية آلة اتخذها الانكليز لانفاذ مشيئتهم ومآربهم في شرقنا العربي لا حباً باليهود ولا مقتاً للعرب . وكل صهيوني بعد اليوم جندياً بريطانياً ، وبه قد ضمنت انكلترا سلطانها في فلسطين بلا ذهب

ولا جنود ، وما أعلنه السير هاورد مبعوث بريطانيا في اميركا أيام الاضطرابات في فلسطين السنة الفائتة يؤيد قولي ، فقد أعلن قبول حكومة انكلترا انضمام متطوعين اميركيين من الصهيونيين الى جيش انكلترا لاعادة السلم في فلسطين.

الاحتجـاج العربي

يقول العربي « الحق يعلو ولا يعلى عليه » فهذا اسّ حضارة الأعـراب ووحي شعرائهم ! اما مدنية الغرب ويا للاسف فاقول انها قائمة على مبـدأ مادي ، مبدأ القوة والمدفع ، « القوي يعلو ولا يعلى عليه » هذا اسّ حضارة الغرب التي اضطرتنا الظروف أن نحني الرأس أمامها ، لما قدم الغـربي على العالم الجديد اغتصب ارض الهندي الاميركي ، واستعبد سكان الارض ، ثم اخذ باستئصال نسلهم شيئا فشيئا ، وحجته بعمله هذا ان الهندي وحشـي فالحق للغربي « المتمدين ! » بأن يستثمر الارض ويستعبد الضعيف وهكـذا جاء الانكليزي يريد أرض فلسطين بحجة ادخال مدنيـة الغرب على سـكانها الذين يلقبون بالمتاخرين ، ويعد دخوله معروفا يجب ان يشكره عليه أبنـاء الغرب قاطبة ، ويا له من معروف جميل !!

والاحتجاج العربي اليوم ، لا سيما أيام الاضطراب الفائت اثار الغضب في الغرب على بني العرب عامة لما كان من الاذاعات المموهة ضدهم ، فلا يسعني وانا اكتب هذه السطور الا أن انقل الى العربية ما نشـرته احدى صحـف اميركا في هذا الباب ، قالت :ـ

« ان واجب الأمة الاميركية أن تعلم بان القتال في جزيرة العرب لم يكـن قتالا بين عربي وصهيوني فهو قتال بين همجية ومدنية ، هذا وقد مضى مئات السنين وفلسطين خاضعة الى العربي فلم يكن في خلالها تقدم او حضارة ، ولم تشاهد فلسطين طرائق المدنية الحديثة الا بعد أن دخلها الانكليز وبنو صهيون[1] من منا ابناء اميركا اليوم يؤيد القول بان الغربي اسـتملك أرض الهنـدي الاميركي بلا حق ولا عدل ! »

وهكذا فقد اصبح العربي بين الغرب همجيا يشبه بالهندي الاميركـي ، وباسـم الخـدمة والانسانية امست بلاده الحرة العريقة النبيلة المنشـأ قيد الرق والاستعباد . ألا لقد دنا الأوان لأن ينهض بنو العرب عامـة من سباتهم

---

(۱) يظهر أن كاتب هذه السطور لم ينتبه الى الحقيقة التاريخية بان جمود وتاخر فلسـطين وجزيرة العرب كلها لم يكن خضوع هذه البلاد الى العربي ولكن من خضوعها الى الاجنبي فقد كانت خاضعة الى الاتراك الذين اخمدوا فيها روح المدنيـة العربية وقتلوا نفوس الاعراب العالية .

نبرهنون للملأ ان أكثر ما للغرب من مدنية وعلوم مستمد من مشعل الحضارة العربية الذي انار الغرب باضوائه يوم كان الغربي يتمرغ في جهله المطبق ، ولكن كيف نبرهن على ذلك ؟ نبرهن عليه بتوطيد عرى الاتحاد بين الاعراب على مختلف مذاهبهم باحكام التفاهم بينهم !!.

حقوق فلسطين ركن من اركان النهضة العربية تهم كل عربي حر ، بقطع النظر عن الدين ، قاتل بنو العرب في سبيل تحرير الامة العربية عامة ، ولم يقاتلوا مقتاً بالاتراك بل قاتلوا حباً بالاستقلال العربي وارجاع مجد غابر كان له اثره المجيد ورنة تردد صداها في العالم باسره ، قاتل الأعراب في سبيل مبدأ شريف كنهه روح عربية حقة وأساسه استقلال عربي تام ، فوعد بلفور اعتداء على مبدأ الحق والعدل ، اعتداء على الانسانية ، يقاتل انبل المطالب ، هذه اميركا المتمدنة تقاوم دخول الاجنبي داخل حدودها ، وتطرد الياباني والصيني ، وتحقر الشرقي والهندي ، وحجتها انها أمة مستقلة تعمل ضمن حقوقها فبأي حق يريد الغرب اغتصاب ارض فلسطين وادخال الغريب اليها ؟ يقولون ان لهم مدنية عظمى وهم يقبلون مبدأ الهمجي القائم على قدرة القوي . لا وربي فلا يحق لهم أن يرفعوا رؤوسهم فخراً بمدنيتهم الا بعد أن يحترموا حق الضعيف ويكفوا عن اعمال تهمل مبدأ الانسانية والعدل . « الحق يعلو ولا يعلى عليه !! » هذا مبدأ المدنية الحقة ، وما لنا بني العرب عامة الا أن نرفع رؤوسنا فخراً بأس" حضارتنا !!.

بنو اسـرائيل

لنعد الآن الى بني اسرائيل وما ادل من التاريخ ، فلم يقم فيه دليل واضح على ان الاسرائيلي يقبل المعيشة في وطن واحد بين بني جنسه ليؤلف منهم امة قوية متحدة . فهو يشترك بالعواطف والشعور مع بني جنسه ما دام بعيداً عنهم ولكنه لا يكاد يقترب منهم ليعيش واياهم في موطن واحد حتى يفتح الاحتكاك باب مشاجرة موضوعها ملك وثراء تؤدي الى هدم الوحدة اذا كان هناك وحدة :

اجتمع بنو اسرائيل في الأزمنة الغابرة فما مضى الا القليل بعد انشاء مملكتهم حتى هدمتها الضغينة والشقاق بينهم !

ان الاشتراك في العواطف مبني على الحنو على بني جنسهم وهم محرومو الحرية لا على روح قومية مرامها انشاء مملكة اسرائيلية متحدة . لم توجد ولن توجد قومية اسرائيلية ليتسنى للصهيونيين احياءها . يوجد الدين الاسرائيلي ، والفرق ولا ريب مبين بين القومية والدين . واذا بحثنا في امر الاسرائيلي العربي مثلا فانما نجد انه ولا شك بعيد بعد الثريا عن الثرى من اسرائيلي الغرب كما انه قريب من الأعراب بقدر قرب الدار .

اليكم ايها الناطقون بالضاد من اسرائيلي الشرق العربي أوجه الآن كلامي ولست بحاجة الى القول بان الفكرة الصهيونية المشؤومة عدوة لدودة للنهضة العربية ولأماني الدول العربية .

وما كان وربي لأي شخص ولد وترعرع ، عاش وسعد ، تحت سماء العالم العربي الصافي الجميل مهما كان قد ورثه عن دين آبائه ، أن يجازي البقعة التى تضم رفات آبائه واجداده بتطوعه الى جنب أعدائها ! واننا لننتظر بعين الأمل الى ذلك النهار الذي يقوم فيه اسرائيليو الشرق العربي محتجين أمام سطوة انكلترا طالبين تمزيق منشور بلفور والرجوع الى صراط العدل والحق فيرجع السلم والهدوء الى جزيرة العرب .

فلسطين لأهلها تعود ولهم تكون !! قد خول الغريب اليها ليتخذها تحت تهديد الحراب وطنا قوميا له يكون كمن يحل على رب الدار يريد اغتصاب بيته أو مشاركته في سكنه ، وليت شعري عل من يسلم داره دون الذود والدفاع عنها ؟ هذه حقيقة راهنة يجب أن يصادق عليها ذوو العقول مهما كانت رغائبهم !..

اذا حق للصهيونيين ان يطالبوا في فلسطين كوطن قومي ليهود العالم فالعرب احق بالأندلس وما يتبعها من البلدان التي كانت تحت سلطان العرب قبل امد طويل !.

كل صهيوني يرى موطنه الجديد في فلسطين لا يكون به الا مسكنا موقتا لا وطناً دائما ، وما بنو صهيون سوى مرقاة بريطانيا يصعدها الانكليز لنيل مآربهم في الشرق العربي !

وكلمتي الأخيرة : يا اسرائيلي الشرق العربي : لقد ولتكم بلاد عربية ثراءً طائلا وعيشاً هنيئاً فاهتفوا بصوت واحد :

« اننا اسرائيليو المولد ولكننا اعراب قبل كل شيء » . قاوموا الصهيونية بكل ما وهبتم من نفوذ ، فهي عدوة لدودة لدين الحق والعدل ، واجب على كل شخص حر عادل ، موسويا كان او مسيحياً او مسلماً ، أن يتطوع لمكافحتها ، وان الله نصير محبي الحق والعدل .

زحلة (لبنان) في ٢٠ آب سنة ١٩٣٠

ن . س

الملحق الثالث

القضية الصهيونية والروح العربية

القضيـة الصـهيونية والـروح العربيـة(1)
بحث طريف شيق بقلم الدكتور نسيم صوصه

كاتب هذا المقال شـاب مثقف ولـد من ابوين يهوديين في بغداد وبعد ما درس العلوم الثانوية فيها انتقل الى جامعة بيروت فحصل على البكالوريا ودرس الهندسة ثم سافر بعد ذلك الى الولايات المتحـدة فدرس العلوم القانونية وتخرج في جامعة بلتمور برتبة « دكتور » في علم القانون .

وعاد الى وطنه بغداد بعد اتمام دراسته فعين مهندسا في ري الحلـة فعكف على دراسة الشريعة الاسلامية فمال الى الاسلام وما لبث ان استقال وجاء الى القاهرة للدخول في الدين الاسلامي ودراسة الشريعة الاسلامية واللغة العربية وربما اعلن اسلامه قريبا بعد استيفاء الاجراءات القانونية ، وهذه اولى مقالاته للرابطـة العربية في القضية الصهيونية وقد درسها دراسة وافية قال :

لولا قضية فلسطين وسياسة بريطانيا الهوجاء الخرقاء فيها لصـح القول بان صلة العرب ببريطانيا على ما يرام وان البـلاد العربية جمعاء تسير في اطمئنان بخطوات واسعة في سـبيل تحقيق رغباتها ووضع الاساس لوحـدتها المنشودة .. ولكن قضية فلسطين شوكة في سبيل هذا التقدم وعثرة في طريق نهوض البلاد . وهنا يساورنا شيء من العجب : « لماذا انكلترا تصـر على خطتها العوجاء هذه ؟! » والتفسير لهذا ان السلطات المستعمرة تدرس قبل كل شيء مواطن الضعف في البـلاد التي ترغب في بسط نفوذها عليهـا لاغراض سياسية او اقتصادية أو عسكرية ثم تبحث عمن يضمن لها تثبيت سـلطانها في البـلاد وذلك باستغلال المواطن الضعيفة ، ومن سوء حظ فلسطين أن يكـون بسط هذا النفوذ مرغوبا فيه من الوجهات الثلاث .

وعند المستعمرين ما يسمونه (رجل الساعة) فان أرادوا ان يحدثوا نزاعاً عمدوا الى البحث عن (رجل الساعة) الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة لتحقيق ذلك بواسطته ، وان ارادوا ان يحدثوا انحـلالا واضطرابا في ادارة البـلاد

---

(1) مقال للمؤلف نشر في مجلة الرابطة العربية لامين سعيد ـ العدد ٢٥ لسنة ١٩٣٦ ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٦ ص.٢٠-٢١ والعدد ٢٧ لسنة ١٩٣٦ ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦ ص٢٥-٢٧ (انظر الفقرة ٨ من القسم الاول)

المستولى عليها اختاروا (رجال الساعة) الرجال الخونة من اهل البلاد فيولونهم مقاليد الحكم ليقوموا بتنفيذ خططهم الجهنمية ، وهكذا يسير المستعمرون امورهم في البلاد التي يرغبون في بسط نفوذهم فيها على حسب الاصول (المكيفالية) في الحكم الاستعماري ، واني ارى ان انكلترا استغلت عصبية اليهود ورات في هؤلاء الصهاينة الذين كانوا يزمرون ويهزجون اناشيد الوطن الفلسطيني (العنزة المطاوبة) وهم عنزة الساعة اختارتهم لتستفيد من اموالهم ولتحقيق غاياتها الاستعمارية في فلسطين بواسطتهم من الجهة الأخرى ، سيما وهي تعلم موطن ضعف هذا الشعب وواقفة تمام الوقوف على عصبيته العنصرية الدينية ، فما كان لها الا ان اعلنت موافقتها على تسريح العنزة الصهيونية في حديقة فلسطين المقدسة ولا حاجة هنا لبيان نتائج ذلك ، فالكل يعلم ما كان وما سيكون حتى تخرج العنزة من الحديقة .

وهل يحتاج هذا الدور الذي تلعبه انكلترا على مسرح فلسطين الى تفسير؟! فلو لم تكن العنزة ـ وقد اصبحت عنزات في حديقة فلسطين ـ فما الذي كان يبعث انكلترا على انفاق الملايين على ميناء حيفا وانفاق الملايين الاخرى على انشاء الثكنات التي تنوي انشاءها ، وكيف كان يتم لها ما تنويه من تحصين فلسطين وانشاء المعسكرات الواسعة والمطارات الفسيحة و.و.و. لو لم تكن العنزات الصهيونية في فلسطين ؟!

انا لا اعتقد ولا يمكن أن يدخل في عقل اي فرد له المام في شئون السياسة البريطانية بأن الانكليز بذلوا ما بذلوه من الانفس والمال حبا باليهود او للمحافظة عليهم من العرب كما يزعمون لان ذلك يخالف الحقيقة والكل يعلم ان لانكلترا مصالحها الامبراطورية وهي عندها فوق كل شيء، وتضحي كل شيء في سبيلها .

غير ان ذلك لا يعني ان الانكليز وحدهم هم الذين يلامون على هذه الخطة الخرقاء والسياسة العوجاء في فلسطين فعلى الصهيونيين يقع اللوم الكبير وذلك لقبولهم بأن يكونوا (عنزة الساعة) في تحقيق الغاية الانكليزية الاستعمارية . وعندي ان هؤلاء بعملهم هذا واصرارهم على ان تكون فلسطين وطنا قوميا لهم خانوا مبادىء الانسانية وباعوا ضمائرهم ولم يابهوا لصوت الحق والعدل .

وكثيرا ما انظر بعين الاستغراب الى اعمال هؤلاء الزعماء الذين انقادوا لتيار العواطف فرقصوا على دف الاستعمار البريطاني وهم سكارى بتاثير رحيق ذاك الدهاء (دهاء جون بول) فجادوا بانفسهم وجروا وراءهم الحشود والكل يرقصون وراء المزمار نازلين الى جنب المدمرات الانكليزية يقاتلون العرب ومن هم العرب ؟! هم اولئك الذين من دون كل الامم اغدقوا على بني اسرائيل الاحسان المزيد واكثروا من تكريم جوارهم فعاشوا تحت ظل الحماية الاسلامية

اجيالا وقرونا عديدة في بحبوحة الرغد والثراء .

فباي وجه ايها الصهيوني تقابل العربي صانع الجميل ؟! وكيف تطاوعك نفسك على الاندفاع في غلوائك وغرورك لمقاتلة اصحاب الفضل والخير على بني جلدتك ؟!

ومن الغريب اننا نجد الصهاينة ينقلون حرفيا الخطة الاستعمارية الانكليزية التي اختطها ساسة الانكليز لهم في فلسطين ويترنمون بها ويكتبون عنها كانهم يمثلون جريدة لسان حال السياسة الانكليزية الاستعمارية - الا وهي توطيد دعامة الاستعمار البريطاني في فلسطين وفصل هذا البلد العربي المقدس عن شقيقاته البلدان العربية فصلا باتا بحيث يصبح للانكليز وعمالهم الصهاينة الشان في هذا البلد العربي .

ومن ينظر بامعان في تصريح الدكتور ويزمن زعيم الصهيونية يتضح له كيف ان هؤلاء هم الآلة الناطقة بلسان انكلترا فقد اغلقت عليهم العصبية العنصرية الدينية باب التبصر والتروي .

ان ما يراه هذا الزعيم الحل الوحيد لقضية فلسطين هو التفاهم بين العرب واليهود والتعاون للنهوض بفلسطين فيعيش الفريقان كما تعيش العناصر المختلفة في بلد واحد كما هو الحال في سويسرا مثلا (كذا) وما اغربه من تشبيه ؟!. ثم يقول : « وهنالك حالة واحدة لحل هذه المسالة وهي تشمل العرب واليهود على السواء - الا وهي ان لا يحكم لا هؤلاء ولا هؤلاء ، وان لا يحكم احدهما الآخر وذلك بغض النظر عن عدد الافراد في أي من الفريقين »
ويستمر بقوله : « ان العرب اليوم يؤلفون الاكثرية في البلاد ، اما غدا فقد يكون اليهود الاكثرية » .

والقصد من ذلك طبعا كما لا يخفى على القارىء ان يكون العرب واليهود تحت حكم بريطانيا وهذا هو الذي تريده بريطانيا يعلن على لسان مواليها .
ومما يجدر بالذكر ان البعض من هؤلاء الصهاينة بل معظم كتابهم وانصارهم يخدعون بعض البسطاء من اليهود بزعمهم انه ليس بين العرب من يستنكر الصهيونية سوى طبقة (الأفندية) وان عامة الشعب العربي موالية لهم وانما قد تثور عواطفهم بتحريض الافندية (كذا) مع ان الحال هو عكس ما يصوره هؤلاء فعامة الشعب وهم الحضر بصورة عامة وابناء الارياف بصورة خاصة هم الذين يقاتلون هذه الحركة عن عقيدة راسخة وايمان قوي وهم الذين يرغبون أشد الرغبة في التضحية في سبيل الدفاع عن حق العرب وكيان فلسطين العربية ، وان الثورات العديدة التي حدثت في فلسطين وما بذله العرب (غير الافندية) من التضحيات بالنفس والمال خير دليل على ذلك .

ويستدل من هذا ان هؤلاء الصهاينة لا يزالون مصرين على مواصلة الهجرة الصهيونية وفصل فلسطين من الوحـدة العربية ٠٠ ولكن هناك ما يسمونه (روح عربية) تستقي ايمانها وقوتها وثباتها من منهل دينها الحنيف ومن مآثر ماضيها المجيد قد كان الله عونا لها فيما مضى وسيمد لها عطفه الالهـي في كفاحها الحالي لنيل امنيتها ، وان سيف الله هو امضى من سيف بريطانيا ، واذا ما اختفى نور الحق فلا يلبث حتى تظهر اشعته الساطعة فتنتصر العدل على الباطل ٠

ان ذلك الايمان القوي الذي يفيض في قلب كل مسـلم وكل عربي والذي بذلت ولا تزال تبذل من أجله النفوس بخسة رخيصة بدون وجل ولا تردد هو الذي يضمن لعرب فلسطين نصرهم وفلاحهم ، وان الفـوز للثبات فمهما اراد سيف بريطانيا ان يفعل فانه٠لا يتعدى قتل الانفس اما الروح فتبقى وتبقى حيـة لا يميتها لا السيف ولا المدفع ولا ولا ولا ٠٠٠

نعم انه ليحق لكل عربي صميم ان يثور بوجه هـذا الاغتصاب والظلم والباطل وأن يمتعض لهذه المأسـاة المؤلمة التي تمثل على مسرح فلسطين ، ولكن في الوقت نفسه يجب ان لا يغرب عن البال بأن الصهيونية كانت خير حافـز لنهوض الشعب العربي من سباته العميق واستيقاظ الروح الاسلامية التي تنبه وتنشط فيه الايمان لارجاع مجـد الاسلام والعرب واعادة سؤددهم الغـابر ، وبنظري ان القضية الصهيونيـة لعبت دورا مهما في ايقاظ الشعور العربي ونشطت العاملين في سبيل الوحـدة العربية اذ لا يخفى بأن الحركة الصهيونية جعلت البلاد العربية تشعر بأن الاعتداء على اي بلد عربي هو اعتداء على البلاد العربية جمعاء وهذا ما كان له التاثير العظيم في ايقاظ العالم العربي من رقاده العميق وفي ايجاد هذا الاتحاد والتعاون بين البلاد العربية ٠

اجل ، ان على العرب ان يغتبطوا لهذه الحال ٠٠ فان الحركة الصهيونية بعثت في النفوس قوة وأملا ونشـاطا وايمانا ، ووحدت الصفوف في سـبيل تكوين القومية والمناداة بالوحدة العربية التي لا نجاح للعالم العربي الاسـلامي بدونهـا ٠

ولا مشاحة ان هذه النهضة قد تكلف البلاد العربية تضحيات دماء غزيرة ، ولكن اي عمل عظيم تم بسهولة وبلا عناء ٠٠ ان نهضات الأمم لم تقم على غير جثث الابطال ولا توجد نهضة سامية الا امتلات بعظائم الاهوال فجاءت بكبائر الأعمـال ٠

ويا حبذا لو افاق الانكليز ونزلوا عن تطبيق فنهم الاستعماري المبني على سياسة احداث الاضطراب لتوطيد قدم الاستعمار وواجهوا الحقيقة الراهنـة وكلموا العرب بلسان الصراحة والتفاهم وهو اللسـان الذي يفهمه العرب لما

جبلوا عليه من حب الصراحة وكره الختل والخداع ، واما ما لهم من مصالح عسكرية واقتصادية كانشاء ثغر حصين والمحافظة على منتهى خط النفط وغير ذلك فيمكنهم ان يضمنوها بمعاهدة تحالف وصداقة يعقدونها مع فلسطين كما فعلوا في العراق ومصر ، وبذلك يمكن لانكلترا ان تفوز بود العرب وصداقتهم ولا نظن أن رؤوس الاموال التي قد ياتي بها اليهود الى فلسطين وما يبذلونه من المال لانشاء وطنهم الخيالي تفوق ما تجنيه انكلترا من صداقة العرب وولائهم لها اذا عاملتهم باحسان .

واما اليهود فاذا ارادوا الاصرار على اعتزالهم والمحافظة على تقاليدهم والاستمرار في عصبيتهم العنصرية الدينية فما لهم الا ان يختاروا بلدا من بلاد الله الواسعة غير المأهولة في افريقية او في قارة اخرى ليحققوا امنيتهم المنشودة ، على أن لا يكون هذا الوطن فلسطين فهذا جنون وجنون وجنون.. لا بل خروج عن حد الدائرة الانسانية وعن منطقة العدل والشرف .

لقد سبق ان شرحت في مقال عن فلسطين نشر في جريدة الاحرار البيروتية بعددها المؤرخ في ٢٨ اغسطس آب ١٩٣٠ بانه ليس في اليهود مزية الاتحاد القومي السياسي لانشاء دولة يهودية مستقلة ، وان اتحادهم الذي نسمع عنه لا يتعدى العاطفة العنصرية الدينية التي تهيج وقت الياس والاضطهاد وتخمد متى انطفىء لهيب الضغط .

وفي الحق انه ما عرف التاريخ في أي زمن من الازمنة دولة لبني اسرائيل تمكنت من توطيد قدمها في الارض التي حلت بها . وفضلا عن ذلك فان الوحدة اليهودية التي تشكلت في فلسطين في قديم الازمنة قد يتعذر اعتبارها (دولة سياسية) بما في هذه الكلمة من معنى ، فانها لم تتأسس كبقية الدول السياسية الكبرى التي تطمح الى توسيع سلطانها وفتح البلدان واخضاع الشعوب وانما تشكلت بصفة دينية وكان همها الاساسي المحافظة على الكيان الديني والدليل على ذلك أن ملوكها كانوا انبياء وانبياؤها ملوكا ، واذا ما أضطرت للدخول في المعارك والقتال فما كان ذلك الا للدفاع عن كيان هذا الشعب الذي كان ولا يزال يسير بتاثير عاطفته الدينية . وبناء على هذا يمكن القول بان اليهود ما سبق لهم أن عرفوا دولة ذات نزعة سياسية قومية وذات سيادة وسلطان تطمح الى التوسع والفتوحات والاختلاط بغير عنصر اليهود او نشر تعاليمها ونظامها كما هو شان الدول الكبرى التي يحدثنا عنها التاريخ بما فيها الامبراطورية العربية الاسلامية ، وقد كان الدافع المهم لتسلحهم وقتالهم هو المحافظة على كيانهم كامة ذات عنصر ودين وصد غارات الدول المجاورة ولا يخفى بانه لو كان لليهود التسامح وبعد النظر اللذين اتصف بهما الاسلام لكان تاريخ الديانات والفتوحات غير التاريخ الذي بين ايدينا .

وعندي ان الله تعالى قد شاء ان يحصر السيادة السياسية باتباع الديانتين المسيحية والاسـلام فجعل منهم دولا كبرى ووحـدات سياسية عظمى وبقيت اليهودية هيئة دينية محضة ذات تقاليد وعادات واخلاق سحابة القرون الماضية بعد ان انقرضت سيادتها المحلية القصيرة المهد ٠

ان اليهودية بعيدة في امكان تحولها الى قومية سياسية ذات سيادة مستقلة فان علماء اليهود الذين يأملون الرجوع الى فلسطين لاعادة هيكل سليمان الى ما كان عليه قبل آلاف السنين لا شك سيعيشون حياة معذبة واقول معذبة لا من نفور من تمسكهم بفكرتهم الواهية هذه بل من العذاب النفسي لانهم يؤمنون بالخيال والاحلام الوهمية كمن يؤمـن بامكان تحقيـق الحـوادث في اقاصيص الف ليلة وليلة ٠

وعلى ذكر وعد بلفور اقول ان الانكليز هم اليوم اقل ميلا الى هذا الوعـد من قبل ٠ وما هو وعد بلفور ؟! هل يعقل ان يكون هذا الوعد ارفع مقامـا من الوعـود التي قطعتها انكلترا للعرب ، وهي وعود صريحة تعطي لصاحب الحق حقه ؟! وهل يعقل أن تنكث انكلترا بوعودها للعرب وتلتزم من دون كل الوعود وعد بلفـور ؟! كان وعد بلفور احدى مقتضيات السياسة في الحرب العامة وقد دلت التجارب بأن الوعود التي تعطى في مثل هذه الظروف لا قيمة لها فهي حبر على ورق كما اثبتت الحوادث ٠ ويجب أن لا يغرب عن البال بان فلسـطين بلاد عربية محاطة بعناصر عربية فلا تستطيع ان تنسلخ عن البلاد العربيـة المتاخمة لها مهما حاول الانكليز أو الصهيونيون ، وعندي ان الصهيونيين الذين ينفقون الاموال الطائلة في فلسطين لانشاء مستعمراتهم وتشييد ابنيتهم الفخمة وقصورهم المنيفة يعملون لغيرهم ، وقد يأتي يوم تمسى فيه هذه المستعمرات والمباني مواطن للعرب اصحاب البلاد ، ولا بد أن يرجع الحق الى اهله ٠

ولا بد ان نشير بهذا الصدد الى ان النزاع في فلسطين بين اليهود والعـرب اذا نظرنا اليه من الوجهة العربية هو نزاع سياسي محض وقد يدخل فيه العامل الاقتصادي ، غير أن عصبية اليهـود وعاداتهم وتقاليدهم وبالاجمال حياتهـم الاقتصادية والاجتماعية اصبحت مندمجة بعقيدتهم الدينية بحيث كونت ما يعرفه الناس باليهودية مما يدعونا الى القول بان النزاع من الوجهة اليهوديـة هو سياسي ديني اجتماعي اقتصادي واذا قلنا اليهودية فاننا لا نعني الديانة اليهودية فقط بل نعني التقاليد والعادات والعصبية اليهودية بكل ما يتبعها من الصـفات التي اتصف بها اليهود والتي اصبحت جزءاً من اليهودية وقد تكون الصهيونية بها ٠ واما من الوجهة العربية الاسلامية فالنزاع كما قلنا هو سياسي وكل شيء خلا ان يكون دينيا لان المسلمين قد اشتهروا في علاقتهم مع غير المسلمين بنزعة التسامح الذي لا يعرف حداً ولا نهاية ، ومع ذلك ان العاطفة الدينية تلعـب

دورا مهما على مسرح القضية الفلسطينية ٠

والنزاع اذا اصطبغ بصبغته الدينية يصير اشد هولا ولا يقتصر على الناحية السياسية فقط ، ولذلك لا يستبعد حدوث ما لا يحمد عقباه من جراء الخصومة الصهيونية العربية فيما اذا استمر الانكليز في مناصرة الصهاينة وتشجيعهم في الاستمرار على جشعهم الاستعماري وإطماعهم في ارض فلسطين ٠

ان الصهيونيين في موقفهم اليوم بفلسطين اعادوا نفس الظاهرة التاريخية في المناوئة للاسلام ، وقد تذكرنا هذه الظاهرة بالحروب التي حدثت بين اليهود والمسلمين على الرغم من التسامح الذي اظهره المسلمون ٠

كثيرا ما يدعي الصهيونيون بان يهود العالم باجمعهم يدينون بدين الصهيونية ولا يترددون في تضحية كل شيء في سبيل تأييدها لان الصهيونية هي جزء من الديانة اليهودية ولا يمكن فصلها عنها وكل من لا يدين بها فهو بريء من ملتهم وشعبهم ودينهم ، ومن الجهة الاخرى نجد بعض اليهود وفي مقدمتهم بعض يهود الشرق الوطنيين وعددهم قليل يدعون بانهم لا يؤمنون بالحركة الصهيونية ٠ اجل فليكن ذلك !٠ ولكن ما هي الاعمال التي قام بها هذا الفريق ليبرهن على انه لا يؤمن بالفكرة الصهيونية ؟! لقد اعتصم بالسكوت وتغافل عما يقوم به ساسة الصهاينة من حملات جائرة على العرب وتصريحهم باحلامهم الاستعمارية ونياتهم السيئة نحو سكان فلسطين وما يجاورها من البلاد العربية والسكوت رضا ، والراضي بعمل قوم شريك لهم ٠

أين هم اليهود الذين يدعون معارضتهم للصهيونية هل انخرط واحد منهم في سلك العرب لمقاومة الصهيونية ؟ انني لا أعرف احدا من اليهود عمل عملا كهذا ٠٠ ويظهر لي بانه اصبح من الصعب اقناع العرب بأنه يمكن ان يكون المرء يهوديا ومخلصا للقضية العربية في آن واحد ٠

لقد حاولت ان اشترك فعلا بالاعمال التي كان يقوم بها اخواني العراقيون في سبيل القضية العربية بصورة عامة ومسالة فلسطين بصورة خاصة كما يعلم ذلك خلاني ومعارفي من العرب فلم افلح في الوصول الى الحد الذي أتمناه وانا على يهوديتي الموروثة ٠ ويجب ان لا يلام العرب على ذلك لان الصهيونية اصبحت تعتبر من قبل الكثير جزءاً من اليهودية ومن كان يهوديا قحا فيتعذر عليه فصل الصهيونية عن اليهودية ، فعلى اليهودي المخلص الصادق في حبه للعرب والقضية العربية ان يبرهن على ذلك بغير هجران اليهودية بما في ذلك من دين وعادات وتقاليد وعصبية ، لان الصهيونية هي وليدة هذا الدين وان هذه العادات والتقاليد وبالأخص العصبية العنصرية التي تعتبر جزءاً من اليهودية هي التي ولدت الصهيونية ٠

نشر احد اسرائيلي العراق المثقفين تصريحه التالي بصدد الاضطرابات الاخيرة في فلسطين فقال : « واعتقادنا أن الوضع الاخير ينزع من ادمغة الساسة الصهيونيين الأمل الخادع في امكان تحقيق احلامهم وخيالاتهم التي لا يقرهم عليها كثير من يهود العالم انفسهم وفي مقدمة هؤلاء اليهود العرب قاطبة » ولا يسعني الا ان اسأل هذا الكاتب : ما هي الاعمال التي قام بها اليهود العرب ليبرهنوا على عدم اقرارهم أحلام الصهيونيين وخيالاتهم ؟ ما هي التبرعات التي قام بها اغنياء اليهود العرب للاشتراك فعلا في قمع الحركة الصهيونية ؟ وأين الاحتجاجات التي رفعوها وهل اشتركوا بأية حركة ضد الصهيونية ؟! وماذا الذي يبرهن على حسن نيتهم ما لم يعملوا عملا يوضح استنكارهم للخطة الصهيونية الجهنمية ؟! اليس سكوتهم دليلا على الرضا ؟! ولا ادري كيف يعلل كاتبنا هجرة البعض من يهود العراق الى فلسطين وهم يتمتعون بأنعم الخيرات في ظل الشعب العراقي النبيل !.

وكم من مرة رست الباخرة في ميناء يافا وانا على متنها فلم تطاوعني نفسي ان أطأ ارض فلسطين وهي على حالتها من الخضوع لنير الاستعمار الانكليزي الصهيوني يؤمها بعض شذاذ من أنحاء المعمورة ، وإني لم أطأ ارض فلسطين الا في المرة الاخيرة أثناء رحلتي الى امريكا وذلك في شهر مارس سنة ١٩٣٦ اي قبل الثورة الاخيرة بقليل وكان ذلك بنتيجة الحاج رفيق غرفتي في السفر وهو احد شبان دمشق المعروفين فلبيت الطلب ولكن دون أن أتعدى حدود بلدة يافا اذ كان يؤلمني منظر (تل أبيب) تلك البلدة اليهودية التي اصبحت مصدر فخر ليهود العالم وقاعدة لبث القومية العبرانية الوهمية .

اني لم ازر تل أبيب إذ كرهت منظرها على بعد بالرغم من أضوائها المنيرة وقصورها الشامخة وكان لسان حالي يقول : أنها تمثل الغرور والظلم ، تمثل بأجلى بيان نكران المعروف وجشع الاستعمار الجائر والاغتصاب القاهر ، فلن اطأها حتى ينتصر الحق على الظلم والعدل على الباطل فيرجع اهل البلاد الى مواطنهم يهزجون أناشيد النصر رافعين علم العروبة على السواحل موطدين دعامة الوحدة العربية ببهائها المجيد وجلالها المنيف .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٩٠ لسنة ١٩٨٦

طبع في دار الشؤون الثقافية العامة

تصميم الغلاف :زهير النعيمي

طبع دار الشؤون الثقافية العامة

السـ